البضائع الغالية الأثمان

في التزود لشهر رمضان

مجموع يشتمل على سبع رسائل عن شهر رمضان المبارك

جمع وترتيب وتعليق
سقاف بن علي العيدروس



مركز الأشعاع الثقافي الاجتماعي
حوطة الإمام أحمد بن زين الحبشي

البضائع الغالية الأثمان
في
التزوّد لشهر رمضان

بسم الله الرحمن الرحيم

البضائع الغالية الأثمان

في

التزوّد لشهر رمضان

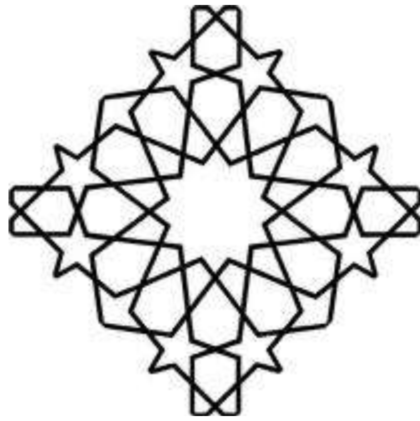
مجموع يشتمل على سبع رسائل عن شهر رمضان المبارك

جمع وترتيب وتعليق

سقاف بن علي العيدروس

﴿١٨٤﴾ شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ
هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ ۚ
فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ۖ وَمَن كَانَ
مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ۗ
يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ
وَلِتُكْمِلُوا۟ ٱلْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا
هَدَىٰكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٨٥﴾

مواضيع الكتاب



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ذي الجود والكرم، والفضل الذي انتشر أثره وعم، وتضاعف خيره فلم يحصره كتاب أو يحصيه قلم، أحمده سبحانه وتعالى على ما تفضّل وأنعم، وفقّه من شاء في أسرار شريعته وعلّم، ووفّق من أراد لحُسْن الأدب ففهّم وألهمْ، وأصلّي وأسلّم على باب الرحمة لمن أراد أن ينجوَ ويَسْلم، وحبل النور الذي من تمسك به يفوز ويغنم، سيدنا محمد النبي الأكرم، والرسول المجتبى الأعظم، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم، وتابعيهم بإحسان على المنهج الأقوم، ما تجلّى نهار و ما جنّ ليل وأظلم.

وبعد .. فإن شهر رمضان شهر الجدِّ والاجتهاد، والإقبال على موائد الخير وتنوير الفؤاد، فهو سوق المتاجرة والمرابحة، وموسم الهمَّة في الأعمال الصالحة، أودع الله تعالى فيه فضائلَ وخيرات، ونشر فيه رحماتٍ وبركات، فالموَّفق من بادر الفرصة فاغتنم هذا الشهر، وأقبل على ربه تعالى فحاز رفيع الدرجات وعظيم الأجر، والمحروم من تخاذل وتكاسل، فحُرم الخيراتِ والفضائل.

وكنتُ -بتوفيق الله- قد كتبتُ في السنوات الماضية رسائل مختصرة، ذكرتُ فيها فضائل شهر رمضان ومناقبه المشتهرة، وفي بعضها جملةً من الأحاديث الواردة فيه، وفي أخرى مواعظ وخطب في الحثّ على اغتنام أيامه ولياليه؛ حملني على كتابتها طلبُ بعضِ الإخوان من طلبة العلم والدعاة، المشتغلين بالتعليم في حلقات المساجد والدعوة إلى الله، لتكون مادةً معينة لهم في تحضير دروس رمضان التي يعقدونها في الحلقات؛ أوالمواعظ التي يلقونها في الجُمع وبعد الصلوات، فأجبتهم طالباً للثواب من الله عز وجل، ومن باب (من استطاع أن ينفع أخاه فليفعل).

وقد كانت البداية في عام (١٤٢٧هـ) برسالة لطيفة جمعتُ فيها أربعين حديثاً في فضائل شهر رمضان؛ ثم حصلت النية لشرح بعض ألفاظها وإيضاح ما غمض من معانيها وأسميتها "الأربعين الرمضانية"، وفي العام الذي بعده وفّق الله تعالى لجمع وترتيب بعض السنن التي يُستحبُّ فعلُها للصائم، وأسميتُ هذا الجمع "إتحاف الإخوان ببعض سنن الصوم ورمضان"، وتلا ذلك مجموع فيه خطب جُمع شهر رمضان الأربع، ثم خطرتْ بالبال بعض المعاني الإيمانية فكتبتُها على صورة الوصايا والمواعظ وأسميتها "خواطر رمضانية" أوصلتها إلى ثلاثين خاطرة على عدد أيام الشهر، وتلتْ ذلك العام رسالة لطيفة أخرى بعنوان "كيف تكون مجتهداً في شهر رمضان".

وكنت قد أفردتُ قبل سنوات مسألة المبالغة في تعجيل الإفطار وتأخير السحور في رسالة مستقلّة عندما كثُر الجدل حولها، وأسميتها "تنبيه المغرور إلى محلّ استحباب تعجيل الإفطار وتأخير السحور"، وأخيراً كانت خاتمة ذلك ما كتبته في العام قبل الماضي (١٤٣٥هـ) رسالة لطيفة في بيان بعض الأخطاء التي يقع فيها الناس في رمضان وأسميتها "كشف الغطا عما يقع في رمضان من الأخطاء"، فتمّ عددُها سبعاً.

وقد استخرتُ الله تعالى في طبع كتابٍ يجمع هذه السَّبع الرسائل، ليسهل تناولها والإحاطة بما فيها من الفوائد والمسائل، فانشرح الخاطر للقيام بالطَّبع، وليس غرضي من وراء ذلك إلا عموم الفائدة وكثرة النفع، ونشر العلم والخير وخدمة الشَّرع، وأُشهد اللهَ تعالى أنه ليس لي إلا الترتيب والجمع.

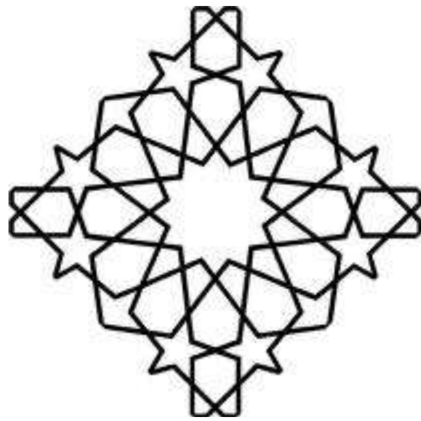
ثمَّ إنني أوقفتُ شيخنا الحبيب العلَّامة عمر بن محمد بن حفيظ –حفظه الله– على هذا الكتاب، واستشرته في طبعه ونشره وتسميته، فاستحسنه وبارك طبعَه وسمَّاه "البضائع الغالية الأثمان في التزوّد لشهر رمضان"، فجزاه الله تعالى خير الجزاءِ وأتمَّه، وأسبغ عليه فضلَه وخيرَه ونعمَه.

كما أنني أتقدَّم بالشكر الجزيل لمركز الإشعاع الثقافي الاجتماعي بحوطة الإمام أحمد بن زين الحبشي، على قيامهم بدعم طباعة هذا الكتاب، جعل الله ذلك في ميزان حسنات القائمين على هذا المركز وزادهم همَّةً وتوفيقاً، اللهم آمين.

أسأل الله أن ينفع بهذا الرسائل من وقف عليها؛ أو قرأها أو طالعَ فيها، وأن يتقبَّل هذا العمل، وأن يجعله خالصاً لوجهه عز وجل، وأن ينقيه من الرياء والسمعة والخلل، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم والحمد لله رب العالمين.

كتبه: سقاف بن علي بن علوي العيدروس

بتاريخ: ١رجب الحرام ١٤٣٧هـ

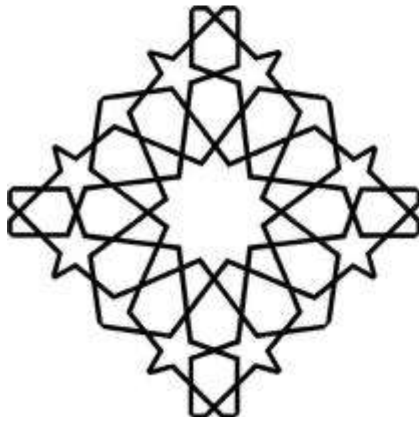


الرسالة الأولى

الأربعين الرمضانية

مجموع يشتمل على أربعين حديثاً نبوياً في فضائل شهر رمضان
مع شرحٍ موجزٍ يحلّ ألفاظها ويبيّن معانيها

جمع وترتيب وتعليق
سقاف بن علي العيدروس



المقدمة

الحمد لله ذي الفضل الذي لا يُحصى، والعطاء الوافر الذي لا يُحدّ ولا يُستقصى، أحمده تعالى جعل شهر رمضان موسماً يُقبل فيه أهل الطاعة ويتوب من عصى، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الذي حثّ على اغتنام شهر رمضان ورغّب ووصّى، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه عدد حبات القطر و ذرّات الحصى.

وبعد .. فإن شهر رمضان المبارك شهر التوبة والإنابة والإقبال، وموسم الطاعة والهمة في صالح الأعمال، وقد ورد في فضله أحاديث عدة، وأخبار عن رسول الله متعددة، أظهر فيها كثيرَ مزاياه وعظيمَ خيرِه، وبيّن ما خُصّ به من الفضائل والخصائص التي ليست في غيرِه.

ولما كانت هذه الأحاديث في بطون الكتب المؤلّفة، متفرقةً في مراجع ومصادر مختلفة؛ رأيت جمعها في رسالة واحدة؛ ليعظم النفع وتعمّ الفائدة ؛ ولتكون مني مشاركةً في نشر الخير والعلم، وتوسيع دوائر الفقه والفهم، ورجاءً للدخول؛ في دعاء الرسول؛ حيث يقول: "نضّر الله امرأً سمع منا حديثاً فوعاه فبلّغه غيره فربّ مبلغ أوعى له من سامع".

على أن ما ورد في فضل شهر رمضان ومناقبه كثير مما ورد في الصحاح والمسانيد والسنن، منها قسم وافر في باب الصحيح والحسن؛ كما أن منها الضعيف الذي فيه مقال؛ إلا أن العلماء تساهلوا في روايته في باب فضائل الأعمال. وقد انتخبتُ منها أربعين حديثاً فقط طمعاً في الاختصار، وتأسياً بالعلماء الأخيار؛ وعملاً بحديث "من حفظ على أمتي أربعين حديثاً من أمر دينها بعثه الله يوم القيامة فقيهاً عالماً".

ثم إنني بعد أن جمعتُ هذه الأحاديث وانتقيتها، ومن كتب السنة المطهرة استخرجتها ورتبتها؛ حصلت النية لشرحها؛ فكتبتُ تعليقاتٍ موجزةً على ألفاظها؛ وحواصلَ مختصرةً لخّصتها من كلام أئمة السنّة وحفاظِها؛ فتبيّنَ ما غمض من معانيها، وانحلّ ما انبهم من عبارات وردت فيها.

أسأل الله تعالى أن يرزقني كمال التوفيق والإخلاص، وأن ينفع بهذا المؤلَّف العامَ والخاص، وأن يجعله من العلم الذي يُنتَفع به، ويُثقَّلُ به ميزانُ قارئه وكاتبه، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً، والحمد لله رب العالمين.

الحديث الأول

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (**لا يتقدمنّ أحدكم رمضان بصوم يوم أو يومين، إلا أن يكون رجل كان يصوم صومه، فليصم ذلك اليوم**) رواه البخاري ومسلم وغيرهما.

شرح الحديث

قوله: (**لا يتقدمنّ أحدكم**) لفظ "أحدكم" يفيد العموم، إلا أنه سيأتي استثناء حالات منه.

قوله: (**رمضان**) فيه جواز أن يقال رمضان من غير ذكر الشهر بلا كراهة، قال النووي: "وهو المذهب الصحيح المختار الذي ذهب إليه البخاري والمحققون وهو الصواب، وقالت طائفة لا يقال رمضان على انفراده بحال، وإنما يقال شهر رمضان وهذا قول أصحاب مالك وزعم هؤلاء أن رمضان اسم من أسماء الله تعالى فلا يطلق على غيره إلا أن يقيد، وقال أكثر أصحابنا وابن الباقلاني إن كان هناك قرينة تصرفه إلى الشهر فلا كراهة وإلا فيكره. قالوا فيقال صمنا رمضان وقمنا رمضان ورمضان أفضل الأشهر"(١).

قوله: (**بصوم يوم أو يومين**) فيه النهي عن استقبال رمضان بصوم يوم أو يومين؛ والحكمة من ذلك ليستقبل رمضان بنشاط، ولئلا يزاد في رمضان ما ليس منه.

قوله: (**إلا أن يكون رجل**) خرج مخرج الغالب؛ وإلا فالمرأة مثله.

---

(١) ثم قال النووي: (وهذان المذهبان فاسدان؛ لأن الكراهة إنما تثبت بنهي الشرع ولم يثبت فيه نهي، وقولهم: أنه اسم من أسماء الله تعالى ليس بصحيح ولم يصح فيه شيء وإن كان قد جاء فيه أثر ضعيف وأسماء الله تعالى توقيفية لا تطلق إلا بدليل صحيح ولو ثبت أنه اسم لم يلزم منه كراهة) اهـ من شرح مسلم (١٨٧/٧).

قوله: (**كان يصوم صومه، فليصم ذلك اليوم**) دلّ على أن محل التحريم ما إذا لم يصادف صومه عادة له كصوم الاثنين أو الخميس، أو وصله بما قبله، أو كان صومَ قضاء؛ ففي هذه الأحوال ينتفي المعنى المحذور فلا يحرم الصوم.

الحديث الثاني

عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر رمضان، فقال: (**لا تصوموا حتى تروا الهلال، ولا تفطروا حتى تروه، فإن غُمّ عليكم فاقدروا له**) رواه البخاري ومسلم وغيرهما.

شرح الحديث

قوله: (**لا تصوموا حتى تروا الهلال**) فيه النهي عن صوم شهر رمضان قبل رؤية الهلال؛ إذا لم يكمل عدد شعبان ثلاثين يوماً، ويُكتفى في ثبوته بشاهد عدل واحد لحديث الأعرابي الآتي شرحه قريباً.

قوله: (**ولا تفطروا حتى تروه**) فيه النهي عن إفطار رمضان قبل رؤية هلال شوال، إلا أن العلماء أوجبوا للإفطار شاهدي عدل لإثبات هلال شوال؛وذلك جرياً على الأصل في الشهادات ولقوله تعالى "واستشهدوا شهيدين من رجالكم"، ولأنه قال صلى الله عليه وسلم للذي ادعى: "شاهداك أو يمينه" بينما أجازوا إثبات هلال رمضان بعدل واحد لورود النص كما تقدم.

قوله: (**فإن غُمّ عليكم**) في رواية البخاري "غُبِي" ومسلم "غمي" ، والمعنى: فإن حال حائل منع الرؤية كما في رواية النسائي "فإن حال بينكم وبينه سحابة أو ظلمة".

قوله: (**فاقدروا له**) قال أهل اللغة: يقال: قدَرتُ الشيء بالتخفيف أقدُرهُ بضم الدال وكسرها، وقدّرته بالتشديد وأقدْرته بهمزة أوله بمعنى واحد؛ وهو من التقدير.

ثم إن قوله: "فاقدروا له" فسّرته رواية مسلم "فاقدروا ثلاثين" ورواية البخاري "فأكملوا العدة ثلاثين"، قال العلماء: معناه: قدّروا له تمام العدد ثلاثين يوماً أي: انظروا في أول الشهر واحسبوا تمام ثلاثين يوماً[١].

---

(١) إرشاد الساري إلى صحيح البخاري (١٥٣/٣) للقسطلاني.

الحديث الثالث

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: **قال جاء أعرابي إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال إني رأيت الهلال – يَعني هلال رمضان– فقال**:(**أتشهد أن لا إله إلاّ الله**)، **قال**: **نعم**، **قال**:(**أتشهد أن محمداً رسول الله**)، **قال**: **نعم**، **قال صلى الله عليه وسلم**:(**يا بلال أذن في الناس فليصوموا غداً**) رواه الأربعة وصححه الحاكم .

شرح الحديث

قوله: (**جاء أعرابي**) أي: واحد من الأعراب وهم سكان البادية، وهذا الأعرابي جاء من الحرة كما في رواية لأبي داود والدارقطني والحاكم.

قوله: (**إني رأيت الهلال**) يَعني "هلال رمضان" كما قال الحسن بن علي الخلال راوي الحديث وهو شيخ أبي داود.

قوله: (**أتشهد أن لا إله إلاّ الله، أتشهد أن محمداً رسول الله**) احتج به من رأى أن الأصل في المسلمين العدالة، وذلك أنه لم يطلب أن يعلم من الأعرابي غير الإسلام فقط ولم يبحث بعدُ عن عدالته وصدق لهجته.

قوله:(**نعم**) قال بعضهم: دلّ الحديث على أن من لم يعرف منه فسق تقبل شهادته.

قوله: (**يا بلال أذن في الناس**) من الإيذان أو التأذين، والمراد: مطلق النداء والأعلام، والمعنى: ناد في محضرهم وأعلمهم.

قوله: (**فليصوموا غداً**) فيه حجة لمن أجرى الأمر في رؤية هلال شهر رمضان مجرى الإخبار فاكتفى بشاهد ولم يحملها على أحكام الشهادات فاشترط اثنين، وإليه ذهب

الشافعي[1].وقد أيّد الاكتفاء بشاهد واحد حديث ابن عمر: "تراءى الناس الهلال فأخبرت رسول الله صلى الله عليه وسلم أني رأيته فصام وأمر الناس بصيامه"رواه أبو داود والدارقطني.

وفي رواية (فليصوموا) وفي عدم تقييده برمضان دليل لمذهب الحنفية من أنه يصح أداؤه بنية مطلق الصوم، واستدل المرغيناني الحنفي بقيد الغد على جواز النية في النهار[2].

---

(١) وذهب إليه الإمام أحمد وغيره، وقال مالك والهادوية: إنه لا يقبل الواحد بل يعتبر اثنان. واستدلوا بحديث عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب الآتي، وفيه «فإن شهد شاهدان مسلمان فصوموا وأفطروا» وبحديث أمير مكة، وفيه " فإن لم نره وشهد شاهدا عدل " وظاهرهما اعتبار شاهدين. وتأولوا الحديثين المتقدمين باحتمال أن يكون قد شهد عند النبي – صلى الله عليه وسلم – غيرهما.

(٢) الهداية مع شرحه البناية (٨/٤) للعيني الحنفي.

الحديث الرابع

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : **(أُعطيتْ أُمتي في شهر رمضان خمساً لم يُعطهنّ نبي قبلي: أما واحدة فإنه إذا كان أول ليلة من شهر رمضان نظر الله عز و جل إليهم؛ ومن نظر الله إليه لم يعذبه أبداً، وأما الثانية فإن خُلوف أفواههم حين يمسون أطيب عند الله من ريح المسك، وأما الثالثة فإن الملائكة تستغفر لهم في كل يوم وليلة ، وأما الرابعة فإن الله عز و جل يأمر جنته فيقول: لها استعدي وتزيني لعبادي أوشك أن يستريحوا من تعب الدنيا إلى داري وكرامتي، وأما الخامسة فإنه إذا كان آخر ليلة غفر الله لهم جميعاً)، فقال رجل من القوم: أهي ليلة القدر ؟ فقال: (لا ، ألم تر إلى العمال يعملون فإذا فرغوا من أعمالهم وُفّوا أجورهم)** رواه البيهقي وغيره [١].

شرح الحديث

قوله: (أُعطيتْ أمتي) أي: أمة الإجابة.

قوله: (في شهر رمضان خمساً) العدد لا مفهوم له كما تقرر في علم الأصول، ويدل له أن غير هذه الخصال أُعطيتها الأمة في رمضان وردت بها أحاديث أخرى.

قوله: (لم يعطهنّ نبيٌّ قبلي) دليل على الخصوصية لهذه الأمة، وفيه أن هذه الخيرات للأمة إنما هي ببركته صلى الله عليه وسلم، ووقع في رواية أحمد في المسند "لم تعطهن أمة قبلهم".

---

(١) شعب الإيمان: (٥/٢٢٠) ، قال الحافظ المنذري: "إسناده مقارب"، الترغيب والترهيب: (٢/٥٦).

قوله: (**أما واحدة فإنه إذا كان أول ليلة من شهر رمضان**) فيه التنويه إلى شرف هذه الليلة ومزيد بركتها؛ وفيه أن بركة الشيء في أوله كما في الحديث الآخر "اللهم بارك لأمتي في بكورها" وباكورة الشيء أوله.

قوله: (**نظر الله عز و جل إليهم**) أي: نظر الرحمة، ويشهد له الحديث الآخر "أوّله رحمة"؛ حيث فسّره بعضهم بأول ليلة.

قوله: (**ومن نظر الله إليه لم يعذبه أبداً**) هذه ثمرة النظر.

قوله: (**وأما الثانية فإن خُلوف أفواههم حين يمسون**) الخُلوف: بضم الخاء؛ تغيّر رائحة الفم بسبب خلو المعدة. وقد احتج الشافعية بقوله في هذا الحديث "حين يمسون" على كراهة السواك للصائم بعد الزوال.

قوله: (**أطيب عند الله من ريح المسك**) أي: هذا الرائحة المستكرهة أحبّ عند الله من رائحة المسك عندكم .وقد ذكر العلماء في معناه أقوال :

١-أن معنى هذه الأطيبية راجع إلى أنه تعالى يثيب على خُلوف فم الصائم ثواباً أكثر مما يثيب على استعمال المسك حيث ندب الشرع إلى استعماله في الجمع والأعياد وغيرها .

٢-قيل: أن هذا في حق الملائكة فيستطيبون ريح الخُلوف أكثر مما يستطيبون ريح المسك .

٣-قيل: يجازيه الله في الآخرة بأن يجعل نكهته أطيب من المسك كما في دم الشهيد .

٤-قيل: بل هو مجاز واستعارة لجريان عادتنا بتقريب الروائح الطيبة منا فاستعير ذلك لتقريبه من الله تعالى.

قوله: (**وأما الثالثة فإن الملائكة تستغفر لهم في كل يوم وليلة**) فيه تكريم للصائمين حيث جعل الله تعالى الملائكة الأبرار يطلبون لهم المغفرة، وفي رواية أحمد "وتستغفر لهم الحيتان حتى يفطروا".

قوله: (**وأما الرابعة فإن الله عز و جل يأمر جنته**) فيه أن الجنة مخلوقة، وأنه يُزاد فيها كما دلّت عليه الأحاديث الأخرى.

قوله: (**فيقول: لها استعدي وتزيني لعبادي أوشك أن يستريحوا من تعب الدنيا إلى داري وكرامتي**) يشير إلى ذلك قوله تعالى (كلوا واشربوا هنيئاً بما أسلفتم في الأيام الخالية)؛ وفي رواية أحمد "يقول يوشك عبادي الصالحون أن يلقوا عنهم المؤنة ويصيروا إليك".

قوله: (**وأما الخامسة فإنه إذا كان آخر ليلة**) سواء أكانت ليلة التاسع والعشرين أو ليلة الثلاثين.

قوله: (**غفر الله لهم جميعاً**) فيه فضل هذه الليلة وأنها ليلةُ مغفرةٍ واسعة ورحمة شاملة؛ والعموم في قوله"جميعاً" مخصوصٌ منه من لم يستحق المغفرة لوصف فيه، إذ كم من صائم ليس له من صيامه إلا الجوع والظمأ.

قوله: (**فقال رجل من القوم: أهي ليلة القدر**) سأل لما سمع ما يحصل فيها من المغفرة لجميع المسلمين؛ فظنها ليلة القدر؛ فقال له (لا).

قوله: (**ألم تر إلى العمال يعملون فإذا فرغوا من أعمالهم وفوا أجورهم**) فيه استعمال التشبيه وضرب الأمثال لتقريب المعنى للسامع.

الحديث الخامس

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (**إذا دخل شهر رمضان فتحت أبواب الجنة وغلقت أبواب جهنم وسلسلت الشياطين**) رواه البخاري ومسلم وغيرهما.

شرح الحديث

قوله: (**إذا دخل شهر رمضان**) سمي "رمضان" لموافقة ابتداء الصوم فيه وقتاً حاراً ، أو من الرّمض لأنه ترمض فيه الذنوب أي تحرق، أو لغير ذلك .

قوله: (**فتحت أبواب الجنة**) منهم من حمله على حقيقته فقال : تفتح أبواب الجنة لما في ذلك من استبشار المؤمن وتهيؤه للعمل الذي يوصله إليها ، أو لتكون علامة لأهل السماء بدخول الشهر المبارك . ومنهم من حمل ذلك على الكناية وقال : فتح أبواب الجنة كناية عن تواتر هبوط غيث الرحمة وتوالي صعود الطاعة بلا مانع، قال : ويؤيد هذا القول رواية "فتحت أبواب السماء" و في رواية أخرى " أبواب الرحمة ".

قوله: (**وغلقت أبواب جهنم**) يأتي فيه ما تقدم، فقد حمله بعض العلماء على الكناية فقال : غلْق أبواب جهنم كناية عن تنزه الصوام عن رجس الآثام بقمع الشهوات؛ واختاره القاضي عياض ، وذهب آخرون إلى حمل اللفظ على الحقيقة فقالوا: لا مانع من حمله على ظاهره؛ ويكون فائدة ذلك تفاؤل المسلم واستبشاره فإنه إذا علم ذلك بإخبار الصادق يزيد في نشاطه ويتلقاه بأريحية ويشهد له حديث عمر " إن الجنة تزخرف لرمضان " .

قوله: (**وسلسلت الشياطين**) وفي رواية مسلم "صفدت" أي : شدت بالسلاسل والأغلال لئلا يوسوسوا للصائم؛ هذا إن حملناه على معناه الحقيقي؛ ويكون علامة

ذلك تنزه أكثر المنهمكين في الطغيان عن الذنوب فيه وإنابتهم الله تعالى، وإن حملناه على غير ظاهره الحقيقي فهو مجاز عن قهر الشياطين بكسر الشهوة النفسية بالجوع.

فإن قيل: لكننا نرى ونسمع أحياناً خصومات ومنازعات ينتج عنها غضب وشتم وغيره في نهار رمضان ولياليه، فالجواب عنه من وجوه:

١ - إما أن يقال أن ذلك من تأثيرات وتسويلات النفوس الشريرة وليس من قِبل الشيطان.

٢ - وإما أن يقال : خُصّ من العموم زعيم الشياطين وكبيرهم إبليس حين سأل اللهَ الإنظار فأُجيب، فما يقع من المعاصي إنما هو بإغوائه.

قلت: ولعل معه غير المردة ممن لم يصفد كما يشهد له حديث ابن حبان وقد بوّب له في صحيحه (ذكر البيان بأن الله جل وعلا إنما يصفد الشياطين في شهر رمضان مردتهم دون غيرهم).

٣ — وإما أن يقال إن هذا خاص بالصائم حقيقةً وليس كلّ صائم[١].

٤ - وإما أن يقال : أن تصفيد الشياطين مجاز عن امتناع التسويل عليهم ؛ واستعصاءِ النفوس عن قبول وساوسهم وإغوائهم ؛ وذلك لانكسار القوة الحيوانية التي هي من دواعي الشهوة والغضب الداعيين إلى أنواع الفسوق والمعصية ؛ فعندها تنبعث من قواهم العقلية داعية إلى الطاعات ناهية عن المعاصي فيقبلون على وظائف العبادات بهمة وعزيمة[٢].

---

(١) الأقوال الثلاثة الأولى حيث حملنا الحديث على ظاهره من أن الشيطان يصفّد حقيقةً، والقول الرابع حيث حملناه على معناه المجازي.

(٢) فتح الباري: (٤/١١٤) للحافظ ابن حجر، فيض القدير:(١/٣٤٠) للمناوي، مع زيادات.

الحديث السادس

عن رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (**رمضان شهر مبارك : تفتح فيه أبواب الجنة، وتغلق فيه أبواب السعير، وتصفد فيه الشياطين، وينادي مناد كل ليلة : يا باغي الخير هلم، ويا باغي الشر أقصر**) أخرجه الإمام أحمد وغيره[1].

شرح الحديث

قوله: (**رمضان شهر مبارك**) أي: ذو بركة وخير، والبركة: فيض إلهي ووهب رباني يجعله الله فيمن شاء وفيما شاء، فلذا قد تكون البركة في أمكنة كمكة المكرمة، وقد تكون في أزمنة كشهر رمضان، وقد تكون في ذوات كالأنبياء، وقد تكون في أشياء كالأموال.

ثم إن مكامن البركة في شهر رمضان من حيث ما خُصّ به من مضاعفة ثواب الأعمال؛ واستجابة الدعاء؛ وكثرة العتق من النار، وحصول المغفرة ؛ وتنزل الرحمة؛ وغير هذا كثير.

قوله: (**تفتح فيه أبواب الجنة**) يعني الثمانية، وقد تقدم بيان معناه في الحديث الذي قبله.

قوله: (**وتُغلق فيه أبواب السعير**) يعني السبعة، وقد سبق بيان معناه قريباً.

---

(١) مسند الإمام أحمد: (٣١/٩٣)، وقد حسّنه السيوطي في الجامع الصغير كما في فيض القدير: (٤/٣٩)، وحسنه المناوي في التيسير : ٢/٧١.

قوله: (**وتصفد فيه الشياطين**) أي : تشد وتربط بالأصفاد وهي القيود والسلاسل كما في رواية "وسلسلت الشياطين" ، وتقدّم قريباً فيه وفي اللذين قبله ذكر الخلاف في الحمل على الحقيقة أو المجاز، وقد قال بكلّ واحدٍ منهما جماعة.

قوله: (**وينادي منادٍ كلّ ليلة**) المنادي ملكٌ موكلّ بهذا النداء، وفي تخصيص الليل بهذا النداء إشارة إلى فضل ليالي رمضان على أيامه.

قوله: (**يا باغي الخير هلّمَ**) أي: يا طالب الخير أقبلْ فهذا وقت تيسر العبادة وحبس الشياطين ، أو يا طالب الثواب أقبلْ فهذا أوانك فإنك تُعطى ثواباً كثيراً بعمل قليل لشرف الشهر .

قوله: (**ويا باغي الشر أقصر**) أي : يا طالب الشر اهجره واكفف عنه؛ فهذا زمن قبول التوبة والتوفيق للعمل الصالح ولله عتقاه من النار لعلك تكون منهم.

الحديث السابع

عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يوماً وحضر رمضان: (**أتاكم رمضان، شهر بركة يغشاكم الله فيه، فينزل الرحمة ويحط الخطايا ويستجيب فيه الدعاء، ينظر الله تعالى إلى تنافسكم فيه ويباهي بكم ملائكته فأرُوا الله من أنفسكم خيراً فإن الشقيَّ من حُرم فيه رحمةَ الله عز وجل**) رواه الطبراني في مسند الشاميين [1].

شرح الحديث

قوله: (**أتاكم رمضان**) يؤخذ منه الاستبشار بقدوم مواسم العطا والبركات، وتبشير السامعين للاستعداد لما فيها من الخيرات، روى عبد بن حميد في مسنده أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وهو يبشر أصحابه: "قد جاءكم رمضان شهر مبارك ...".

قوله: (**شهر بركة**) تقدم في الحديث قبله معنى البركة في هذا الشهر.

قوله: (**يغشاكم الله فيه**) التغشية في اللغة: التغطية؛ ومنه قوله تعالى "واستغشوا ثيابهم" فيكون المعنى: يشملكم برحمته ومغفرته وعطائه من كل جانب، وقد فسّرها بالثلاث التي ذكرها فقال: "فينزل رحمته ...".

قوله: (**فيُنزِل الرحمة**) أي: يُكثر إنزالها في هذا الشهر ، وإلا فرحمته تعالى وسعت كلّ شيء، وفي هذا الإطلاق ما يدلّ على أن الرحمة في الشهر كله؛ لكن لايبعُد أن تكون في أول ليلة أو أول الشهر أكثر كما دلّت عليه أحاديث أخرى، والله أعلم.

---

(١) مسند الشاميين : (٣/٢٧٣) للطبراني، وقال المنذري في الترغيب : ٢/٦٠"ورواته ثقات إلا أن محمد بن قيس لا يحضرني فيه جرح ولا تعديل" .

قوله: (**ويحط الخطايا**) أي: يتجاوز عنها و يمحوها ويغفرها، وقد يكون ذلك في مقابل استغفارهم وتوبتهم، وقد يكون ابتداءً منه تعالى فضلاً وإحساناً ؛ تنويها على فضل الشهر وتنبيهاً على شرفه.

قوله: (**ويستجيب فيه الدعاء**) أي: يُكرم من دعاه بتعجيل الإجابة وحصول المطلوب؛ فسائل الله تعالى في رمضان لا يخيب، وقوله "فيه" شمل أوله وآخره، وأيامه ولياليه، فلله الحمد.

قوله: (**ينظر الله تعالى إلى تنافسكم فيه**) التنافس في اللغة: من المنافسة وهي الرغبة في الشيء والانفراد به، وهو من الشيء النفيس الجيد في نوعه، وقال ابن عطية: "التنافس في الشيء المغالاة فيه وأن يتبعه كل واحد نفسه فكأن نفسهما تتباريان فيه، فيكون معنى الحديث: يُثيبكم على إقبالكم عليه ومسارعتكم في طاعته"(١).

قلت: وأما النهي الوارد عن التنافس كما في الحديث الآخر "ولا تنافسوا" فقال ابن عبد البر: "المراد به التنافس في الدنيا، ومعناه طلب الظهور فيها والتكبر على الآخرين ومنافستهم في رياستهم والبغي عليهم وحسدهم على ما آتاهم الله منها ، وأما التنافس على الخير وطرق البر فليس من هذا في شيء"(٢).

قوله: (**ويباهي بكم ملائكته**) قال النووي: "معناه: يظهر فضلكم لهم،ويريهم حسن عملكم، ويثني عليكم عندهم، وأصل البهاء: الحسن والجمال، وفلان يباهي بما له، أي:يفخر ويتجمل بهم على غيرهم ويظهر حسنهم " .

---

(١) ذكره ابن علان في دليل الفالحين شرح رياض الصالحين (٤/٥٥٨).

(٢) التمهيد لما في الموطأ من المتون والأسانيد (٢٢/١٨) لابن عبد البر.

قوله: (**فأروا الله من أنفسكم خيراً**) المعنى: جدّوا في طاعته تعالى وشمروا في الإقبال عليه ليثيبكم سبحانه وتعالى، ويتقرّب إليكم بفضله وعطائه كما تقربتم إليه بعبادته وطاعته.

قوله: (**فإن الشقيَّ من حُرِمَ فيه رحمةَ الله عز و جل**) حثٌّ على التشمير وترك التقصير، وتحفيز على العمل وترك الكسل، وإنما وصف الغافل عن فضل الشهر وما فيه بالمحروم لأنه ضيّع الفرصة على نفسه وقد تيسّرت له، أعاذنا الله من خذلان والخسران آمين.

الحديث الثامن

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (**الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة ورمضان إلى رمضان مكفرات لما بينهن إذا اجتنبت الكبائر**) أخرجه مسلم في صحيحه.

شرح الحديث

قوله: (**الصلوات الخمس**) يعني ما يقع بين كل صلاة وصلاة من المكتوبات يغفره الله تعالى إذ الصلاة كفارةٌ لما قبلها؛ وفي هذا تنويه بشأن الصلاة وتنبيه على عظيم منزلتها .

قوله: (**والجمعة إلى الجمعة**) المضاف محذوف أي : صلاة الجمعة منتهية إلى الجمعة؛ بل وقع في بعض الأحاديث "وزيادة ثلاثة أيام" ، وهذه الزيادة من باب " من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها".

قوله: (**رمضان إلى رمضان**) أي صوم شهر رمضان يكفر الذنوب التي وقعت خلال العام كله؛ ولا شك أن المراد بالصوم المكفّر هو الصوم الذي استجمع شروط القبول فاستحق صاحبه المغفرة إذ كم من صائم ليس له من صيامه إلا الجوع والعطش .

قوله: (**مكفرات لما بينهن**) المراد تكفير صغائر الذنوب ؛ أما الكبائر فلا يكفرها صوم ولا صلاة إنما تكفرها التوبة النصوح أو الحج ألمبرور .

قوله: (**إذا اجتنبت الكبائر**) شرط وجزاء دلّ عليه ما قبله، قال النووي : "معناه أن الذنوب كلّها تُغفر إلا الكبائر، ثم كلّ من المذكورات صالح للتكفير ، فإن لم يكن له صغائر كُتب له حسنات ورفع له درجات"(١).

---

(١) شرح مسلم: (١١٣/٣) للنووي.

الحديث التاسع

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (**أول شهر رمضان رحمة؛ وأوسطه مغفرة؛ وآخره عتق من النار**) رواه ابن خزيمة في صحيحه، وابن أبي الدنيا وهذا لفظه[(١)].

شرح الحديث

قوله: (**أوّلُ شهر رمضان**) يُحتمل أن المقصود بأوّله: أولُّ أيامه فيكون أعمّ، ويُحتمل أن يكون أولّ ليلة منه خاصة؛ ويشهد له حديث ابن خزيمة " إذا كان أول ليلة منه نظر الله إليهم" .

قوله: (**رحمة**) أي : في أوّله يصبُّ الله تعالى الرحمة على الصائمين صباً، ويسحُّ عليهم البركة سحاً، قال في شرح المشكاة: "أي: وقت رحمة نازلة من عند الله عامة، ولولا حصول رحمته ما صام ولا قام أحد من خليقته، لولا الله ما اهتدينا ولا تصدقنا ولا صلينا"[(٢)].

قوله: (**وأوسطه مغفرة**) أي: في وسط الشهر يغفر الله لصوامه، ولا ينافيه حديث أبي هريرة مرفوعاً: "يغفر لأمته في آخر ليلة من رمضان" فالأجير قد يُعجّل له بعض أجره قبل فراغه، كما أنه يُحتمل أن يكون المراد مغفرته الكاملة ورحمته الشاملة.

قوله: (**وآخره عتق من النار**) يُحتمل أنَّ المقصود بآخره: أيامه الأخيرة فيشمل العشر لأنها مظنة ليلة القدر، ويُحتمل أن يكون المقصود آخر ليلة منه كما ورد في خبر "يعتق

---

(١) فضائل شهر رمضان: (٦٥/١) لابن أبي الدنيا، ورواه ابن خزيمة في صحيحه ثم قال: "إن صح الخبر"، قال المنذري: "وفي أسانيدهم علي بن زيد بن جدعان. ورواه ابن خزيمة أيضاً والبيهقي باختصار عنه من حديث أبي هريرة وفي إسناده كثير بن زيد"، وابن جدعان هذا ضعيف سيء الحفظ. وقال الترمذي: صدوق. وكثير بن زيد مختلف فيه. وقال في التقريب: صدوق يخطىء. انظر: شرح مشكاة المصابيح: (٤٢٠/٦).

(٢) المرقاة شرح المشكاة (١٣٦٩/٤) للقاري.

جمعاً حافلاً عظيماً من النار كانوا قد استوجبوها"[١].

وفي هذا الحديث تنبيه عظيم على منزلة الشهر وما فيه من العطايا الوافرة؛ وتنويه بفضل صوّامه حيث أُكرموا بخيرات الدنيا والآخرة.

(١) فيض القدير: (٣/٨٦) للمناوي.

الحديث العاشر

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (**قال الله تعالى : كل عمل ابن آدم له، إلا الصيام فإنه لي وأنا أجزي به، والصيام جنة، وإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث، ولا يصخب، وإن سابّه أحد أو قاتله فليقل : " إني امرؤ صائم " والذي نفس محمد بيده لخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك، وللصائم فرحتان يفرحهما إذا أفطر فرح بفطره، وإذا لقي ربه فرح بصومه**) أخرجه البخاري ومسلم وغيرهما[١].

شرح الحديث

قوله: (**قال الله تعالى: كل عمل ابن آدم له**) فسّرته الرواية الأخرى "الحسنة بعشر أمثالها " فيكون المعنى : كل ما يعمله يعامل به تحت هذا الميزان، وقيل : كلّ عمل له فإن له فيه حظاً ودخلاً لإطلاع الناس عليه فهو يتعجل به ثواباً منهم .

قوله: (**إلا الصيام فإنه لي**) استشكل نسبة الصيام إليه تعالى مع أن كل الأعمال له سبحانه ؛ وأجيب بأجوبة عدة :

١-قيل معناه لا يطلع عليه غيري؛ وذلك لأن الصيام عبادة سرية قد يخفيها الإنسان حتى على من يجالسهم .

٢-قيل معناه لا يعلم ثوابه المترتب عليه إلا هو تعالى كما قال سبحانه (إنما يُوفى الصابرون أجرهم بغير حساب) .

٣- قيل نسبه إليه لأن الصيام وصف من أوصافه تعالى لأنه يرجع إلى صفته الصمدية لأن الصائم لا يأكل ولا يشرب فتخلق باسمه الصمد .

---

(١) هذا الحديث ليس خاصاً برمضان بل هو عام في صيام رمضان وغيره وإنما أدخلته في الكتاب تجوزاً لما دلّ عليه من عظيم الأجر والثواب.

٤ –قيل معناه أن الأعمال يقتص منها يوم القيامة في المظالم إلا الصوم فإنه لله ليس لأحد من أصحاب الحقوق أن يأخذ منه شيئاً و اختار هذا ابن العربي.

٥ –قيل نسبه إليه لأنه العبادة التي لم يُعبد به غير الله فلم تُعظّم الكفار في عصر قط آلهتهم بالصوم وإن عظّموها بالسجود والصدقة وغيرهما واستحسنه ابن الأثير .

قوله: (**وأنا أجزي به**) أي : أُثيبُ صاحبه وأجازيه جزاءاً كثيراً وأتولى الجزاء عليه بنفسي فلا أَكِله إلى ملك مقرب ولا غيره لأنه سرٌّ بيني وبين عبدي لا يطلع عليه غيري كصلاة بغير طهر أو ثوبٍ نجس أو نحو ذلك مما لا يعلمه إلا الله، قاله المناوي[1].

المناوي[1] .

قوله: (**والصيام جُنّة**) أي : ترسٌ يدفع المعاصي أو يدفع النار عن الصائم كما يدفع الترس السهم ، وفي هذا بيان ثمرة الصيام الكامل وأنه يقي صاحبه المعاصي إذ ثمرة الصيام التقوى قال تعالى في آية فرض الصيام (كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون)، أو يكون معناه : أنه يقي صاحبه دخول النار لما يترتب عليه من الثواب الكبير الذي ينال به رضا الله تعالى .

قوله: (**وإذا كان يوم صوم أحدكم**) شمل التنكير الفرض والنفل والذكر والأنثى .

قوله: (**فلا يرفث ولا يصخب**) هذا تنبيه على آداب الصائم ؛ فالواجب على من صام أن يهجر فاحش الكلام وبذي القول، ومعنى "لا يرفث" بضم الفاء وكسرها: لا يتكلم بقبيح ، ومعنى : "ولا يصخب" بسين أو بصاد مهملة : لا يصيح ، وفي رواية أخرى عند مسلم "لا يجهل" .

قوله: (**وإن سابّه أحد أو قاتله**) معنى : سابه :شاتمه؛ أي : تعرض لشتمه ومعنى قاتله: أراد مقاتلته أو نازعه ودافعه .

---

١ – فيض القدير :(٤/٨١٦) للمناوي.

قوله: (**فليقل إني امرؤ صائم**) وفي بعض الروايات "إني صائم" وفي بعضها أنه قالها مرتين ، قيل: يقولها بقلبه لأنه أبعد عن الرياء، وقيل : يقولها بلسانه ليذكر السابّ أو المقاتل أنه صائم وأنه صومه يمنعه عن الخوض في مثل هذا، ولا يبعد أن يقال : يقولها بقلبه ولسانه؛ وهو أولى ليكفّ نفسه عن مقاتلة خصمه .

قوله: (**والذي نفس محمد بيده**) هذا قسم كان النبي صلى الله عليه وسلم يأتي به إذا احتاج لتأكيد أمر وتثبيته ، ومعناه : والذي روحي بتقديره وتصريفه .

قوله: (**لخُلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك**) تقدم بيان معناه عند شرح حديث: "أعطيت أمتي خمس خصال ... ".

قوله: (**وللصائم فرحتان يفرحهما**) أي يفرح بهما، واحدة يفرحها في الدنيا والثانية في الآخرة.

قوله: (**إذا أفطر فرح بفطره**) أي: بإتمام صومه وسلامته من المفسدات لخروجه عن عهدة المأمور، أو يقال: فرح بالأكل والشرب بعد الجوع، أو يقال: فرح بما يعتقده من وجود الثواب .

قوله: (**وإذا لقي ربه فرح بصومه**) أي: بنيل الثواب وإعظام المنزلة، وقيل فرح بالنظر إلى وجه ربه وهذا فرح الخواص من العباد.

الحديث الحادي عشر

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (**سيد الشهور شهر رمضان وأعظمها حرمة ذو الحجة**).أخرجه البزار في مسنده[١].

شرح الحديث

قولـه: (**سـيد الشـهور**) قـال أهـل اللغـة: "السـيد مـن أُهـلّ للسُّـؤدد وهـو التقـديم؛ يقـال:ساد قومـه إذا تقـدّمهم"[٢]، ونظـائره كثـيرة منهـا سـيد الأيـام، وسـيد الشـهداء، وسـيد الاسـتغفار. وفي وصـف رمضـان بالسـيادة مـا يـدل علـى عظـيم فضـله؛ ومزيـد شرفه.

قوله: (**شهر رمضان**) دليل على أنه أفضل شهور السنة كلّها بما فيها الأشهر الحُرُم، قـال السُّـهروردي : (رمضـان أفضـل مـن الحجـة؛ وإذا قُوبلـت الجملـة بالجملـة وفُضّـلتْ إحـدى الجملتـين علـى الأخـرى لا يلـزم تفضـيل كـل أفـراد الجملـة ويؤيـده أن جـنس الصلاة أفضل من جنس الصوم وصوم يوم أفضل من ركعتين) [٣].

قلـت: تفضـيل شـهر رمضـان علـى غـيره مـن الشـهور بمـا فيهـا ذوالحجـة وعشـرها هـو الراجح، وقد نصّ عليه ابن حجر الهيتمي في التحفة واعتمده[٤].

قوله: (**وأعظمها حرمة**) أي: عند الله تعالى.

---

(١) وحسنه السيوطي لكن تعقبه المناوي ونقل عن الهيثمي بأن فيه يزيد بن عبد الملك النوفلي ضعيف اهـ مجمع الزوائد : ٣/٣١٠، قلت : نص ابن حجر في التحفة على صحته .

(٢) لسان العرب: (٣/٢٢٨) لابن منظور.

(٣) ذكره المناوي في فيض القدير: (٢/٦٤).

(٤) حيث قال ما نصّه: (يسن بل يتأكد صوم تسع الحجة للخبر الصحيح فيها المقتضي لأفضليتها على عشر رمضان الأخير ولذا قيل به) ثم ردّ هذا القول فقال: (لكنه غير صحيح؛ لأن المراد أفضليتها على ما عدا رمضان لصحة الخبر بأنه "سيد الشهور" مع ما تميز به من فضائل أخرى) تحفة المحتاج لابن حجر:(٣/٤٥٤).

قوله: (ذو الحجة) لأن فيه يوم الحج الأكبر ويوم عيد الأضحى، وقد دلّ هذا الحديث مع حديث الصحيحين "أيُّ شهر هذا ؟ أليس ذا الحجة الحرام ..." على فضل شهر ذي الحجة وأنه يأتي بعد شهر رمضان من حيث ترتيب الأفضلية وبه قال جماعة، وذهب آخرون إلى تقديم شهر رجب وآخرون إلى تقديم شهر المحرم؛ قال المناوي عند شرح حديث "رجب شهر الله": (وأخذ بقضيته بعض الشافعية فذهب إلى أن رجب أفضل الأشهر الحرم، قال ابن رجب وغيره: وهو مردود والأصح أن الأفضل بعد رمضان المحرم)[١].

(١) فيض القدير: (١٨/٤) للمناوي.

الحديث الثاني عشر

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال :(**من صام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم ذنبه**) رواه البخاري ومسلم وغيرهما.

شرح الحديث

قوله: (**من صام رمضان إيماناً**) أي: صامه إيماناً بفرضيته وتصديقاً بثواب الله ووعده.

قوله: (**واحتساباً**) الاحتساب: هو الإخلاص لله، وقال البغوي: قوله: "احتساباً" أي: طلباً لوجه الله تعالى وثوابه؛ يقال: فلان يحتسب الأخبار ويتحسّبها أي: يتطلبها[(١)].

وعليه فيكون معنى قوله "إيماناً واحتساباً" أن يصومه على التصديق والرغبة في ثوابه؛ طيبةً به نفسه؛ غير كاره له ولا مستثقل لصيامه ولا مستطيل لأيامه لكن يغتنم طول أيامه لعظم الثواب، قاله الخطابي[(٢)].

وفيه تنبيه على أن الإيمان وهو التصديق والاحتساب شرط لنيل الثواب.

قوله: (**غفر له**) المعنى : من صامه على هذا الوصف كان ذلك سبباً لحصول المغفرة له ، وقد خصه الجمهور بالذنوب الصغائر.

قوله: (**ما تقدم من ذنبه**) وقع في حديث قتيبة زيادة "وما تأخر"، قال الحافظ المنذري: "انفرد بهذه الزيادة قتيبة بن سعيد عن سفيان وهو ثقة ثبت وإسناده على شرط الصحيح"[(٣)].

---

(١) الترغيب والترهيب : (٢/٥٥) للمنذري.

(٢) ذكره الحافظ ابن حجر في الفتح: (٤/١١٥).

(٣) الترغيب والترهيب :(٢/٥٦) للمنذري.

و قد دلّ الحديث على فضل رمضان وصيامه وأنه تُنال به المغفرة؛ فينبغي الإتيان به بنية خالصة وطوية صافية امتثالا لأمره تعالى واتكالا على وعده من غير كراهية وملالة لما يصيبه من أذى الجوع والعطش بل يحتسب النصب والتعب في طول أيامه ولا يتمنى سرعة انصرامه فإذا لم يفعل ذلك فقد يدخل في حديث " رب صائم ليس له من صيامه إلا الجوع". قال الكرماني: "ولو ترك الصوم فيه لمرض ونيته أنه لولا العذر صامه دخل في هذا الحكم كما لو صلى قاعدا لعذر فإن له ثواب القائم"[١].

الحديث الثالث عشر

---

(١) نقله عنه المناوي في فيض القدير: (٦/١٦٠).

عن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (**إن الله افترض صوم رمضان، وسننت لكم قيامه ، فمن صامه وقامه إيماناً واحتساباً ويقيناً كان كفارة لما مضى**) رواه النسائي والبيهقي بإسناد حسن .

شرح الحديث

قوله: (**إن الله افترض**) أي: أوجب وكتب.

قوله: (**صوم رمضان**) يعني على هذه الأمة بقوله "كتب عليكم الصيام فمن شهد منكم الشهر فليصمه" وكان كتبه على أهل الإنجيل فأصابهم موتان فزادوا عشراً قبله وعشراً بعده فجعلوه خمسين، وقيل وقع في برد وحر شديد فجعلوه بين الشتاء والربيع وزادوا عشرين كفارة للتحويل، وبالجملة فالصوم عبادة قديمة أصلية ما أخلى الله أمة من افتراضها عليهم . ذكره الزمخشري في تفسيره[١].

قوله: (**وسننت لكم قيامه**) أي جعلت لكم الصلاة فيه ليلاً سنة، والمراد صلاة التراويح؛ وجمهور العلماء على أنها عشرون ركعة كما جرى عليه الصحابة والتابعون وعلماء السلف والخلف من الأئمة الأربعة وأتباعهم.

قوله: (**فمن صامه وقامه**) يفهم منه أن يواظب على ذلك ولا يتركه حيث لا عذر.

قوله: (**إيماناً واحتساباً ويقيناً**) تقدم ما قيل في معناه؛ وهو أن يصومه ويقومه على التصديق والرغبة في ثوابه؛ طيبةً به نفسه؛ غير كاره له ولا مستثقل لصيامه وقيامه مغتنماً طول أيامه لعظم الثواب .

قوله: (**كان كفارة لما مضى**) أي : من صام هذا الشهر الكريم وقام لياليه سالماً من المعاصي القولية والفعلية مصدّقاً بأنه حق وطاعة ؛ ومحتسباً لوجهه تعالى لا رياء ولا سمعة فإنه يكون كفارة لما مضى من ذنوبه الصغائر.

---

(١) الكشاف عن غوامض حقئق التنزيل : (٢٢٥/١) للزمخشري.

الحديث الرابع عشر

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: (**كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أجود الناس؛ وكان أجود ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل؛ وكان يلقاه في كل ليلة**

من رمضان فيدارسه القرآن؛ فلرسول الله صلى الله عليه وسلم أجود بالخير من الريح المرسلة) أخرجه البخاري ومسلم وغيرهما.

شرح الحديث

قوله: (كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أجود الناس) أي: أكثرهم كرماً وسخاءً وبذلاً. قال أبو البقاء الكفوي:" الجود: صفة ذاتية للجواد ولا يستحق بالاستحقاق ولا بالسؤال، والكرم: مسبوق باستحقاق السائل والسؤال منه"[(١)].

قوله: (وكان أجود ما يكون في رمضان) رُوي أنه صلى الله عليه وسلم "كان إذا دخل رمضان أطلق كل أسير وأعطى كل سائل"[(٢)]. قلت: هذا السبب الأول في زيادة جوده عليه الصلاة والسلام وهو كونه في المواسم المباركة، وقد دلّ الحديث على أنه ينبغي الإكثار في هذا الشهر من الصدقة والمواساة وتفقد الأرامل والأيتام.

قوله: (حين يلقاه جبريل) هذا السبب الثاني لزيادة جوده عليه الصلاة والسلام، و يؤخذ منه زيادة الجود والخير عند ملاقاة الصالحين، قال المهلّب: "وفيه بركة مجالسة الصالحين، وأن فيها تذكاراً لفعل الخير، وتنبيهاً على الازدياد من العمل الصالح، ولذلك أمر عليه السلام بمجالسة العلماء، ولزوم حلق الذكر، وشبه الجليس الصالح بالعطّار إن لم يصبك من متاعه لم تعدم طيب ريحه.ألا ترى قول لقمان لابنه: يا بني جالس العلماء، وزاحمهم بركبتيك، فإن الله يحيي القلوب بنور الحكمة، كما يحيي

---

(١) الكليات: (٣٥٣/١) لأبي البقاء الكفوي.

(٢) رواه البيهقي والبزار عن ابن عباس قال ابن الجوزي: فيه أبو بكر الهذلي قال ابن حبان : يروي عن الأثبات أشياء موضوعة، قال المناوي: "فيه ندب عتق الأسارى عند إقبال رمضان والتوسعة على الفقراء والمساكين" فيض القدير: (١٣١/٥).

الأرض الميتة بوابل السماء، وقال مرة أخرى: فلعل أن تصيبهم رحمة فتنالك معهم، فهذه ثمرة مجالسة أهل الفضل ولقائهم"[١].

قوله: (**وكان يلقاه في كل ليلة**) في هذا إشارة إلى استحباب المداومة على عمل الخير، وفيه اغتنام الأوقات الفاضلة بالعمل الصالح المستمر لأنها ليست كغيرها.

قوله: (**من رمضان فيدارسه القرآن**) قال العلماء: مدارسة جبريل للنبي عليه الصلاة والسلام فيه لأنه الشهر الذي أنزل فيه القرآن، وفيه تنبيه على أنه ينبغي الإكثار فيه من تلاوة القرآن ومدارسته في شهر رمضان. قال عبد الواحد: "ونزول جبريل في رمضان للتلاوة دليل عظيم لفضل تلاوة القرآن فيه، وهذا أصل تلاوة الناس للقرآن في كل رمضان، تأسيّاً به صلى الله عليه وسلم"[٢].

قوله: (**فلرسول الله صلى الله عليه وسلم أجود بالخير من الريح المرسلة**) قال الإمام النووي: "المراد كالريح في إسراعها وعمومها"[٣]، وقال ابن بطال: "في هذا دليل على بركة أعمال الخير، وأن بعضها يفتح بعضًا، ويعين على بعض، ألا ترى أن بركة الصيام، ولقاء جبريل وعرضه القرآن عليه زاد في جود النبي عليه الصلاة والسلام وصدقته حتى كان أجود من الريح المرسلة"[٤].

الحديث الخامس عشر

---

(١) شرح صحيح البخاري: (٢٣/٤) لابن بطال.

(٢) المصدر السابق .

(٣) شرح صحيح مسلم (٦٩/١٥) للنووي.

(٤) شرخ صحيح البخاري: (٢٢/٤) لابن بطال.

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (**رغم أنف رجل ذُكرتُ عنده فلم يصلّ عليّ ، ورغم أنف رجل دخل عليه رمضان ثم انسلخ قبل أن يغفر له، ورغم أنف رجل أدرك عنده أبواه الكبر فلم يدخلاه الجنة**) أخرجه الترمذي وحسّنه[١].

شرح الحديث

قوله: (**رغم أنف رجل**) رغم : بكسر الغين وقد تُفتح ؛ والمعنى : لصق أنفه بالتراب؛ وهو كناية عن حصول غاية الذل والهوان له ، وذكرُ الرجل هنا وصف طردي فيشمل المرأة أيضاً.

قوله: (**ذُكرتُ عنده فلم يصلّ عليّ**) أي : ذُكر عنده النبي صلى الله عليه وسلم فلم يأت بالصلاة المطلوبة عليه صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم، قال المناوي: والمعنى: "لحقه ذلٌّ وخزي مجازاة له على ترك تعظيمي ، أو خاب وخسر من قدر أن ينطق بأربع كلمات توجب عشر صلوات من الله ورفع عشر درجات وحط عشر خطيئات فلم يفعل؛ لأن الصلاة عليه عبارة عن تعظيمه فمن عظّمه عظّمه الله ومن لم يعظمه أهانه الله وحقّر شأنه"[٢].

قوله: (**ورغم أنف رجل**) أي: ذلّ وخسر.

قوله: (**دخل عليه رمضان ثم انسلخ قبل أن يغفر له**) أي : أدرك شهر المغفرة؛ وهو يعلم أنه لو كفّ نفسه عن الشهوات شهراً في كل سنة وأتى بما يجب عليه فيه من صيام وقيام غُفر له ما سلف من الذنوب فقصّر ولم يفعل حتى انسلخ الشهر ومضى،

---

(١) قال الترمذي عقبه: "وفي الباب عن جابر وأنس، وهذا حديث حسن غريب من هذا الوجه، وربعي بن إبراهيم هو أخو إسماعيل بن إبراهيم وهو ثقة".

(٢) فيض القدير: (٣٤/٤) للمناوي.

فمن وجد فرصة عظيمة بأن قام فيه إيماناً واحتساباً عظّمه الله ومن لم يعظّمه حقره الله وأهانه .

قوله: (**ورغم أنف رجل**) أي: ذلّ وخسر.

قوله: (**أدرك عنده أبواه الكبر فلم يدخلاه الجنة**) أي: أدرك أبويه أو أحدهما في كبر السن ولم يسعَ في تحصيل مآربهما والقيام بخدمتهما فيستوجب بذلك الجنة ، قال العلماء: قيّد بالكبر مع أن خدمة الأبوين ينبغي المحافظة عليها في كل زمن لشدة احتياجهما إلى البر والخدمة في تلك الحالة .

فائدة: قال ابن حجر: كأنّ وجه الإتيان (بثمّ) ، هنا أن بين ابتداء رمضان وبين انقضائه مهلة طويلة، بخلاف سماع ذكره عليه السلام والصلاة عليه، فإنها تطلب عقب السماع من غير مهلة، وكذا بر الوالدين فإنه يتأكد عقب احتياجهما المكنى عنه بالكبر[١].

الحديث السادس عشر

---

(١) : المرقاة شرح الشكاة: (٢/٧٤٥) للقاري.

عـن ابـن عبـاس رضـي الله عنهمـا أن النـبي صـلى الله عليـه وسـلم قـال : (**عمـرة في رمضان تعدل حجة معي**) أخرجه البخاري ومسلم وغيرهما.

سبب الحديث: عن عطاء قال: سمعت ابن عباس رضي الله عنهما يُخبّرنا يقول: "قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لامرأة من الأنصار -سماها ابن عباس فنسيت اسمها- ما منعك أن تحجي معنا؟ قالت: كان لنا ناضح، فركبه أبو فلان وابنه -تعني زوجها وابنها- وترك ناضحا ننضح عليه. قال: "فإذا كان رمضان اعتمري فيه، فإن عمرة في رمضان حجة"، وفي سنن النسائي والطبراني في قصة تشبه هذه سمّى المرأة أم معقل زينب وزوجها أبو معقل الهيثم، ووقع مثله لأم طليق وأبي طليق عند ابن أبي شيبة وابن السكن، وعند ابن حبان في صحيحه قالت أم سليم: "حج أبو طلحة وابنه وتركاني" فلعلها وقائع متعددة والله أعلم.

شرح الحديث

قوله: (**عمرة في رمضان**) قال الزبيدي: "العمرة: الزيارة التي فيها عمارة الوقت وجُعل في الشرع للقصد المخصوص"(١)، وفيه دليل على أن ثواب العمل يزداد بزيادة شرف الوقت كما يزيد بحضور القلب وخلوص النية فإن أفضل أوقات العمرةِ رمضانُ .

قولـه: (**تعـدل حجـة**) أي تقابلهـا وتماثلهـا في الثـواب؛ لأن الثـواب يفضـل بفضـيلة الوقت، وفيه تنبيه على فضيلة العمرة في رمضان .قال الطيبي : "وهذا من باب المبالغة وإلحـاق النـاقص بالكامـل ترغيبـاً وبعثـاً عليـه وإلا كيـف يعـدل ثـواب العمـرة ثـواب الحج"(٢).

---

(١) تاج العروس: (١٣/١٣٠) للزبيدي.

(٢) إرشاد الساري إلى صحيح البخاري: (٣/٢٦٦) للقسطلاني

قلت: وفي هذا الحديث دليل على أن الشيء قد يشبه الشيء ويُجعل عِدلَه إذا أشبهه في بعض المعاني لا كلّها.

قوله: (**معي**) ترغيب في الحث عليها؛ والسعي إليها،حيث بيّن أن عمرة رمضان تعدل الحجة التي يكون فيها حاضراً بشخصه عليه الصلاة والسلام.

قلت: وبهذا يكون صلى الله عليه وسلم قد جمع في الترغيب بين حصول المضاعفة وشرف المرافقة؛ فربما كان الثاني أبلغ في التحفيز عند أُناسٍ من الأول.

تنبيه: اعلم أن العمرة في رمضان وإن كان ثوابها كثواب الحج إلا أنها لا تقوم مقامه في إسقاط الفرض للإجماع على أن الاعتمار لا يجزئ عن فرض الحج .

الحديث السابع عشر

عن ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (**رمضان بمكة أفضل من ألف رمضان بغير مكة**) أخرجه البزار في مسنده[١].

شرح الحديث

قوله: (**رمضان بمكة**) أي: صوم شهر رمضان وهو مقيم بمكة أفضل من صومه في أي بلدٍ غيرها.

قوله: (**أفضل من ألف رمضان**) المعنى: يُضاعف ثوابه ألف ضعف؛ لأن الله تعالى اختار مكة لبيته الحرام؛ وجعلها مناسك لعباده؛ وحرماً آمناً؛ وخصّها بخواص كثيرة منها : مضاعفة الحسنات؛ وفي مضاعفة السيئات قولان : قيل تضاعف وقيل لا ؛ وحاول ابن القيم تنزيلهما على حالين فقال: "تضاعف مقادير السيئات لا كمياتها؛ فإن السيئة جزاؤها سيئة؛ فإن تكن سيئةً كبيرةً فجزاؤها مثلها؛ وإن تكن صغيرةً فجزاؤها مثلها؛ والسيئةُ في حرم الله أكبر منها في أطراف الأرض ولهذا من عصى الملك على بساط ملكه ليس كمن عصاه بمحل بعيد"[٢].

قوله: (**بغير مكة**) شمل هذا الإطلاق المدينة؛ وحديث "رمضان بالمدينة خير من ألف رمضان فيما سواها من البلدان" ضعيف[٣]؛ ويُحمل على فرض ثبوته على أن هذه الأفضلية تُستثنى منها مكة فإن صوم رمضان فيها أفضل من غيرها مطلقاً.

---

(١) قال الهيثمي: "فيه عاصم بن عمرو ضعفه أحمد وغيره ووثقه ابن حبان وقال: يخطئ ويخالف"اهـ. مجمع الزوائد:(١٧٦/٦).

(٢) زاد المعاد: (٥٢/١) لابن القيم.

(٣) أخرجه الطبراني والضياء المقدسي عن بلال بن الحارث المزني؛ قال الهيثمي في مجمع الزوائد: (٣٠١/٣): فيه عبد الله بن كثير وهو ضعيف؛ وقال الذهبي: ولم يصب ضياء الدين بإخراجه في المختارة.

الحديث الثامن عشر

عن جابر رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (**إن لله تعالى عند كل فطر عتقاء من النار وذلك في كل ليلة**) رواه الإمام أحمد في المسند والطبراني في الكبير وغيرهم (١).

شرح الحديث

قوله: (**إن لله تعالى**) فيه التأكيد بـ"إنّ" لزيادة الترغيب، وفي رواية (لله تعالى عتقاء).

قوله: (**عند كل فطر**) أي وقت فطر كل يوم من رمضان وهو تمام الغروب، وخُصّ لأنه تمام العبادة؛ وإنما يوفّى العامل أجره إذا أتمّه.

قوله: (**عتقاء من النار**) عتقهم نجاتهم وخلاصهم من دخول نار جهنم ، والعتقاء هم من صائمي رمضان كما يشهد له قوله "عند كل فطر" كما قاله بعضهم.

قلت: ولا يبعُدْ أن يتناول العتق أهل الأعذار كالشيخ الهرم والمريض؛ إذ فضل الله واسع؛ وعليه يكون قوله" عند كل فطر" إشارة إلى زمن العتق لا إلى حال المعتوق.

قوله: (**وذلك في كل ليلة**) يعني أن العتق يقع كل ليلة من رمضان كما جاء مصرحا به في روايات أخر ، كما أن وقوعه لا يختصّ بلياليه بل يشمل أيامه أيضاً كما دلت عليه أحاديث أخرى منها حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (إن لله تعالى عتقاء في كل يوم وليلة)(٢)، وهذا أيضا مُعلِم بعِظَم فضل الشهر وصومه.

---

(١) قال الهيثمي في مجمع الزوائد: (١٤٣/٣): "رجال أحمد والطبراني موثقون"، وقال الحافظ ابن حجر في إتحاف الخيرة (١٠٣/٣): "رجاله ثقات".

(٢) أخرجه البيهقي في كتاب الدعوات الكبير: (٢٣٥/٢)

تتمة: لم تصرح الرواية بعدد العتقاء وقد وقع في أحاديث أخرى كحديث البيهقي"لله عند كلِّ فطرٍ من شهر رمضان كلَّ ليلة عتقاءُ من النار ستون ألفا فإذا كان يومُ الفطر أعتق مثلَ ما أعتق في جميعِ الشهر ثلاثين مرةً ستين ألفا" [١].

(١) قال المنذري في الترغيب والترهيب: (٦٣/٢) : "حديث حسن لا بأس به في المتابعات، وفى إسناده ناشب وثق، وتكلم فيه الدارقطني".

الحديث التاسع عشر

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (**إن لكل مسلم في كل يوم وليلة -يعني في رمضان- دعوة مستجابة**). رواه البزار في مسنده[1].

شرح الحديث

قوله: (**إن لكل مسلم**) اسم جنس فيشمل الذكر والأنثى؛ وقد رواه البيهقي في (الدعوات) بلفظ:"لكل مسلم ومسلمة"، قلت: ولا يخفى أن هذا إنما هو للصائم الذي أقام حقيقة الصوم وأتى به على وجهه المطلوب.

قوله: (**في كل يوم وليلة**) أي: من شهر رمضان، وهذا مما أعطاه الله تعالى هذه الأمة وخصهم به؛ حيث جعل دعاءهم طوال أيام رمضان ولياليه مستجاب؛ إلا أنه يتأكد الدعاء عند الإفطار لحديث "إن للصائم عند فطره لدعوة ما ترد"، وحديث "ثلاثة لا تردّ دعوتهم – وعدّ منهم – الصائم حتى يُفطر" أخرجه الترمذي وحسنه.

قوله: (**دعوة مستجابة**) أي: مقبولة لا يردها الله تعالى؛ قال المناوي: "وإنما كان دعاء الصائم مستجاباً لأن الصوم منع النفس عن الشهوات فإذا ترك شهوته من أجل الله تعالى صفا قلبه وصلح حاله فاستجيب عند ذلك دعاؤه"[2].

قال النووي في المجموع: "يستحب للصائم أن يدعو في حال صومه بمهمات الآخرة والدنيا له ولمن يحب وللمسلمين لهذا الحديث"[3].

---

(١) قال في مجمع الزوائد: (١٤٣/٣): "فيه أبان بن أبي عياش، وهو ضعيف".

(٢) فيض القدير: ٢٨٧/٥ للمناوي.

(٣) المجموع:(٣٧٥/٦) للنووي.

فائدة: قال العلماء: الاستجابة بين حالتين : بين أن تُعجَّل لصاحبها في الدنيا ، وإما أن تؤخَّر له في الآخرة ، فإن كان مطلوبه الذي سأله مقدّراً عُجّل له وإلا ادخر له في العقبى؛ وفي كلٍ خير.

الحديث العشرون

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : **(من أفطر يوماً من رمضان في غير رخصة رخصها الله له، لم يقضِ عنه صيام الدهر كلّه وإن صامه)** أخرجه الإمام أحمد وأصحاب السنن[١].

شرح الحديث

قوله: (من أفطر يوما من رمضان) خصّه بالذكر تنويهاً لحرمته وتنبيهاً لعظيم منزلته، قال بعضهم: وإذا كان الوعيد المذكور في هذا الحديث لمن أفطر يوماً من أيامه بغير عذر فهذا يسلتزم الأجر الكبير لمن صام يوماً منه إيماناً واحتساباً .

قوله: (في غير رخصة رخصها الله له) وفي رواية "من غير عذر" وفي رواية "من غير علّة"، ويؤخذ منه أن أصحاب الأعذار لا يشملهم هذا الزجر والوعيد كما هو ظاهر.

قوله: (لم يقض عنه صيام الدهر كله) هذا خرج مخرج المبالغة والزجر عن أن يفطر الصائم بلا عذر.

قوله: (وإن صامه) أي : الدهر ، والمعنى : أن القضاء لمن أفطر يوماً بلا عذر لا يقوم مقام الأداء وإن صام عوض اليوم دهراً ؛ لأن الإثم لا يسقط بالقضاء وإن سقط به الصوم، ولأن القضاء لا يساوي الأداء في الكمال، قال ابن المنير: "هذا هو الأليق

---

(١) هذا الحديث ضعَّفه المحدثون لأن فيه أبا المطوس ابن يزيد وقد تفرد به، قال البخاري: لا أعرف له غيره ولا أدري سمع أبوه من أبي هريرة أم لا، وقال القرطبي: حديث ضعيف لا يحتج بمثله، وممن جزم بضعفه البغوي والدميري، وقال الحافظ ابن حجر: فيه اضطراب؛ وقد تكلم عنه في الفتح: (١٦١/٤). قلت: ومن تساهل في قبول هذا الحديث احتج بأنه علّقه البخاري في صحيحه، و رواه أبو داود وسكت عنه، وأنه ورد من طرق أخرى موقوفة على أبي هريرة وابن مسعود رضي الله عنهما.

بمعنى الحديث ولا يحمل على نفي القضاء بالكلية ، إذ لا تعهد عبادة واجبة مؤقتة لا تقبل القضاء"[١].

وقد دلّ الحديث على تحريم الإفطار في رمضان بغير عذر وأنه من الكبائر[٢].

---

(١) أخذ بعضهم بظاهر هذا الحديث فقالوا : لا يقضي من أفطر بغير عذر لا يوماً ولا غيره لأنه لا يجزئه كما نص عليه الحديث، وحمله الجمهور على الزجر وأنه يجب عليه قضاء يومٍ بدله وإمساك بقية النهار.

(٢) الزواجر : ٣٢٣/١ لابن حجر الهيتمي ، الكبيرة الأربعون والحادية والأربعين بعد المائة.

الحديث الحادي والعشرون

عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى ذات ليلة في المسجد، فصلى بصلاته ناس، ثم صلى من القابلة، فكثر الناس، ثم اجتمعوا من الليلة الثالثة أو الرابعة، فلم يخرج إليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلما أصبح قال: **"قد رأيت الذي صنعتم ولم يمنعني من الخروج إليكم إلا أني خشيت أن تفرض عليكم وذلك في رمضان"**. رواه البخاري ومسلم وغيرهما.

شرح الحديث

قولها: (صلى ذات ليلة) أي: قام يصلي من الليل، وكان قيام الليل فرضاً عليه.

قولها: (في المسجد) أخذ منه الجمهور استحباب فعل التراويح جماعةً في المسجد؛ وأيّده فعل عمر رضي الله عنه عندما جمع الناس على قاريء واحد في أيام خلافته، قال الحافظ العراقي:" استدل به على أن الأفضل في قيام شهر رمضان أن يفعل في المسجد في جماعة لكونه عليه الصلاة والسلام فعل ذلك وإنما تركه لمعنى قد أَمِن بوفاته عليه الصلاة والسلام وهو خشية الافتراض؛ وبهذا قال الشافعي وجمهور أصحابه وأبو حنيفة وأحمد وبعض المالكية، وقد أمر به عمر بن الخطاب رضي الله عنه واستمر عليه عمل الصحابة رضي الله عنهم وسائر المسلمين وصار من الشعائر الظاهرة كصلاة العيد، وذهب آخرون إلى أن فعلها فرادى في البيت أفضل لكونه عليه الصلاة والسلام واظب على ذلك قبل هذه الليالي وبعدها وتوفي والأمر على ذلك ثم كان الأمر على ذلك في خلافة أبي بكر وصدراً من خلافة عمر، وبهذا قال مالك وأبو يوسف" [١].

---

(١) طرح التثريب: (٣/٩٤ – ٩٥) للعراقي.

قولها: (**فصلى بصلاته ناس**) أي أنهم اقتدوا به، وهو دليل على جواز أداء النافلة جماعةً، وأخذ منه الفقهاء أنه لايشترط لصحة الجماعة نية الإمام بل يكفي نية المأموم؛ وعليه يجوز الإقتداء به وإن لم يعلم.

قلت: في عدم إنكاره عليهم إقرار لفعلهم، قال في عمدة القاري: "وفيه أن قيام رمضان سنة بالجماعة وليس كما زعمه بعضهم أنه سنة عمر رضي الله عنه"[(١)].

قولها: (**ثم صلى من القابلة، فكثُر الناس**) أي أنهم تداعوا وأخبر بعضهم بعضاً، وفي رواية في البخاري "فأصبح الناس فتحدثوا" وعند أحمد في المسند "فلما أصبح تحدثوا أن النبي صلى الله عليه وسلم صلى في المسجد من جوف الليل فاجتمع أكثر منهم"ومنه يؤخذ استحباب التداعي إلى الخير والتواصي بالحق.

قولها: (**ثم اجتمعوا من الليلة الثالثة أو الرابعة**) هكذا بالشك في هذه الرواية، والذي دلت عليه الروايات الأخرى أنهم صلوا خلفه ثلاث ليال ولما كانت الليلة الرابعة لم يخرج؛ ففي رواية البخاري "فكثر أهل المسجد من الليلة الثالثة فخرج فصلوا بصلاته فلما كانت الليلة الرابعة عجز المسجد عن أهله" وفي رواية أحمد "امتلأ المسجد حتى اغتص بأهله".

قولها: (**فلم يخرج إليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم**) مع علمه بوجودهم كما جاء مصرحاً به، وفي رواية في البخاري "وظنوا أنه قد نام فجعل بعضهم يتنحنح ليخرج إليهم"ووقع في رواية "فرفعوا أصواتهم وحصبوا الباب".

وقد دلّ فعلهم هذا على حرصهم على الخير والخوف من فواته. ودلّ أيضاً على كمال شفقته عليه الصلاة والسلام ورأفته بأمته.

---

(١) عمدة القاري: (١٧٧/١) للعيني.

قولها: (**فلما أصبح**) المراد: صلى الصبح؛ كما فسّرته رواية البخاري "فلما قضى صلاة الفجر أقبل على الناس فتشهد ثم قال أما بعد فإنه لم يخف علي مكانكم".

قوله: (**قد رأيتُ الذي صنعتم**) أي: علمتُ بوجودكم وانتظاركم لي، فالرؤية قد تكون علمية وقد تكون بصرية وقد تكون حلمية، والمقصود هنا الأولى.

قوله: (**ولم يمنعني من الخروج إليكم إلا أني خشيت أن تفرض عليكم**) قال ابن بطال:" دلّ أنه كان فرضاً عليه وحده. وقد رُوي عن ابن عباس أن قيام الليل كان فرضًا على النبي صلى الله عليه وسلم[١]. وقد أخذ العلماء من هذا الحديث القاعدة المشهورة "إذا تعارضت مصلحتان قُدّم أهمّهما" لأنه عليه الصلاة والسلام كان رأى الصلاة في المسجد مصلحة لبيان الجواز أو أنه كان معتكفًا، فلما عارضه خوف الافتراض عليهم تركه لعظم المفسدة التي يخاف من عجزهم[٢].

فائدة: روى البخاري في صحيحه عن عبد الرحمن بن عبد القارئ أنه قال خرجت مع عمر بن الخطاب ليلة في رمضان إلى المسجد فإذا الناس أوزاع متفرقون يصلي الرجل لنفسه ويصلي الرجل فيصلي بصلاته الرهط فقال عمر إني أرى لو جمعتم هؤلاء على قارئ واحد لكان أمثل ثم عزم فجمعهم على أبي بن كعب ثم خرجت معه ليلة أخرى والناس يصلون بصلاة قارئهم فقال عمر: "نعم البدعة هذه والتي ينامون عنها أفضل من التي يقومون" يريد آخر الليل وكان الناس يقومون أوله.

---

(١) شرح صحيح البخاري: (١١٧/٣) لابن بطال.

(٢) شرح سنن أبي داود: (٢٧٧/٥) للعيني.

الحديث الثاني والعشرون

عن سلمان الفارسي رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (**من فطّر صائماً على طعام وشراب من حلال صلّت عليه الملائكة في ساعات شهر رمضان وصلى عليه جبرائيل ليلة القدر**) رواه البزار في مسنده والطبراني في الكبير(١).

شرح الحديث

قوله: (**من فطّر صائماً**) سواء أطعمه عشاءً أو فطّره بتمر فإن لم يتيسر فبماء، ففي حديث ابن خزيمة (قالوا : ليس كلنا يجد ما يفطر الصائم ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "يعطي الله هذا الثواب من فطّر صائماً على تمرة أو شربة ماء أو مذقة لبن") . وعند أبي الشيخ ابن حبان (قلت يا رسول الله: أفرأيت من لم يكن عنده ؟ قال: فقبصة من طعام(٢). قلت: أفرأيت إن لم يكن عنده ؟ قال : فشربة من ماء).

قوله: (**على طعام وشراب**) هذا من باب الأكمل والأفضل، فلو اقتصر على أحدهما أُثيب ثواب تفطير الصائم، بل تقدّم قريباً أن الأجر يحصل ولو بالماء.

قوله: (**من حلال**) فإن لم يجد فما كان أخفَّ شبهة كان ارتكابه أسلم؛ وذلك لأن الله تعالى طيّب لا يقبل إلا طيباً، وهو سبب قوي في حصول سرّ الصوم وبركته؛ قال الشيخ باسودان معلقاً على قول الرسالة الجامعة "وتحرّي الإفطار على حلال": "خالص عن الشبهة؛ وقد عزّ في زماننا هذا والله المستعان"(٣).

---

(١) مسند البزار: ٤٦٩/٦، ومعجم الطبراني الكبير: ٢٦١/٦.

(٢) القبصة بالصاد المهملة : هو ما يتناوله الآخذ بأنامله الثلاث.

(٣) الأنوار الامعة شرح الرسالة الجامعة للشيخ عبد الله باسودان ص (٤١٩-٤٢٠).

قلت: المقصود بالحلال: "الحلال الصُوري" لا الحلال الصِرف كما قال الفقهاء؛ والحلال الصوري: هو ما لم يعلم أصله؛ لكن مع سكون القلب إليه، وأما مع عدم سكون القلب إليه فهو شبهة.

قوله: (**صلّت عليه الملائكة**) أي: استغفرت له الملائكة، يحتمل أن المراد بالملائكة الحفظة ويحتمل أن المراد ملائكة موكلين بالدعاء لمن فطّر الصائمين.

قوله: (**في ساعات شهر رمضان**) الساعة: القطعة من الزمن، والمراد: جميع آناء رمضان من ليل أو نهار، وهو دليل على كثرة الثواب مقابل العمل اليسير حيث لم يقل: صلت عليه الملائكة ذلك اليوم، ولعل هذه مزية لمن فطّر صائماً في رمضان.

قوله: (**وصلى عليه جبرائيل ليلة القدر**) هذا من باب ذكر الخاص بعد العام، وفي ذكر أمين الملائكة منفرداً تنبيه على عظم هذا العمل، فهو كقوله تعالى (تنزّل الملائكة والروح) قلت: وقد رواه أبو الشيخ ابن حبان في كتاب الثواب بلفظ "وصافحه جبرائيل ليلة القدر" وزاد فيه "ومن صافحه جبرائيل عليه السلام يرقُّ قلبه وتكثر دموعه ".

تتمة: ورد في الأحاديث ذكر أنواع من المثوبات لمن فطّر الصائم منها:

١- عند الترمذي (من فطّر صائماً فله مثل أجره؛ لا ينقص من أجر الصائم شيء).

٢-في حديث ابن خزيمة في صحيحه (من فطّر فيه صائماً كان مغفرة لذنوبه وعتق رقبته من النار).

٣-في حديث الطبراني المذكور هنا (صلّت عليه الملائكة في ساعات شهر رمضان وصلى عليه جبرائيل ليلة القدر).

الحديث الثالث والعشرون

عن أنس رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (**أفضل الصدقة صدقة رمضان**) رواه الترمذي في جامعه والبيهقي وغيرهما[(١)].

شرح الحديث

قوله: (**أفضل الصدقة**) أي : أعظمها أجراً وأكثرها ثواباً ، وقد يُحمل على ظاهره فتكون هذه أفضل الصدقات مطلقاً ، وقد يكون على تقدير "من أفضل الصدقة" ويؤيده أن الصدقة قد يعظم أثرها في بعض الحالات فتكون أعظم أجراً من الصدقة في رمضان .

قوله: (**صدقة في رمضان**) وذلك لأن التوسعة فيه على عيال الله محبوبة؛ والله تعالى جعل شهر رمضان موسماً لإفاضة الرحمة على عباده أضعاف ما يفيضها في غيره فكانت الصدقة فيه أفضل ثواباً منها في غيره .ولهذا كان المصطفى صلى الله عليه وسلم أجود ما يكون في رمضان. قلت: وقد دلّ الحديث على ندب إكثار الصدقة فيه ومزيد الإنفاق على المحتاجين والتوسعة على عياله وأقاربه ومحبيه فيه .

فائدة: للصدقة فوائد كثيرة أشهرها: أنها تطهر صاحبها من الذنوب والخطايا، قال تعالى (خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا) والصدقة تشمل الزكاة والصدقة المستحبة، وأنها تطهّر المال قال صلى الله عليه وسلم :"يا معشر التجار إن البيع يحضره اللغو والحلف فشوبوه بالصدقة".ومن فوائدها أنها ترفع البلاء عن صاحبها قال صلى الله عليه وسلم: "الصدقة تسد سبعين باباً من الشر". و أنها سبب للشفاء والتداوي قال صلى الله عليه وسلم: "داووا مرضاكم بالصدقة"، وغير هذا كثير[(٢)].

---

(١) قال الترمذي: "هذا حديث غريب، وصدقة بن موسى ليس عندهم بذاك القوي".

(٢) انظر تخريج هذه الأحاديث ي الترغيب والترهيب للمنذري: (١/٣٠٠) وما بعدها.

الحديث الرابع والعشرون

عن ضمرة وراشد بن سعد رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (**انبسطوا في النفقة في شهر رمضان فإن النفقة فيه كالنفقة في سبيل الله**) رواه ابن أبي الدنيا[١].

شرح الحديث

قوله: (**انبسطوا**) أي : أكثروا وأوسعوا، يقال بسط الله الرزق كثّره ووسّعه، والمراد التوسعة في شهر رمضان على الأهل والأقارب وكذا الفقراء إن فضل عن أولئك شيء

قوله: (**في النفقة في شهر رمضان**) الإنفاق يشمل النفقة الواجبة كنفقة الوالدين والزوجة والأولاد، كما يشمل النفقة المندوبة كالأنفاق على ذي الرحم والجوار وغيرهم.

قوله: (**فإن النفقة فيه**) فيه خصوصية لشهر رمضان وأن الأعمال تضاعف أضعافاً كثيرة ومنها النفقة.

قوله: (**كالنفقة في سبيل الله**) أي: يعدل ثوابها ثواب النفقة في الجهاد وقتال أعداء الله، وفي تشبيه النفقة في شهر رمضان بالنفقة في الجهاد دليل على فضل النفقة في شهر رمضان؛ وأنها سبب تكثير الأجر وتكفير الوزر.

---

(١) الحديث مرسل، رواه ابن أبي الدنيا في "فضائل رمضان" (٥٢/١) برقم (٢٤) عن ضمرة و راشد بن سعد الحمصي، أما ضمرة فغير منسوب وأما راشد فقال عنه المناوي: "ثقة كثير الإرسال من الطبقة الثالثة؛ أرسل عن سعد وعوف بن مالك وشهد صفين وقال الذهبي: ثقة مات سنة ١١٣". انظر: فيض القدير: (٥١/٣) .

الحديث الخامس والعشرون

عن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (**إذا دخل أحدكم على أخيه المسلم فأراد أخوه أن يفطر فليفطر إلا أن يكون صومه ذلك رمضان أو قضاء رمضان أو نذراً**) رواه الطبراني في الكبير[١].

شرح الحديث

قوله: (**إذا دخل أحدكم على أخيه المسلم**) أي : جاء عنده لأمر وهو صائم. والأخ هنا يشمل أعمّ من أخوة النسب؛ بل المراد أخوة الإسلام .

قوله: (**فأراد أخوه أن يفطر**) أي: التمس أخوه منه أن يقطع صومه ويتغدى.

قوله: (**فليفطر**) أي : فليمتثل أمره وليأكل ؛ والأمر هنا للاستحباب والندب لما في ذلك من جبر خاطره .

قوله: (**إلا أن يكون صومه ذلك رمضان**) أي : فلا يجوز له قطعه لأنه فرض، والعذر هذا لا يرخّص له في ترك الفرض لأجل السنة.

قوله: (**أو قضاءَ رمضان أو نذراً**) و ألحقوا بالثلاثة المذكورة كل صوم واجب[٢]، ففي هذه الأحوال لا يستجيب له؛ لأن صيامه فرض فلا يحل له قطعه، ولو كان موسّعاً لأن الواجب لا يجوز تركه لسنّة.

وقد دلّ الحديث على جواز قطع النفل بل استحبابه في مثل هذه الحالة، و دلّ أيضاً على أن صوم النفل لا يلزم بالشروع[١].

---

(١) فيه بقية بن الوليد مدلس، انظر: مجمع الزوائد : (٢٠١/٣) وحسَّنه السيوطي في الجامع الصغير لاعتضاده كما قال المناوي في فيض القدير:(٣٣٨/١).

(٢) وهي صوم الكفارات، والصوم إذا أمر به الإمام، والصوم لترك بعض أفعال الحج، فهذه الستة كلها واجبة يحرم قطعها .

الحديث السادس والعشرون

عن عائشة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم **قال** : (**إن الله تصدّق بفطر رمضان على مريض أمتي ومسافرها**) رواه ابن سعد في الطبقات[٢].

شرح الحديث

قوله: (**إن الله تصدق بفطر رمضان**) أي: رخص الله تعالى في الإفطار فيه تخفيفاً وتيسيراً على عباده.

قوله: (**على مريض أمتي**) أي : على من مرض مرضاً يشقّ معه الصوم ؛ وذلك لحاجته للدواء والغذاء بحسب حاجة جسمه .

قوله: (**ومسافرها**) أي: أنه رخص له في الفطر في السفر الذي استكمل الشروط التي تبيح له الإفطار ، وذلك لما يحتاجه المسافر من الغذاء في عمله وسفره ، ولأن السفر قطعة من العذاب فخفّف عنه لئلا يجتمع على العبد كلفتان فتتضاعف عليه المشقة ديناً ودنيا قال الله تعالى: (وما جعل عليكم في الدين من حرج) ، وفي معناه حديث أنس مرفوعاً : (إن الله تعالى وضع عن المسافر الصوم وشطر الصلاة) رواه أحمد وأصحاب السنن .

قلت: وفي هذا الأحكام ما يدلّ على عظمة الشريعة وتيسيرها حيث رفقت بالمكلفين وراعت مصالحهم ولم تكلفهم ما يشق عليهم ؛ وكان الله بعباده خبيرا.

---

(١) هذا مذهب الشافعية والجمهور استدلوا بحديث (الصائم المتطوع أمير نفسه ...) وقال الحنفية والمالكية يلزمه إتمامه وإن كان نفلاً .

(٢) الطبقات الكبرى: (٨٨/٧) لابن سعد، وحسنه المناوي في فيض القدير: (٢٢٠/٢).

الحديث السابع والعشرون

عن أنس رضي الله عنه قال : أفطر رسول الله صلى الله عليه وسلم عند سعد بن عبادة رضي الله عنه في رمضان فقال : (**أفطر عندكم الصائمون وأكل طعامكم الأبرار وصلت عليكم الملائكة**) رواه أحمد في مسنده وأبوداود في سننه وغيرهما[١].

شرح الحديث

قوله: (**أفطر عند سعد بن عبادة**) وقع هنا أنه قال ذلك لسعد بن عبادة، ووقع في بعض الروايات أنه قاله عندما أفطر عند سعد بن معاذ؛ فيُحتمل أنها واقعتان وأنه قاله لهما إذ لا مانع من التعدد .

قوله: (**أفطر عندكم الصائمون**) خبر بمعنى الدعاء بالخير والبركة لأن أفعال الصائمين تدل على اتساع الحال وكثرة الخير إذ من عجز عن نفسه فهو عن غيره أعجز.

قوله: (**وأكل طعامكم الأبرار**) ومثله شرب شرابكم، قال بعضهم:" دعاء أو إخبار، وهذا الوصف موجود في حق المصطفى صلى الله عليه وسلم لأنه أبرّ الأبرار"[٢]؛ وفي ذكر الأبرار ما يفيد أن هذه الجملة أعم مما قبلها .

قوله: (**وصلّت عليكم الملائكة**) أي: استغفرت لكم ، وقد يُراد بهم ملائكة موكّلين بالدعاء لمن فطّر الصائمين، وقد يُراد بهم الحفظة أو رافعي الأفعال أو الكلّ أو غير ذلك .

---

(١) وإسناده صحيح كما قال النووي في رياض الصالحين (دليل الفالحين:٦٨/٧)، والحافظ ابن حجر في تلخيص الحبير(٤٠٣/٣)، وقد رواه ابن ماجه وابن حبان عن ابن الزبير لكن في إسناده ضعف.

(٢) فيض القدير: (١٠٧/٥) للمناوي.

وقد دلّ الحديث على تواضع أهل الفضل والعلم؛ وإجابتهم لدعوة أتباعهم تطييباً لخواطرهم، وأنه يندب أن يُدعى بالدعاء المذكور لمن فطّر الصائم وذلك مكافأة له على ضيافته إياه .

لطيفة: عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم استأذن على سعد بن عبادة فقال: "السلام عليكم ورحمة الله" فقال سعد: وعليك السلام ورحمة الله، ولم يُسمِع النبيَّ صلى الله عليه وسلم حين سلَّم ثلاثاً وردَّ عليه سعد ثلاثا، ولم يُسمعه فرجع النبي صلى الله عليه وسلم وتبعه سعد فقال: يا رسول الله بأبي أنت وأمي ما سلّمتَ تسليمة إلا هي بأذني، ولقد رددتُ عليك ولم أُسمعك، أحببتُ أن أستكثر من سلامك ومن البركة، ثم أدخله البيت فقرّب له زبيباً فأكل نبيُّ الله صلى الله عليه وسلم فلما فرغ قال: "أكل طعامكم الأبرار، وصلت عليكم الملائكة، وأفطر عندكم الصائمون" رواه البزار وغيره.

الحديث الثامن والعشرون

عن أبي ذر رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (**إن الرجل إذا صلى مع الإمام حتى ينصرف كتب له قيام ليلة**) رواه الإمام أحمد والترمذي وقال: حسن صحيح.

سبب الحديث : عن أبي ذر قال : صمنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم رمضان فلم يقم بنا شيئاً من الشهر حتى مضى سبع فقام بنا حتى ذهب ثلث الليل فلما كانت السادسة لم يقم شيئا فلما كانت الخامسة قام بنا حتى ذهب الليل فقلت يا رسول الله لو نفلتنا قيام هذه الليلة ... فذكر الحديث.

شرح الحديث

قوله: (**إن الرجل**) ذكر الرجل هنا خرج مخرج الغالب وإلا فالمرأة تُشرع لها التراويح جماعة لأن الصلاة جماعة أكثر ثواباً وأشدّ نشاطاً، روى ابن أبي شيبة في المصنف "أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه جعل للناس قارئين في رمضان، فكان أُبيّ يصلي بالناس، وابن أبي حثمة يصلي بالنساء"[(١)].

قوله: (**إذا صلى مع الإمام**) أي اقتدى به واستمر معه، والمراد صلاة التراويح، وفيه استحباب أداء التراويح جماعة، ودلّ على الاستحباب ما في صحيح البخاري أن النبي صلى الله عليه وسلم قام ليلتين أو ثلاثاً في رمضان في المسجد وصلى خلفه جماعة[(٢)].

قوله: (**حتى ينصرف**) يعني ينتهي من صلاته؛ بأن يُسلّم من آخرها، وفي هذا تنبيه على الاستمرار مع الإمام إلى تمام الصلاة .

---

(١) ويكون باجتماعهن في بيت أو نحوه بعيداً عن أماكن الرجال ومجالسهم.

(٢) وسيأتي شرح هذا الحديث قريباً إن شاء الله تعالى.

قوله: (**كتب له قيام ليلة**) وفي رواية "حُسب"؛ والمعنى : أنه يثاب ثواباً كاملاً عن قيامه لهذه الليلة؛ وهذا بخلاف من يصلي مع الإمام البعض وينصرف.

الحديث التاسع والعشرون

عن عائشة رضي الله عنها قالت : (**كان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم يجتهدُ في رمضان ما لا يجتهد في غيره، وفي العشر الأواخِرِ منه ما لا يجتهد في غيره**) أخرجه مسلم وغيره.

شرح الحديث

قولها: (**كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجتهدُ**) أي: يبذل الوسع والطاقة في العبادة؛ ويقال في تعريف الاجتهاد: بذل المجهود في تحصيل المقصود، وسيأتي في الحديثين اللذين بعده أنه كان دخلت العشر شدّ مئزره وأيقظ أهله وأحيا ليلة.

قولها: (**في رمضان**) لشرفه على باقي الشهور، فيزداد همةً ونشاطاً من أول ليلة منه.

قولها: (**مالا يجتهد في غيره**) أي: من الأشهر، وقد تقدّم أنه دخل رمضان لم يأتي فراشه حتى ينتهي رمضان. قال الإمام الحداد : " ... لا يكثر التشاغل بأمور الدنيا في شهر رمضان، بل يتفرغ عنها لعبادة الله وذكره ما أمكنه، ولا يدخل في شيء من أشغال الدنيا إلا إن كان ضرورياً في حقه، أو في حق من يلزمه القيام به من العيال ونحوهم ، وذلك لأن شهر رمضان في الشهور بمنزلة يوم الجمعة في الأيام؛ فينبغي للمؤمن أن يجعل يوم جمعته وشهره هذا لآخرته خصوصاً "[١].

قولها: (**ويجتهد في العشر الأواخر من رمضان**) المعنى: أنه كان يخص العشر الأواخر بمزيد إقبال على الطاعة وتشمير في العبادة، وذلك لفضل العشر الأواخر على غيرها من الشهر، وقد أمر عليه الصلاة والسلام بالتماس ليلة القدر فيها.

قولها :(**ما لا يجتهد في غيره**) أي: من ليالي الشهر، وقد سبق أنه يوقظ أهله فيها ويحييها بالعبادة.

---

(١) النصائح الدينية ص (١٧٥) .

الحديث الثلاثون

عن عائشة رضي الله عنها قالت: (**كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا دخل العشر شدّ مئزره، وأحيا ليله، وأيقظ أهله**) أخرجه البخاري ومسلم وغيرهما.

شرح الحديث

قولها: (**كان إذا دخل العشر**) يعني العشر الأخير من رمضان كما في رواية ابن أبي شيبة، والمراد الليالي. وفيه دليل على أنه صلى الله عليه وسلم يخصّ العشر الأواخر من رمضان بمزيد اهتمام وإقبال على العبادة؛ قلت: ولا ينافيه الحديث المتقدم أنه كان يفعل ذلك إذا دخل رمضان فلعلّه هنا يزيد من همته ونشاطه، والله أعلم.

قولها: (**شدّ مئزره**) المئزر الإزار؛ وشدّهُ كناية عن التشمير والاجتهاد، وعليه يكون معنى شد المئزر : الجد في الطاعة ، وقد يكون معناه اعتزال النساء وتجنب غشيانهن(١).

قولها: (**وأحيا ليله**) أي ترك النوم الذي هو أخو الموت وتعبّد معظم الليل لا كلّه بقرينة حديث عائشة الآخر وفيه "ما علمته قام ليلة حتى الصباح"(٢).

فائدة: في أفضلية هذه العشر الأواخر على عشر ذي الحجة أقوال:

١-ذهب جمع إلى أن عشر ذي الحجة أفضل من العشر الأخير من رمضان ويؤيد هذا حديث "أفضل أيام الدنيا أيام العشر" قيل: ولا مثلهن في سبيل الله ؟ قال: "ولا مثلهن في سبيل الله إلا رجل عفّر وجهه بالتراب"(٣) رواه البزار في مسنده(١).وذلك

---

(١) دليل الفالحين: (٦٥٦/٦) لابن علان.

(٢) مسند الإمام أحمد (٣١٥/٤٠) وغيره وفيه زيادة " لا أعلم نبي الله صلى الله عليه وسلم قرأ القرآن كله في ليلة، ولا قام ليلة حتى أصبح، ولا صام شهرا كاملا غير رمضان" .

(٣) قال ابن حجر الهيتمي معلقاً على الحديث الوارد في أفضلية عشر ذي الحجة: "المراد أفضليتها على ما عدا رمضان لصحة الخبر بأنه "سيد الشهور" مع ما تميز به من فضائل أخرى".

لاجتماع أمهات العبادة فيها، وهي الأيام التي أقسم الله بها في التنزيل بقوله (والفجر وليال عشر).

٢- ذهب آخرون إلى أفضلية العشر الأواخر من رمضان تمسكاً بأن اختيار الفرض لهذا والنفل لذلك يدل على أفضليته عليه، مع ما ورد في فضلها وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم يجتهد فيها مالا يجتهد في غيرها.

٣-جمع بعضهم بين الفضيلتين، قال ابن القيم : الصواب أن ليالي العشر الآخر من رمضان أفضل من ليالي عشر الحجة وأيام عشر الحجة أفضل من أيام عشر رمضان لأن عشر الحجة إنما فضل ليومي النحر وعرفة وعشر رمضان إنما فضل بليلة القدر[٢].

قلت: وثمرة الخلاف تظهر فيما لو علّق نحو طلاق أو نذر بأفضل الأعشار أو الأيام.

---

(١) رواه البزار عن جابر؛ قال الحافظ الهيثمي:" إسناده حسن و رجاله ثقات" مجمع الزوائد:(١٧/٤).

(٢) قال ابن حجر الهيتمي في ردّ كلام ابن القيم فقال: "... فزعم أن هذه أفضل من حيث الليالي؛ لأن فيها ليلة القدر وتلك أفضل من حيث الأيام؛ لأن فيها يوم عرفة؛ غير صحيح وإن أطنب قائله في الاستدلال له بما لا مقنع فيه فضلاً عن صراحته" اهـ التحفة:٤٥٤/٣.

الحديث الحادي والثلاثون

عن عائشة رضي الله عنها قالت : (**كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا كان رمضان قام و نام ؛ فإذا دخل العشر شدّ المئزر و اجتنب النساء و اغتسل بين الأذانين و جعل العشاء سحورا**) رواه الطبراني[١].

شرح الحديث

قولها: (كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا كان رمضان قام و نام) أي: إذا دخل الشهر ربما نام ثم قام، والمعنى: أنه قد يرتاح من تعب العبادة بأن يرقد قليلاً.

قولها: (فإذا دخل العشر) فيه دليل على مزيد الاهتمام بشأن هذه العشر، وتخصيصها بالاجتهاد وكثرة العبادة.

قولها: (شدّ المئزر و اجتنب النساء) تقدم بيان معنى شدّ المئز في الحديث الذي قبله؛ وفيه الرد على من فسّره باعتزال النساء لأنه عطفه هنا عليه؛ والعطف يقتضي التغاير.

قولها: (واغتسل بين الأذانين) المراد بالأذانين: أذان المغرب والعشاء كما فسّره حديث علي رضي الله عنه أن النبي عليه الصلاة والسلام (كان يغتسل بين العشاءين كلّ ليلة -يعني من العشر الأواخر-)[٢]و في إسناده مقال ؛وفيه دليل على أن يستحب للمسلم الاغتسال كلّ ليلة من ليالي العشر الأواخر من رمضان ؛ ومن الفقهاء من حمل ذلك على ليالي الشهر كلّه.

---

(١) عزاه ابن رجب في "اللطائف" : (١/١٨٧) لابن أبي عاصم من حديث عائشة وقال :"إسناده مقارب"، ولم أجده عند ابن أبي عاصم في السنة، وعزاه أيضاً للطبراني عن أنس؛ وقد وجدته في معجمه الأوسط: (٦/١٣) ولفظه:"كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا دخل العشر الأواخر من رمضان طوى فراشه واعتزل النساء وجعل عشاءه سحورا "وفي إسناده حفص بن واقد"اهـ.

(٢) ذكره ابن رجب في لطائف المنن: (١/١٨٧)

قولها: (**وجعل العشاء سحوراً**) أي اقتصر على وجبة واحدة وهي السحور؛ وفيه شأن الاهتمام بعمارة العشر الأواخر بالعبادة والتقلل من شهوات الدنيا.

تتمة: وردت في استحباب الاغتسال في ليالي العشر أخبار وآثار من فعل النبي صلى الله عليه وسلم وفعل أصحابة الكرام رضي الله عنهم ؛ فقد روي عن حذيفة أنه "قام مع النبي صلى الله عليه وسلم ليلة من رمضان فاغتسل النبي صلى الله عليه وسلم وستره حذيفة وبقيت فضلة فاغتسل بها حذيفة وستره النبي صلى الله عليه وسلم" أخرجه ابن أبي عاصم، قال ابن جرير :"كانوا يستحبون أن يغتسلوا كل ليلة من ليالي العشر الأواخر ؛ وكان النخعي يغتسل في العشر كل ليلة". قال الحافظ ابن رجب بعد ذكره لما تقدم: "فتبين بهذا أنه يستحب في الليالي التي ترجى فيها ليلة القدر التنظف و التزين و التطيب بالغسل و الطيب و اللباس الحسن كما يشرع ذلك في الجمع و الأعياد"[١].

(١) لطائف المنن: (١/١٨٧) لابن رجب الحنبلي.

الحديث الثاني والثلاثون

عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم (**كان يعتكف العشر الأواخر من رمضان حتى قبضه الله تعالى**) أخرجه البخاري ومسلم وغيرهما.

شرح الحديث

قولها: (**أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يعتكف**) الاعتكاف في اللغة الحبس والمكث واللزوم قال الله تعالى: "وأنتم عاكفون في المساجد" وقال: "فأتوا على قوم يعكفون على أصنام لهم"، وفي الشرع : المكث في المسجد بنية التقرب إلى الله تعالى، والحديث دليل على استحباب الاعتكاف في المسجد وهو مجمع عليه[1].

قولها: (**العشر الأواخر من رمضان**) العشر الأواخر : هي الليالي وكان يعتكف الأيام معها أيضاً فلم يكن يقتصر على اعتكاف الليالي وإنما اقتصر على ذكرها على عادة العرب في التأريخ بها ، وهذا يدل على دخوله محل الاعتكاف قبل غروب الشمس ليلة الحادي والعشرين وإلا لم يكن اعتكف عشراً [2].

---

(١) وقد وردت الأحاديث في الترغيب فيه ففي سنن ابن ماجه عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في المعتكف: "هو يعكف الذنوب ويجري له من الحسنات كعامل الحسنات كلها"، وروى أبو الشيخ ابن حبان في فضائل الأعمال عن أبي بكر قال خبرني رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه "من اعتكف يوما وليلة يريد بذلك وجه الله عز وجل خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه" قلت: هذه الأحاديث وإن كان في إسنادها مقال إلا أنها في فضائل الأعمال والأمر فيها واسع ؛ أضف إلى ذلك أن فضل الاعتكاف والترغيب فيه ثبت من فعل النبي صلى الله عليه وسلم .

(٢) وبه قال الأئمة الأربعة، وقال آخرون بل يبدأ العشر بكمالها وهذا هو المعتبر عند الجمهور لمن أراد الاعتكاف من أول النهار، وهو قول الأوزاعي وأبي ثور وإسحاق بن راهويه وابن المنذر ، وحكاه النووي في شرح مسلم عن الثوري وصححه ابن العربي ، وقال ابن عبد البر: لا أعلم أحداً من فقهاء الأمصار قال به إلا الأوزاعي والليث .

وفي هذا دليل على تأكد الاعتكاف في العشر الأواخر من رمضان؛ والحكمة في اعتكاف هذه العشر طلب ليلة القدر فإنها عند الجمهور في العشر الأواخر أرجى من غيرها، بل عند آخرين منحصرة في العشر الأخير .

قولها: (**حتى قبضه الله تعالى**) دل هذا على استمرار هذا الحكم وعدم نسخه، بل في رواية قالت : "ثم اعتكف أزواجه من بعده" فأشارت إلى استمرار حكمه حتى في حق النساء فكنّ أمهات المؤمنين يعتكفن بعد النبي صلى الله عليه وسلم من غير نكير، وإن كان هو في حياته قد أنكر عليهن الاعتكاف بعد إذنه لبعضهن كما هو في الحديث الصحيح فذاك لمعنى آخر وهو كما قيل خوف أن يكن غير مخلصات في الاعتكاف بل أردن القرب منه لغَيرتهن عليه أو لغَيرته عليهنّ أو ذهاب المقصود من الاعتكاف بكونهن معه في المعتكف أو لغير ذلك[١].

تنبيه: قال العلماء: اعتكاف العشر الأواخر من رمضان سنة مستحبة إلا أنها في حق من لم يترك بسببه نفعاً متعدياً إلى الغير؛ فمثلاً من يقوم بتعليم الناس أو مداواتهم أو قضاء حوائج المحتاجين من النساء والعجزة فهذا أفضل في حقه وأكثر ثواباً له ويكون ترك الاعتكاف في هذه الأحوال أولى ويشهد لذلك حديث مسلم (الله في عون العبد مادام العبد في عون أخيه) وعليه درج خيار الأمة. [٢].

---

(١) طرح التثريب:(١٦٩/٤) للعراقي.

(٢) كان ابن عباس رضي الله عنهما معتكفاً في مسجد رسول الله فأتاه رجل فقال: "يا ابن عم رسول الله لفلان عليّ حق ولا وحرمةِ صاحب هذا القبر ما أقدر عليه"، قال ابن عباس:" أفلا أكلمه فيك"، فقال: "إن أحببت". قال : فانتعل ابن عباس ثم خرج من المسجد .فقال له الرجل: "أنسيت ما كنت فيه ؟" قال: "لا ولكني سمعت صاحب هذا القبر صلى الله عليه وسلم والعهد به قريب؛ فدمعت عيناه وهو يقول: "من مشى في حاجة أخيه وبلغ فيها كان خيراً له من اعتكاف عشر سنين، ومن اعتكف يوماً ابتغاء وجه الله تعالى جعل الله بينه وبين النار ثلاث خنادق أبعد مما بين الخافقين" رواه الطبراني والبيهقي والحاكم وصحح إسناده.

الحديث الثالث والثلاثون

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يرغّب في قيام رمضان من غير أن يأمرهم فيه بعزيمة فيقول: **(من قام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه)** أخرجه البخاري ومسلم .

شرح الحديث

قوله: (كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يرغّب) بتشديد الغين المعجمة، والمعنى: يحثّ أصحابه وأهله على ذلك ويذكر لهم الثواب المترتب عليه.

قوله: (في قيام رمضان) أي: في إحياء لياليه بالتراويح.

قوله: (من غير أن يأمرهم فيه بعزيمة) أي: بعزم وبتّ وقطع، قال الطيبي: العزيمة والعزم عقد القلب على إمضاء الأمر[١]، قال النووي: "معناه لا يأمرهم أمر إيجاب وتحتيم؛ بل أمر ندب وترغيب"[٢].

قوله: (من قام رمضان) قال العلماء: المراد بقيام رمضان أداء صلاة التراويح، وهي في كل ليلة من رمضان سنة مأثورة. وعادة السلف- رحمة الله عليهم - توزيع القرآن من أوله إلى آخره عليها، يقرؤون منه في كل ليلة ما تيسر، ويجعلون الختم في بعض الليالي من آخر الشهر، فمن أمكنه أن يقتدي بهم في ذلك فليشمّر ولا يقصّر، فإن الخير غنيمة (وَمَا تُقَدِّمُواْ لأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللّهِ)[٣].

قلت: في الحديث الآخر "من قام ليلة القدر إيماناً واحتساباً" قد يقال : إن أحدهما يُغني عن الآخر، وجوابه أن يقال: قيام رمضان من غير موافقة ليلة القدر، ومعرفتها

---

(١) مرقاة المصابيح: (٣/٩٦٦) للقاري.

(٢) شرح مسلم: (٦/٤٠) للنووي.

(٣) النصائح الدينية ص (١٧٥) للإمام الحداد.

سبب لغفران الذنوب، وقيام ليلة القدر لمن وافقها وعرفها سبب للغفران وإن لم يقم غيرها .قاله النووي في شرح مسلم[١].

قوله: (**إيماناً واحتساباً**) الإيمان: هو التصديق بوعد الله وثوابه، والاحتساب: هو الإخلاص لله، والمعنى أن يقوم لياليه على التصديق والرغبة في ثوابه؛ طيبةً به نفسه.

قوله: (**غفر له ما تقدم من ذنبه**) المعنى : من قامه على هذه الحالة كان ذلك سبباً لحصول المغفرة له ، وقد خصه الجمهور بالذنوب الصغائر، وفي حديث قتيبة زيادة "وما تأخر"[٢]. قال الحافظ العراقي: "مغفرة ما تأخر من الذنوب إما أن يراد بها العصمة من الذنوب حتى لا يقع فيها ، وإما أن يراد به تكفيرها ولو وقع فيها؛ ويكون المكفر متقدماً على المكفر، والله أعلم"[٣].

---

(١) شرح مسلم: (٦/٤١) للنووي.

(٢) قال الحافظ المنذري: "انفرد بهذه الزيادة قتيبة بن سعيد عن سفيان وهو ثقة ثبت وإسناده على شرط الصحيح"، انظر: الترغيب والترهيب : (٢/٥٦).

(٣) طرح التثريب: (٤/١٦٤) للعراقي.

الحديث الرابع والثلاثون

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: دخل رمضان فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم: (**إن هذا الشهر قد حضركم وفيه ليلة خير من ألف شهر من حرمها فقد حرم الخير كله ولا يحرم خيرها إلا محروم**) رواه ابن ماجه في السنن وغيره[١].

شرح الحديث

قوله: (**إن هذا الشهر قد حضركم**) زاد الطبراني في معجمه الأوسط والبزار في مسنده "وهو شهر الله المبارك"[٢]، وقد دلّ الحديث على التبشير بقدومه والتهيؤ لدخوله؛ وفي مسند عبد بن حميد عن أبوهريرة رضي الله عنه قال: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وهو يبشر أصحابه : "قد جاءكم رمضان شهر مبارك ...".

قوله: (**وفيه ليلة**) يعني ليلة القدر، وفيه دليل لمن قال أنها في رمضان، وأنها باقية لم تُرفع، قال النووي في شرح المهذب: "ليلة القدر من خصائصنا، وأجمع من يعتد به على دوامها ووجودها إلى آخر الدهر، ويراها ويتحقّقها من شاء الله من بني آدم كل سنة في رمضان، وإخبار الصالحين بها ورؤيتهم لها؛ أكثر من أن تحصى، وحكمة إخفائها أن من أرادها أحيا ليالي كثيرة طلباً لموافقتها"[٣].

قوله: (**خير من ألف شهر**) أي: أن من وافق لها ووُفّق لها وقُبلت منه كانت له كعبادة ألف شهر وهي ثمانون سنة وزيادة ، قال الإمام الحداد : "يُروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما استقصر أعمار أمته من بين سائر الأمم، سأل الله لهم

---

(١) قال الحافظ المنذري:إسناده حسن إن شاء الله تعالى" الترغيب والترهيب: (٢/٦٠).

(٢) في هذه الرواية ما يدل على تسمية شهر رمضان شهر الله؛ ومنه قول الإمام أحمد بن زين الحبشي رضي الله عنه في أثناء قصيدة:

ويكفيه فخراً إضافة إلى ... إله البرايا الكبير السلام

(٣) شرح المهذب: (٦/٤٦١) للنووي.

وتضرع إليه، من حيث إنه إذا قصرت أعمارهم ، لم تطل أيامهم في طاعة الله، أي والعمل لآخرتهم ، فتقلّ بسبب ذلك حظوظهم من ثواب الله والدرجات العلا ، فأعطاه الله ليلة القدر ، التي هي خير من ألف شهر، تطويلاً لأعمارهم ، وتضعيفاً لثوابهم وحسناتهم ، حتى يصير الواحد منهم إذا قام فيها بطاعة الله يصير كأنه قام ألف شهر، وذلك أكثر من ثمانين سنة"[١].

قوله: (**من حُرمها فقد حُرم الخير كله**) فيه تنبيه على ما أودع الله فيها من المغفرة والرحمة والعتق الذي لا يوجد في غيرها من الليالي.

قوله: (**ولا يحرم خيرها إلا محروم**) وصفه بذلك لتفويته الثواب الجزيل والعطا الكبير؛ فإنها خير من ألف شهر لذا استحق من فوّتها أن يوصف بالحرمان، وإنما يُوصف بالشقاء ويستحق العزاء من ضيّع الغنيمة الجليلة والفرصة الثمينة، وقد قيل: (المصاب من حُرم الثواب).

(١) سبيل الإدكار للإمام الحداد ، ص (٤٢) .

الحديث الخامس والثلاثون

عن ابن عمر رضي الله عنهما رضي الله عنهما أن رجالا من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم أُروا ليلة القدر في المنام في السبع الأواخر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (**أرى رؤياكم قد تواطأت في السبع الأواخر؛ فمن كان متحرّيها فليتحرّها في السبع الأواخر**) أخرجه البخاري ومسلم وغيرهما.

شرح الحديث

قوله: (**أن رجالاً من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم**) قال الحافظ ابن حجر: " لم أقف على تسمية أحد منهم"(١).

قوله: (**أُروا ليلة القدر**) أُروا: بضم أوّله؛ أي: قيل لهم في المنام أنها في السبع الأواخر.

قوله: (**في السبع الأواخر**) الظاهر أن المراد به أواخر الشهر؛ وقيل : المراد به السبع إلى أولها ليلة الثاني والعشرين وآخرها ليلة الثامن والعشرين؛ فعلى الأول لا تدخل ليلة إحدى وعشرين ولا ثلاث وعشرين، وعلى الثاني تدخل الثانية فقط ولا تدخل ليلة التاسع والعشرين.

قوله: (**أرى رؤياكم**) قال القاضي عياض:" كذا هو بالإفراد، والمراد رؤاكم لأنها لم تكن رؤيا واحدة"(٢).

قوله: (**قد تواطأت في السبع الأواخر**) تواطأت بالهمز: أي توافقت وزناً ومعنى، وأصله أن يطأ الرجل برجله مكان رجل صاحبه، وهو في مسلم بلفظ "تواطت" بطاء فتاء.

---

(١) فتح الباري: (٢٥٦/٤) للحافظ ابن حجر.

(٢) إرشاد الساري: (٤٣١/٣) للقسطلاني.

قوله: (**فمن كان متحرّيها**) معنى متحريها أي: متوخياً مصادفتها؛ وعند مسلم عن ابن عمر مرفوعاً "من كان ملتمسها فليلتمسها في العشر الأواخر".

قوله: (**فليتحرّها في السبع الأواخر**) يُحتمل أن يراد بها السبع التي هي آخر الشهر؛ ويحتمل أن يراد السبع بعد العشرين ؛ أي : من ليلة إحدى وعشرين إلى ليلة سبع وعشرين لتناوله إحدى وعشرين وثلاثا وعشرين فقد ورد أنها ليلة القدر .

قال الحافظ ابن رجب: "انتهى بيان النبي صلى الله عليه وسلم لليلة القدر إلى أنها في السبع الآخر؛ وهذا مما يستدل به من رجح ليلة ثلاث وعشرين على أحد وعشرين فإنها ليست من السبع الأواخر، وأول السبع الأواخر ليلة ثلاث وعشرين على حساب نقص الشهر دون تمامه لأنه المتيقن"(١).

قلت: دلّ الحديث على أن الرؤيا الصالحة معتبرة في مثل هذا الأمور، قال الحافظ ابن حجر في الفتح: "في الحديث دلالة على عظم قدر الرؤيا وجواز الاستناد إليها في الأمور الوجودية بشرط أن لا تخالف القواعد الشرعية"(٢).

تتمة: قال الإمام الحداد : (وبالجملة: فينبغي للمؤمن الفطن أن يكون في كل ليلة من ليالي رمضان مستعداً لليلة القدر ومستيقظاً لها، ومداوماً على العمل الصالح، فإن المقصود الذي عليه المعول: أن تأتي عليه ليلة القدر وهو مستغرق بالعمل الصالح، ذاكراً لله تعالى، غير غافل ولا ساه ولا لاه، وسواء بعد ذلك رأى ليلة القدر أو لم يرها، فإن العامل فيها بطاعة الله يكون عمله فيها خيراً من عمله في ألف شهر علم بها أولم يعلم. وإنما قلنا: إنه ينبغي أن يتنبه لليلة القدر ويستعد لها في كل ليلة من هذا الشهر، لكثرة ما وقع بين العلماء من الخلاف في تعيينها ، وأنها أي ليلة هي؟ حتى

(١) لطائف المنن: (١/١٩٥) لابن رجب.

(٢) فتح الباري: (٤/٢٥٧) للحافظ ابن حجر.

قال بعضهم: إنها مبهمة في جميع ليالي الشهر،وقال بعضهم: إنها متنقلة في لياليه، وليست ليلة بعينها.قلت : وأجدني أميل إلى هذا القول، وأرى أنها قد تكون في غير العشر الأواخر وإن كان وقوعها هو الأكثر، وعليه جمهور العلماء، أعني : أن ليلة القدر في العشر الأواخر من رمضان)[1].

(١) النصائح الدينية ص (١٧٧).

الحديث السادس والثلاثون

عن عائشة رضي الله عنها قالت: قلت: يا رسول الله أرأيت إن علمتُ ليلة القدر ما أقول فيها؟ قال: (**قولي: اللهم إنك عفو تحب العفو فاعف عني**) رواه الترمذي وقال: حديث حسن صحيح.

شرح الحديث

قولها: (أرأيت إن علمتُ ليلة القدر) أي: ما تقول إن وافقتُ؛ أو علمتُ تعيينها، فعلى الأول: إن وافقتها وإن لم أعلمها، وعلى الثاني: إن علمتها بالعلامات، قال الشوكاني:"وفيه دليل على إمكان معرفة ليلة القدر"(١).

فائدة: قيل علامتها أن المطلّع عليها يرى كل شيء ساجدا، وقيل: يرى الأنوار في كل مكان ساطعة حتى المواضع المظلمة، وقيل: يسمع سلاما أو خطابا من الملائكة، وقيل: علامتها استجابة دعاء من وقعت له، وقال الطبري: كلّ ذلك غير لازم فإنها قد تحصل ولا يُرى شيء ولا يُسمع(٢).

قولها: (ما أقول فيها؟) فيه حرص أم المؤمنين على اغتنام المواسم الفاضلة؛ وتحري الأفضل من الأدعية والأذكار التي تطلب فيها؛ وفي الحديث ما يدل على فضلها – رضي الله عنها– وأنها حفظت للأمة من سنته عليه الصلاة والسلام ما لم يحفظه غيرها من النساء.

قوله: (قولي: اللهم إنك عفو تحب العفو) العفو: هو المتجاوز عن سيئات عباده، وهو سبحانه وتعالى يحب العافين عن الناس، فمن عفا وأصلح فأجره على الله، وقد أمر بذلك فقال:خذ العفو وأمر بالعرف".

---

(١) نيل الأوطار: (٣٢٠/٤) للشوكاني.

(٢) شرح الموطأ: (٣٢٩/٢) للزرقاني.

قوله: (**فاعف عني**) فيه إشارة إلى أن أهم المطالب انفكاك الإنسان من تبعات الذنوب وطهارته من دنس العيوب، فإنه بالطهارة من ذلك يتأهل للانتظام في سلك حزب الله المفلحين.

تتمة: اختلف العلماء هل يقع الثواب المرتب لمن اتفق أنه وافقها وإن لم يظهر له شيء أو يتوقف ذلك على معرفتها؟ ذهب إلى الأول الطبري وابن العربي وآخرون، وإلى الثاني ذهب الأكثرون[(١)]؛ ويدل له ما وقع عند مسلم من حديث أبي هريرة بلفظ "من يقم ليلة القدر فيوافقها" قال الإمام النووي: "أي: يعلم أنها ليلة القدر، ويحتمل أن يراد يوافقها في نفس الأمر وإن لم يعلم هو ذلك"[(٢)]، ورجح هذا الحافظ ابن حجر في شرح البخاري فقال: "ولا أنكر حصول الثواب الجزيل لمن قام لابتغاء ليلة القدر وإن لم يوفق لها، وإنما الكلام في حصول الثواب المعيّن الموعود به وهو مغفرة ما تقدم من ذنبه"[(٣)].

---

(١) سبل السلام: (٥٩٧/١) للصنعاني.

(٢) شرح مسلم: (٤١/٦) للنووي

(٣) فتح الباري: (٢٦٧/٤) للحافظ ابن حجر.

الحديث السابع والثلاثون

عن أبي بكرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (**لا يقولنّ أحدكم إني صمت رمضان كلّه وقمته**) قال الراوي: فلا أدري أكَرِهِ التزكية؛ أوقال لا بد من نومة أو رقدة. رواه أبو داود والنسائي بأسانيد حسنة.

شرح الحديث

قوله: (**لا يقولنّ أحدكم**) هذا النهي للتنزيه فيكره لكل من صام رمضان وقامه أن يقول ذلك.

قوله: (**إني صمت رمضان كلّه وقمته**) أي: ينبغي أن لا يقول بعد تمام صوم رمضان وقيامه: صمت رمضان كلّه أو قمتُه ؛ لما في ذلك من تزكية النفس وشهود الكمال؛ مع احتمال عدم الصدق في قوله هذا فقد يكون قصّر في شيء منهما .

قوله: (**قال الراوي**) وقع في بعض الروايات تسميته وأنه قتادة.

قوله: (**فلا أدري أكَرِه التزكية**) هذا الاحتمال الأول الذي تقدم ذكره؛ وهو أنه إنما نهى عن قول ذلك لما فيه من تزكية النفس والعجُب بالعمل المحبط للثواب.

قوله: (**أو قال**: **لا بد من نومة أو رقدة**) وهذا الاحتمال الثاني؛ وهو أنه ربما وقع القائل في الكذب من حيث لا يشعر؛ فقد يكون وقع في التقصير في شيء من الصيام أو القيام بنومة أو غفلة وهو لا يدري.

الحديث الثامن والثلاثون

عن جرير رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (**إن شهر رمضان معلقٌ بين السماء والأرض لا يرفع إلى الله تعالى إلا بزكاة الفطر**) رواه الديلمي[(١)].

شرح الحديث

قوله: (**إن شهر رمضان**) المراد : صومه كما دلّت عليه رواية أخرى.

قوله: (**معلّق بين السماء والأرض**) كناية عند عدم القبول؛ وإلا فالصيام أمر معنوي لا يتصوّر فيه هذا الوصف.

قوله: (**لا يرفع إلى الله تعالى**) هنا احتمالان ذكرهما العلماء: الأول: يحتمل أن لا يرفع بمعنى لا يقبل من صاحبه ولا يثاب عليه أصلاً، والثاني : يحتمل أن المراد لا يرفع رفعاً تاماً مرضياً بل بعضاً منه؛ ويثاب عليه ثواباً لا يبلغ ثواب من أدى زكاة الفطر بل يكون دونه في الجزالة .

قوله: (**إلا بزكاة الفطر**) أي : بإخراجها؛ والفطر بكسر الفاء قال الإمام النووي في المجموع: "وهي مولدة لا عربية ولا معربة بل اصطلاحية للفقهاء؛ وتسمى أيضاً زكاة رمضان وزكاة الصوم وصدقة الرؤوس وزكاة الأبدان"[(٢)].

وقد دلّ الحديث على أن قبول صيام رمضان والإثابة عليه متوقفة على إخراجها على ما اقتضاه ظاهر اللفظ، وفي هذا دليلٌ على مكانة زكاة الفطر وتنبيه على الاهتمام بإخراجها، فإنها منعت من قبول ركن من أركان الإسلام.

---

(١) مسند الفردوس: (١/٢٣٥) للديلمي، وأورده المنذري في الترغيب والترهيب: (٢/٩٧): وقال: "رواه ابن شاهين في فضائل رمضان وقال: حديث غريب جيد الإسناد".

(٢) المجموع: (٦/١٠٣) للنووي.

الحديث التاسع والثلاثون

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : (**فرض رسول الله صلى الله عليه وسلم صدقة الفطر طهرةً للصائم من اللغو والرفث؛ وطعمةً للمساكين، فمن أداها قبل الصلاة فهي زكاةٌ مقبولة، ومن أداها بعد الصلاة فهي صدقةٌ من الصدقات**) رواه أبو داود والحاكم وقال: صحيح على شرط البخاري.

شرح الحديث

قوله: (**فرض رسول الله صلى الله عليه وسلم**) أيّد الفرضية أحاديث مرفوعة منها حديث ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : "زكاة الفطر فرض على كل مسلم، حر وعبد، ذكر وأنثى، من المسلمين صاع من تمر أو صاع من شعير" أخرجه الدارقطني والحاكم وغيرهما، وفرضيتها بإجماع الأئمة الأربعة[١]؛ وكان فرضها في السنة الثانية من الهجرة في رمضان قبل العيد بيومين.

قوله: (**صدقة الفطر**) قال الخطابي:"فيه بيان أن صدقة الفطر فرض واجب كافتراض الزكاة الواجبة في الأموال، وفيه بيان أن ما فرض رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو كما فرض الله لأن طاعته صادرة عن طاعة الله وقد قال بفرضية زكاة الفطر ووجوبها عامة أهل العلم".

قوله: (**طهرةً للصائم من اللغو والرفث**) في هذا بيان لحكمة مشروعيتها وأنه تطهير من اللغو والرفث الواقعين من الصائم حال الصوم ، ويؤخذ من هذا أن زكاة الفطر واجبة على كل صائم غني ذي جدة أو فقير يجد فضلاً عن قوته؛ إذ كان وجوبها لعلة التطهير وكل الصائمين محتاجون إليها فإذا اشتركوا في العلة اشتركوا في الوجوب[٢].

---

(١) عارض هذا الإجماع أن الحنفية يرونها وجوبها لا فرضيتها على قاعدتهم أن الواجب ما ثبت بظني.

(٢) التطهير هنا خرج مخرج الغالب فهي تجب على من لم يذنب قط، وعلى من أسلم قبل الغروب بلحظة.

قوله: (**وطعمةٌ للمساكين**) وفي رواية "والفقراء"، وهذه حكمة أخرى من مشروعية زكاة الفطر؛ أشار إليه حديث الإمام أحمد مرفوعاً "اغنوهم في هذا اليوم عن ذلّ السؤال" .

قوله: (**من أدّاها قبل الصلاة فهي زكاة مقبولة**) أي: أخرجها إلى مستحقيها قبل صلاة العيد فإن الله تعالى يقبلها منه ويثيب عليها ، وهذا ما يسميه الفقهاء وقت الفضيلة وهو أن يخرج زكاة الفطر بعد الفجر وقبل صلاة العيد.

قوله: (**ومن أداها بعد الصلاة فهي صدقة من الصدقات**) أي وليست بزكاة الفطر؛ وهذا خرج مخرج الزجر وإلا فالراجح عند أهل العلم أنه يجزئه إخراجها بعد الصلاة مع الكراهة وفوت الثواب، نعم إن أخرها حتى غربت الشمس حرم عليه وعصى(١).

---

(١) ولها أحكام تتعلق بها تُطلب من كتب الفقه.

الحديث الأربعون

عن أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: **"من صام رمضان ثم أتبعه ستاً من شوال كان كصيام الدهر"** رواه مسلم وغيره.

شرح الحديث

قوله: (**من صام رمضان**) صريح في أن الخطاب لمن صام رمضان؛ وأما من أفطر فيه ففيه تفصيل: إن كان بعذر استُحب له صيام الست ؛ وإن كان بلاعذر لم يستحب له لأنه مخاطب بالقضاء على الفور، فلا يشتغل بالنفل عن الفرض .

قوله: (**ثم أتبعه**) استدل به من استحبّ إتباعه ليوم العيد، وبه قال الشافعية[١].

قوله: (**ستاً**) بالتأنيث؛ وهو صحيح ولو قال ستة بالهاء جاز أيضا، قال النووي: "يقال: صمنا خمساً وستاً وخمسةً وستةً، وإنما يلتزمون الهاء في المذكّر إذا ذكروه بلفظه صريحا فيقولون صمنا ستة أيام ولا يجوز ست أيام فإذا حذفوا الأيام جاز الوجهان"[٢]

قوله: (**من شوال**) فيه دلالة صريحة لمن استحبّ صيام هذه الست، وبه قال الشافعي وأحمد وداود وموافقيهم، قال الإمام النووي: "قال أصحابنا والأفضل أن تصام الستة متوالية عقب يوم الفطر فإن فرقها أو أخرها عن أوائل شوال إلى أواخره حصلت فضيلة المتابعة لأنه يصدق أنه أتبعه ستاً من شوال"[٣].

---

(١) وخالفهم الحنفية فقالوا: "ولا دلالة للحديث على ذلك؛ إذ التتابع المفهوم من الحديث أن يكون بين رمضان وبين الست وهو ممنوع حقيقة لنهي صوم يوم العيد، فأما أن يحمل على مجاز المشارفة فإنه تتابع حكما مع وجود الفصل بيوم، أو المراد به البعدية المطلقة، ويدل عليه حديث ابن ماجه وغيره عن ثوبان مرفوعا: " من صام ستة أيام بعد الفطر كأنه صام السنة". انظر:تبيين الحقائق: (٣٣٢/١) للزيلعي.

(٢) شرح مسلم: (٥٧/٨) للنووي.

(٣) وقال مالك وأبو حنيفة يكره ذلك، قال مالك في الموطأ: "ما رأيت أحدا من أهل العلم يصومها"، قالوا: فيكره لئلا يظن وجوبه، قال النووي في شرح مسلم: "ودليل الشافعي وموافقيه هذا الحديث الصحيح الصريح

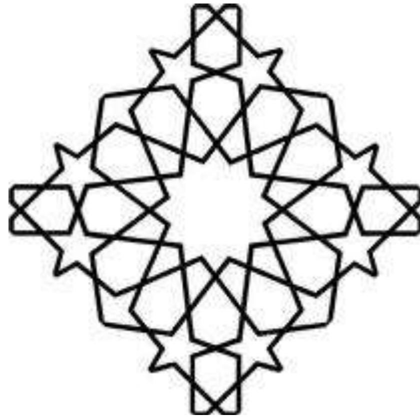
قوله: (كان كصيام الدهر) وإنما كان ذلك كصيام الدهر لأن الحسنة بعشر أمثالها فرمضان بعشرة أشهر والستة بشهرين وقد ورد هذا في حديث النسائي بسند حسن: "صيام شهر رمضان بعشرة أشهر، وصيام ستة أيام بشهرين فذلك صيام السنة"[1].

هذا ما يسّر الله سبحانه و تعالى جمعه من الأحاديث المتعلقة بشهر رمضان المبارك ووّفق لشرحها، أسأل الله سبحانه أن ينفع بها، ويوفق للعمل بأحكامها وآدابها، آمين ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين[2].

وإذا ثبتت السنة لا تترك لترك بعض الناس أو أكثرهم أو كلهم لها، وقولهم: قد يُظن وجوبها ينتقض بصوم عرفة وعاشوراء وغيرهما من الصوم المندوب"، شرح مسلم: (٥٦/٨) للنووي.

(١) قال ابن الهمام الحنفي: صوم ست من شوال عند أبي حنيفة وأبي يوسف كراهته، وعامة المشايخ لم يروا به بأسا، واختلفوا فقيل: الأفضل وصلها بيوم الفطر، وقيل: بل تفريقها في الشهر، ووجه الجواز أنه وقع الفصل بيوم الفطر فلم يلزم التشبه بأهل الكتاب، ووجه الكراهة أنه قد يفضي إلى اعتقاد لزومها من العوام لكثرة المداومة" اهـ، فتح القدير (٣٤٩/٢) لابن الهمام.

(٢) وكان الفراغ من تبييضه في آخر شهر شعبان المكرم سنة ١٤٢٨هـ والحمد لله.



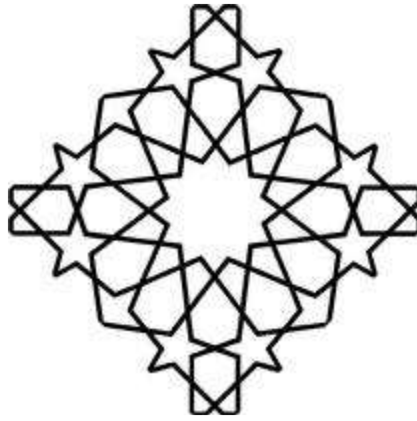
الرسالة الثانية

إتحاف الإخوان

ببعض سنن الصوم ورمضان

جمع وترتيب

سقاف بن علي العيدروس



المقدمة

الحمد لله الذي خصص بعض الأيام والليالي بالفضل والزيادة ، وجعل شهر رمضان موسماً للطاعة والعبادة ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الداعي إلى منهج الهدى والسعادة، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه الأئمة القادة .

أما بعد. فإن هذه الأيام بمثابة محطاتٍ على الطريق ، وأسواق مرابحة يسعى إليها كل حريص شفيق ، وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجتهد في رمضان ما لا يجتهد في غيره ، ويثابر فيه ليحوز نصيباً من نوره وفضله وخيره، لذا فقد أحببت أن أذكّر نفسي وأخواني ونحن في شهر رمضان ببعض السنن والطاعات ؛ والنوافل المستحبات؛ التي ينبغي أن نحافظ عليها فنحن في شهرٍ النافلةُ فيه ثوابها ثواب الفريضة ، و الفريضة تُضاعف بثواب سبعين فريضة ، قال الإمام الحداد رحمه الله في كتابه النصائح الدينية: (واستكثروا من أعمال البر، وأفعال الخير ما استطعتم في شهر رمضان، لفضل أوقاته وحصول المضاعفة فيه، وكثرة الثواب وتيسر العمل بالخيرات. فإما المضاعفة فلما ورد: أن النافلة في رمضان يعدل ثوابها ثواب الفريضة، والفريضة فيه بسبعين فريضة في غيره . فمن يسمح بفوات هذا الربح ويكسل عن اغتنام هذه التجارة التي لا تبور! وأما تيسُّر العمل بالخير في رمضان فلأن النفس الأمارة بالسوء مسجونة بالجوع والعطش، والشياطين المثبّطين عن الخير المعوّقين عنه مصفَّدون لا يستطيعون الفساد ولا يتمكنون منه، فلم يبقَ بعد ذلك عن الخيرات مانع، ولا من دونها حاجز إلا من غلب عليه الشقاء، واستولى عليه الخذلان والعياذ بالله) انتهى كلامه رحمه الله تعالى .

ثم إن ما ذكرته في هذه الرسالة ليس كل شيء، وإنما كتبت ما حضرني فأوصلتها إلى (**أربعين**) سنّةٍ مستحبة، حرصتُ على عرضها سهلةً مرتّبة، وقد

قرنتُ ذكرها بالدليل، مع مراعاة الاختصار وترك التطويل، على أن هناك سنن أخرى تستحب في رمضان على وجه الخصوص، و أخرى عامة تستحب للصائم جاءت بها النصوص ، بيّنها العلماء في مصنفاتهم، وذكرها الفقهاء في مؤلفاتهم، فلينظرها من أراد الاستزادة، وليراجعها من أراد الإكثار من العبادة، وقد أسميتُ هذا الجمع (**إتحاف الإخوان ببعض سنن الصوم ورمضان**) وفقنا الله لاغتنام هذه الليالي والأيام، وأعاننا على فعل ما يقربنا إليه تعالى مع الإخلاص التام؛ آمين. وهذا أوان الشروع؛ في بيان مسائل هذا المجموع؛ ومن الله أستمد العون والسداد وهو حسبي ونعم الوكيل.

السُّنة الأولى: يسنّ للمسلم السحور فقد ورد فيه الترغيب الكثير عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ وأخبر أن فيه بركة فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه و سلم تسحروا فإن في السحور بركة) رواه البخاري ومسلم، و في حديث آخر أنه (الغداء المبارك) فعن العرباض بن سارية رضي الله عنه قال: دعاني رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى السحور في شهر رمضان فقال: (هلمّ إلى الغداء المبارك) رواه أبو داود والنسائي، فينبغي للمسلم أن لا يدع السحور ولو بشيء يسير فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (السحور كله بركة ؛ فلا تدعوه ولو أن يجرع أحدكم جرعة من ماء فإن الله عز وجل وملائكته يصلون على المتسحرين) رواه أحمد وإسناده قوي .

الثانية: يسن أن يجعل في سحوره تمراً ؛ فقد ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (نعم سحور المؤمن التمر) رواه أبو داود وابن حبان في صحيحه.

الثالثة: يسن تأخير سحوره إلى قبيل الفجر ما لم يقع في الشك ؛ فعن سهل رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:(لا يزال الناس بخير ما عجلوا الفطر وأخروا السحور) رواه الإمام أحمد ، وأما إذا خاف الوقوع في الشك فلا يسن

له تأخيره وله أن يتسحر قبل ذلك ويدخل وقته من نصف الليل إلى قبيل الفجر .

الرابعة: ينبغي أن يجعل فارقاً ووقتاً فاصلاً بين سحوره وأذان الفجر ؛ وليحذر من أن يأكل مع الفجر أو مع الآذان ففي حديث عن زيد بن ثابت رضي الله عنه قال : تسحرنا مع النبي صلى الله عليه وسلم ثم قام إلى الصلاة ؛ قال أنس : كم كان بين الأذان والسحور ؟ قال (قدر خمسين آية) رواه البخاري ومسلم . وقد قدرها العلماء بثلث أو ربع ساعة ؛ وفي ذلك احتياط للعبادة وهو امر مطلوب تشهد له الأحاديث كحديث (دع ما يريبك إلى مالا يريبك) وحديث (من اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه) متفق عليه.

الخامسة: يستحب الاجتماع على السحور؛ ويدلّ له حديث زيد بن أرقم (تسحرنا مع رسول الله ثم قمنا إلى الصلاة) الحديث وهو في الصحيحين ؛ كما أن في الاجتماع بركة ففي الحديث (خير الطعام ما تكاثرت عليه الأيدي) .

السادسة: ينبغي للصائم أن لا يُغفِلَ الخلالَ ؛ بل عليه أن يتخلل بعد سحوره فقد روى الطبراني عن ابن مسعود مرفوعاً (تخللوا فإنه نظافة، والنظافة تدعو إلى الإيمان، والإيمان مع صاحبه في الجنة) بل قيل إن الخلال آكد للصائم من السواك .

السابعة: يسن للصائم تعجيل الإفطار ومحل الاستحباب ما لم يقع في الشك ففي الحديث عن سهل بن سعد رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (لا يزال الناس بخير ما عجلوا الفطر) رواه البخاري ومسلم وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله عز و جل (إن أحب عبادي إلي أعجلهم فطرا) رواه أحمد والترمذي وحسنه . قال العلماء : أما لو وقع في الشك لم يسن له التعجيل بل يحرم فليُتنبه .

الثامنة: يسن أن يفطر على الرطب حيث وُجد وإلا فعلى التمر وإلا فعلى البسر فإن لم يجد فالماء فإنه طهور ؛ فعن أنس رضي الله عنه قال :كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفطر قبل أن يصلي على رطبات فإن لم تكن رطبات فتمرات فإن لم تكن حسا حسوات من ماء) رواه أبو داود والترمذي وقال : حديث حسن وعن سلمان بن عامر الضبي رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال (إذا أفطر أحدكم فليفطر على تمر فإنه بركة فإن لم يجد تمراً فالماء فإنه طهور) رواه أبو داود والترمذي وقال حسن صحيح .

التاسعة: ينبغي أن يحرص الصائم على تحري الإفطار على الحلال ؛ قال بعض الصالحين (إذا صمت فانظر على ما تفطر فإن الحرام سم هالك للدين) وفي الحديث عن سلمان رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (من فطّر صائماً على طعام وشراب من حلال صلّت عليه الملائكة في ساعات شهر رمضان ؛ وصلى عليه جبرائيل ليلة القدر) رواه الطبراني في الكبير وأبو الشيخ ابن حبان في كتاب الثواب إلا أنه قال (وصافحه جبرائيل ليلة القدر) .

العاشرة: يسن أن يدعو عند إفطاره فإن دعاءه مستجاب فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ثلاثة لا ترد دعوتهم : الصائم حين يفطر والإمام العادل ودعوة المظلوم) رواه أحمد والترمذي وحسنه ؛ وبأي شيء دعا حصلت السّنة إلا أنه بالوارد المأثور أفضل وآكد ومن ذلك :

أ – ماروا أبو داود والنسائي بإسناده حسن عن ابن عمر رضي الله عنهما ، قال : كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا أفطر قال : " ذهب الظمأ ، وابتلت العروق ، وثبت الأجر إن شاء الله تعالى ".

ب – ما رواه أبو داود عن معاذ بن زهرة أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا أفطر قال : " اللهم لك صمت ، وعلى رزقك أفطرت " هكذا رواه مرسلا وله شواهد.

ج – ما رواه ابن السني عن معاذ بن زهرة قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أفطر قال : " الحمد لله الذي أعانني فصمت ، ورزقني فأفطرت " .

د – مارواه ابن ماجه بسند حسن عن عبد الله بن أبي مليكة قال: سمعت ا بن عمرو إذا أفطر يقول" اللهم إني أسألك برحمتك التي وسعت كل شيء أن تغفر لي" .

الحادية عشرة: يسن تفطير الصائمين فعن زيد بن خالد الجهني رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال (من فطّر صائما كان له مثل أجره غير أنه لا ينقص من أجر الصائم شيء) رواه الترمذي وصححه والنسائي ، قال العلماء : ويحصل له هذا الأجر ولو فطره على شيء يسير إلا أن الأكمل أن يشبعه ؛ وفي حديث سلمان الذي رواه ابن خزيمة في صحيحه (من فطّر فيه صائماً كان مغفرة لذنوبه وعتق رقبة من النار وكان له مثل أجره من غير أن ينقص من أجره شيء) قالوا: ليس كلنا يجد ما يفطّر الصائم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (يُعطي الله هذا الثواب من فطّر صائما على تمرة أو شربة ماء أو مذقة لبن).

وليحرص على أن يكون قصده من التفطير إتباع السنة و نيل الثواب لا العادة المعهودة كل سنة .

الثانية عشر: يسن إن أفطر عند أحد أن يدعو له بما ورد في الحديث ففي سنن أبي داود وغيره بإسناد صحيح عن أنس رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم أفطر عند سعد بن عبادة ثم قال : (أفطر عندكم الصائمون ، وأكل طعامكم الأبرار وصلّتْ عليكم الملائكة) .

الثالثة عشر: يسن أن يقوم رمضان ويحيي لياليه بأداء صلاة التراويح والوتر فهي سنة عظيمة الأجر؛ وواحدة من شعائر هذا الشهر ؛ وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يرغب أصحابه في قيام رمضان ويقول (من قام رمضان إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه) رواه البخاري ومسلم وعند النسائي في سننه (إن الله فرض صيام رمضان وسننت لكم قيامه ؛ فمن صامه وقامه إيماناً واحتساباً خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه)، قال العلماء : وإنما ينال هذا الثواب من لازمها كل ليلة فإنه يصدق عليه أنه قام رمضان ؛ ولا ينبغي للحريص على الخير أن يتهاون في تركها فإن عجز في ليلة من الليالي أو مرض أو سافر صلاها ولو ثماني ركعات ؛ ففي الحديث (إذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم) رواه البخاري ومسلم .

الرابعة عشر: يسن طيلة الشهر الكريم أن يلازم قراءة القران ؛ وأن يكثر من تلاوته فهو شهر القران ؛ وليكن له في ذلك الختمات اقتداءً بسلف الأمة ؛ فقد كان منصور بن زادان أحد عُبّاد التابعين رضي الله عنهم أنه يختم فيما بين المغرب والعشاء في رمضان ختمتين وشيئا، وروى ابن أبي داود بإسناده الصحيح أن مجاهداً رحمه الله كان يختم القرآن في رمضان فيما بين المغرب والعشاء. كذا في كتاب " الأذكار "للنووي.

الخامسة عشر: وليحرص على تدبر القراءة وترتيلها ؛ إذ مقصود القراءة تدبّر المعاني وتأمّل الآيات والوقوف عند العبر والاتعاظ بالقصص، قال تعالى: "كتاب أنزلناه إليك ليدبّروا آياته"، ولذا قال ابن عباس رضي الله عنهما: (لأن أقرأ سورة أرتلها أحب إلي من أن أقرأ القرآن كله) وسُئل مجاهد عن رجلين قرأ أحدهما البقرة وآل عمران والآخر البقرة وحدها وزمنهما وركوعهما وسجودهما وجلوسهما واحد سواء؛ فقال: (الذي قرأ البقرة وحدها أفضل) .

السادسة عشر: وكما يستحب له تلاوة القران يستحب له كذلك مدارسته مع غيره ؛ فقد كان نبينا صلى الله عليه وسلم يعارض جبريل القران كل ليلة من رمضان ، قال الإمام النووي في المجموع : (قال أصحابنا : السنة كثرة تلاوة القرآن في رمضان ومدارسته وهو أن يقرأ على غيره ؛ ويقرأ غيره عليه) اهـ ؛ والحكمة في استحباب المدارسة ما يحصل من زيادة التدبر والتفهم لمعاني القران العظيم.

السابعة عشر: وليواظب على حضور مجالس العلم والذكر والفقه فثوابها عظيم وشأنها فخيم؛ عن ابن عباس قال (كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أجود ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل ؛ وكان يلقاه في كل ليلة من رمضان فيدارسه القرآن) متفق عليه، وقد استنبط العلماء من فوائد هذا الحديث مذاكرة الخير والعلم

الثامنة عشر: وليحرص على عمارة الأوقات بذكر الله تعالى فيكون له نصيب من الاستغفار والتسبيح والتهليل و الحمد والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ؛ ومن الأذكار المنصوص عليها والواردة في الأحاديث قوله : أشهد أن لا إله إلا الله أستغفر الله نسألك الجنة ونعوذ بك من النار ؛ ففي حديث ابن خزيمة في صحيحه قال صلى الله عليه وسلم (واستكثروا فيه — يعني رمضان – من أربع خصال؛ خصلتين ترضون بهما ربكم وخصلتين لا غناء بكم عنهما، فأما الخصلتان اللتان ترضون بهما ربكم فشهادة أن لا إله إلا الله وتستغفرونه، وأما الخصلتان اللتان لا غنى بكم عنهما فتسألون الله الجنة وتعوذون به من النار) .

التاسعة عشر: وليكثر الصائم من الدعاء في أيام رمضان ولياليه ؛ فالصائم أحد الذين لا تردّ دعوتهم كما في حديث البزار (ثلاثة حقٌّ على الله أن لا يرد لهم دعوة : الصائم حتى يفطر، والمظلوم حتى ينتصر، والمسافر حتى يرجع)، وكما أن الصيام مظنّة استجابة الدعاء فكذلك شهر رمضان شهر إجابة الدعاء فعن النبي صلى الله

عليه وسلم قال: (أتاكم رمضان شهر بركة يغشاكم الله فيه ؛ فينزل الرحمة ويحط الخطايا ويستجيب فيه الدعاء) رواه الطبراني، قال النووي في المجموع: (يستحب للصائم أن يدعو في حال صومه بمهمات الآخرة والدنيا له ولمن يحب وللمسلمين)

العشرون: يستحب للمسلم أن يوسع على أهله في رمضان حيث يسّر الله تعالى عليه؛ فقد كان نبيه صلى الله عليه وسلم أجود الناس وكان أجود ما يكون في رمضان؛ عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: (كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أجود ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل) رواه البخاري ومسلم؛ قال الإمام النووي في المجموع: (قال الماوردي : ويستحب للرجل أن يوسع علي عياله في شهر رمضان ؛ وأن يحسن إلي أرحامه وجيرانه ؛ لاسيما في العشر الأواخر منه) اهـ فالمسلم حين يجود في رمضان بالعطاء والإنفاق على أهله وعياله إنما يتأسى في ذلك بنبيه صلى الله عليه وسلم .

الحادية والعشرون: وليحرص على تعاهد المحتاجين، وذوي الحاجة والمساكين، فقد وصف النبي صلى الله عليه وسلم شهر رمضان بأنه (شهر المؤاساة) رواه أبو خزيمة في صحيحه؛ وإذا كان شهر رمضان شهر المسارعة إلى الخيرات والأعمال الصالحات فتفقّد الفقراء والمساكين؛ وسدّ حاجات المحتاجين؛ أفضل الطاعات وأحسن المبرات؛ ففي الحديث (أحب الأعمال إلى الله عز و جل سرور تدخله على مسلم ؛ أو تكشف عنه كربة ؛ أو تطرد عنه جوعاً ؛ أو تقضي عنه ديناً) رواه الطبراني.

الثانية والعشرون : يستحب للمسلم الاعتكاف في المسجد؛ وهو في أيام رمضان ولياليه أشدُّ استحباباً؛ فقد كان من هدي نبينا عليه الصلاة والسلام أنه يعتكف ويرغّب في ذلك؛ فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: (من اعتكف يوماً ابتغاء وجه الله تعالى جعل الله بينه وبين النار ثلاث

خنادق أبعد مما بين الخافقين) رواه الطبراني في الأوسط والبيهقي واللفظ له والحاكم وقال صحيح الإسناد ، قال العلماء : وهو في العشر الأواخر آكد وأفضل اقتداءً به صلى الله عليه وسلم وتحرياً لليلة القدر .

الثالثة والعشرون : يسن للمسلم ترك المراء والجدال والسباب في كل حال وفي صيامه خاصةً آكد ففي الحديث (الصيام جنة ؛ فإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يصخب فإن سابه أحد أو قاتله فليقل إني صائم إني صائم) رواه البخاري ومسلم . وعن أبي هريرة رضي الله عنه أنه عليه الصلاة والسلام قال: (ليس الصيام من الأكل والشرب؛ إنما الصيام من اللغو والرفث) رواه ابن خزيمة وابن حبان في صحيحيهما. بل قال العلماء : ينبغي للمسلم هجر الكلام المباح الذي لا فائدة فيه ولا نفع منه في دين ولا دنيا وليشتغل بالذكر والاستغفار .

الرابعة والعشرون : وكما يسن له ترك الأقوال التي لا فائدة منها فكذلك يسن له ترك الأفعال التي لا نفع منها ولا خير فيها ؛ ويشهد لذلك حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم (من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه) رواه البخاري وغيره .

الخامسة والعشرون : يستحب ترك الحجامة والفصد لما فيها من إضعاف الصائم ؛ فعن ثابت البناني قال : سئل أنس رضي الله عنه أكنتم تكرهون الحجامة للصائم ؟ قال : "لا ؛ إلا من أجل الضعف " رواه البخاري، وعن عبد الرحمن بن أبي ليلى قال: حدثني رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم أن النبي صلى الله عليه وسلم "نهى عن الحجامة والمواصلة ؛ ولم ينه عنهما إلا إبقاء على أصحابه " رواه أبو داود . قال العلماء: وفي معناها سحب الدم فقد قيل إنه يضعف الصائم .

السادسة والعشرون : يسن للمسلم أن يبادر بالاغتسال من الجنابة ؛ بحيث لا يطلع عليه الفجر إلا وقد اغتسل ؛ والأمر بالمبادرة من حيث الاستحباب لا الوجوب خروجاً من خلاف من أبطل الصوم مع الجنابة مستدلاً بحديث " من أصبح جنبا فلا صوم له" وهو في الصحيحين، وقد أجيب عنه بأنه منسوخ ويدلّ للجواز حديث عائشة وأم سلمة رضي الله عنهما قالتا :"كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصبح جنباً من جماع غير احتلام ثم يصوم " رواه البخاري ومسلم .

السابعة والعشرون : وليحرص المسلم على الاعتدال في طعامه وشرابه وليحذر من الشبع وإكثار الطعام فإن ذلك يذهب سر الصيام ومقصوده؛ وفي الحديث (يدع طعامه وشرابه من أجلي) وفي رواية (وشهوته من أجلي) .

الثامنة والعشرون : يسن للمسلم أن يعتمر في شهر رمضان إذا تيسّر له ذلك وتمكن منه، فقد ثبت في الصحيحين أنه عليه الصلاة والسلام قال: (عمرة في رمضان تعدل حجة) زاد في رواية (تعدل حجة معي)، فتأمل كيف أن العمرة مع تيسّر فعلها وقلة أفعالها ويسر مؤنتها عدلت ثواب الحج الذي لا يستطيعه إلا القليل من الناس؛ أضف إلى ذلك الترغيب العظيم في قوله: (حجة معي) .

التاسعة والعشرون : يسن للمسلم أن يتحرى ليلة القدر؛ ففي الصحيحين يقول عليه الصلاة والسلام: (تحروا ليلة القدر في العشر الأواخر من رمضان)؛ ويكون التحرّي بطلب هذه الليلة والتماس متى تكون؛ و يجتهد في عمارة الليالي بالعبادة مع الحرص على صلاة التراويح في المسجد حتى ينصرف الإمام، و كذلك أداء صلاة العشاء والفجر في جماعة ؛ مع المحافظة على الأذكار والدعوات وتلاوة القران.

الثلاثون: يسن أن يُكثر في رمضان عموماً وفي عشره الأواخر خصوصاً من الدعاء؛ ولا سيما من قول: (اللهم إنك عفو تحب العفو فاعف عني) فإنها دعوة نبوية

علّمها النبي صلى الله عليه وسلم أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، وهو في حقيقة الأمر تعليم للأمة كلها .

الحادية والثلاثون: يستحب للمسلم الاغتسال في العشر الأواخر من رمضان ؛ فقد وردت في ذلك أخبار وآثار من فعل النبي صلى الله عليه وسلم وفعل أصحابة الكرام رضي الله عنهم ؛ ومن الفقهاء من حمل ذلك على ليالي الشهر كله؛ فعن عائشة رضي الله عنها قال: (كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا كان رمضان قام و نام؛ فإذا دخل العشر شدّ المئزر و اجتنب النساء و اغتسل بين الأذانين و جعل العشاء سحورا) أخرجه ابن أبي عاصم و إسناده مقارب كما قال الحافظ ابن رجب الحنبلي ، قال ابن جرير : (كانوا يستحبون أن يغتسلوا كل ليلة من ليالي العشر الأواخر ؛ وكان النخعي يغتسل في العشر كل ليلة).

الثانية والثلاثون: يستحب للمسلم التنظف والتزيّن والتطيب في العشر الأواخر من رمضان ولا سيما الليالي التي تُرجى فيه ليلة القدر ؛ وقد ورد في الآثار عن السلف من الصحابة والتابعين أنهم كانوا يغتسلون ويتنظفون ويتزينون وربما طيّبوا المسجد ؛ ورد ذلك من فعل أنس وزر بن حبيش وتميم الداري وأيوب السختياني وثابت البناني وحُميد الطويل وغيرهم؛ نقل ذلك عنهم الحافظ ابن رجب ثم قال : (فتبين بهذا أنه يستحب في الليالي التي ترجى فيها ليلة القدر التنظف و التزين و التطيب بالغسل و الطيب و اللباس الحسن كما يشرع ذلك في الجمع و الأعياد) .

الثالثة والثلاثون: يستحب للصائم إذا سافر أن يديم الصوم ولا يفطر متى كان قادراً عليه مطيقاً له لقول الله (وأن تصوموا خير لكم) نعم لو عجز عن الصوم أو حصلت له مشقة فالأفضل له الفطر لحديث (ليس من البر الصيام في السفر) رواه البخاري.

الرابعة والثلاثون: يستحب الإمساك لذوي الأعذار إذا زالت أعذارهم كالصبي إذا بلغ وهو مفطر ومثله الحائض إذا طهرت ؛ و المريض إذا بريء ؛ و المسافر إذا انقطع سفره ؛ لما في ذلك من تعظيم حرمة الشهر والتشبه بالصائمين وإزالة التهمة .

الخامسة والثلاثون: يستحب للصائم ترك كل ملتذٍ به ومشتهىً للنفس ؛ فقد وصف الله عز وجل الصائم في الحديث القدسي بأنه (يدعى طعامه وشرابه وشهوته من أجلي)؛ والشهوة كل محبوب للنفس سواء كان مبصراً أو مسموعاً أو مشموماً ؛ قال الإمام النووي في كتابه المنهاج : (وليصنْ نفسه عن الشهوات) .

السادسة والثلاثون: يستحب للمسلم الإكثار من الصدقة والزيادة من الإنفاق ؛ وسواء كان بالمال أو بالطعام أو بالثياب فقد سئل صلى الله عليه وسلم : أي الصدقة أفضل ؟ فقال صلى الله عليه وسلم : (صدقة في رمضان) رواه الترمذي ؛ قال الإمام النووي في كتابه المجموع: (قال أصحابنا: والجود والإفضال مستحب في شهر رمضان وفى العشر الأواخر أفضل ؛ اقتداءً برسول الله صلى الله عليه وسلم وبالسلف ؛ ولأنه شهر شريف فالحسنة فيه أفضل من غيره؛ ولأن الناس يشتغلون فيه بصيامهم وزيادة طاعاتهم عن المكاسب فيحتاجون إلى المؤاساة وإعانتهم).

السابعة والثلاثون: يستحب للمسلم أمر الصغار من الأولاد والبنات بالصوم ليعتادوه إذا بلغوا؛ وقد كان الصحابة رضي الله عنهم يُصوّمون صبيانهم، ولما جيء إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه بسكران في رمضان ليجلده قال منكراً عليه: (وصبياننا صيام) ؟ أخرجه البخاري في صحيحه معلقاً، وفي حديث الربيّع بنت معوّذ "أنهم كانوا يُصوِّمون صبيانهم يوم عاشوراء فإذا جاعوا وبكوا ألهوهم بلعب العهن" كما في صحيح البخاري.

الثامنة والثلاثون: يستحب أن لا يقول بعد تمام صوم رمضان وقيامه : "صمت رمضان كلّه" أو يقول: "قمتُ رمضان كلّه" لما في ذلك من تزكية النفس وشهود الكمال؛ مع احتمال عدم الصدق في قوله هذا فقد يكون قصّر في شيء منهما ؛ وقد ورد في الحديث عن أبي بكرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلي الله عليه وسلم: " لا يقول أحدكم إني صمت رمضان كله وقمته ؛ فلا أدري أكَرِه التزكية أو قال لا بد من نومة أو رقدة " رواه أبو داود والنسائي بأسانيد حسنة.

التاسعة والثلاثون: يسن لمن صام رمضان أن يتبعه بصيام ست من شوال ؛ وقد رغب النبي صلى الله عليه وسلم في صيامها وأخبر أن من صيامها بعد رمضان كصيام الدهر ؛ قال العلماء : وسواء صامها متوالية أو فرقها ؛ وسواء أتبعها يوم العيد أم فصل بينها ؛ وبالكل تحصل السنة إلا أن إتباعها يوم العيد وكونها متوالية أفضل .

الأربعون: وأخيراً فليحرص المسلم على أفضل الطاعات وأحسن العبادات ألا وهي ترك الذنوب والمعاصي؛ وليهجر صغيرها وكبيرها؛ وظاهرها وباطنها؛ فقد قيل:(أفضل الطاعات ترك المعاصي) وفي الحديث (... فاتقوا رمضان فإن الحسنات فيه تضاعف والسيئات كذلك) رواه الطبراني .

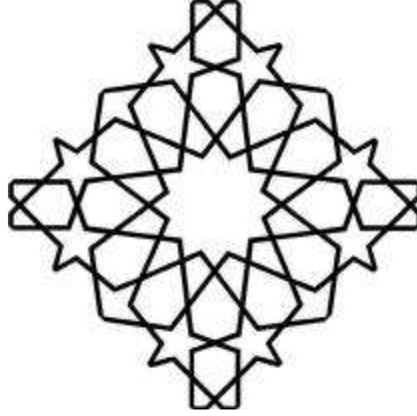
وعموماً فكل عمل صالح وطاعة وقربة ينبغي للمسلم أن يحرص عليها ؛ وأن يستكثر منها ؛ ومن كل ما يقربه إلى الله تعالى ؛ كيف لا وفي الحديث (أن من تقرب فيه – يعني رمضان – بخصلة من الخير كان كمن أدّى فريضة فيما سواه) رواه ابن خزيمة .

نسأل الله تعالى أن يوفقنا لما يحبه ويرضاه ؛ وأن يبلغنا غاية رضاه ، وأن يعلّمنا ما ينفعنا، وينفعنا بما علّمنا، آمين . وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وتابعيهم بإحسان إلى يوم الدين ، والحمد لله رب العالمين .

الرسالة الثالثة

خواطر رمضانية

جمع وترتيب
سقاف بن علي العيدروس



ا

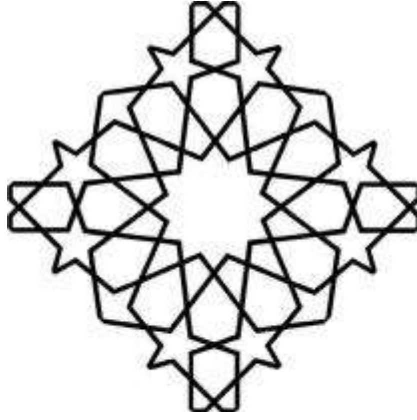
الحمد لله الذي جعل في السماء بروجًا وجعل فيها سراجًا وقمرًا منيرًا، وهو الذي جعل الليلَ والنهارَ خِلْفَةً لمن أراد أن يذَّكر أو أراد شكورًا، وصلى الله على مَنْ

بُعِثَ بالهدى ودين الحق بشيرًا ونذيرًا، وعلى آله وصحبه ومن سار على نهجه واقتفى أثره وسلم تسليمًا كثيرًا، أما بعد:

فإن رمضانَ أيامٌ معدوداتٌ، وفرصٌ سانحاتٌ، وإن اغتنام هذه الأيام لدليلُ الحزم، وإنَّ انتهاز تلك الفرص لعنوانُ العقل والفهم؛ ذلكم أن الوقت رأسُ مالِ الإنسان، وساعات العمرِ هي أنفسُ ما عني بحفظه أهل الإيمان، فكلّ ساعة من ساعاتِ عُمُرِكَ جوهرة ليست لها قيمة ؛ وعطيّة من الله عظيمة، فإن كنت حريصًا على أن تفوز بجزيل الفضل والعطاء، وتحوز من الله القبول والرضا، فها هو شهر رمضان أفضل الشهور، قد حل بخيراته وبركاته وما فيه من عظيم الأجور؛ فاغتنم أوقاته بأنواع العبادة وأصناف الطاعة؛ واحذر التهاون والتكاسل والإضاعة؛ فسوف تنال بذلك كثير الحسنات، ورفيع الدرجات .

ثم إنه ومن باب (وذكّر) خطرت بالبال بعض الخواطر الوعظية ؛ والمعاني الإيمانية ؛ أحببت عرضها في هذه الصفحات لتكون بمثابة الدروس الرمضانية ؛ والوصايا الإيمانية ؛ التي يحتاج إليها من أدرك الشهر الكريم ؛ ويتزود منها من أدرك مواسم الربح العظيم ؛ (إن لكم في أيام دهركم نفحات ألا فتعرضوا لها) .

وقد رتبتها على (ثلاثين) خاطرة على عدد أيام الشهر الكريم ؛ عسى أن يستفيد منها من وقف عليها؛ أو ينتفع بها من قرأ فيها؛ والله تعالى أسأل أن يجعل هذا الجمع خالصاً لوجهه الكريم، وسبباً في نيل ثوابه العظيم ؛ وهذا أوان الشروع في المقصود ومن الله أستمد العون والتسديد ، وهو حسبي ونعم الوكيل .



الخاطرة الأولى

(أتاكم شهر رمضان)

• أقبِلْ أيها المسلم على ربك في هذا الشهر، واجتهد وسابق لتدرك أجزل الثواب والأجر، ونافس وسارع بجدّ فإنه شهر المسارعة إلى الخيرات، والإكثار من الأعمال الصالحات؛ فتُب إلى الله توبة صادقةً نقيةً من كل شوب، خالصةً لوجهه تعالى من جميع الذنوب، وأقبل على الله إقبال الخائف منه، وتوجّه إليه توجه الذي لا يستغني عنه، راجياً له عاملاً بأمره ، طامعاً فيه منتهياً عن نهيه وزجره، ففي الحديث (التَّائِبُ مِنْ الذَّنْبِ كَمَنْ لَا ذَنْبَ لَهُ) رواه ابن ماجه. بل إن الله جلّ وعلا يُبدِّل سيئات التائب حسنات، كما قال تعالى : ﴿ فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴾ .

• وليكن ذلك من أول ليلةٍ من رمضان ، فإنها ليلة تفتح فيها أبواب الجنان ؛ وتغلق فيها أبواب النيران ، وتسلسل فيها مردة الشياطين والجان ؛ وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم : (إِذَا كَانَ أَوَّلُ لَيْلَةٍ نظر الله إليهم ومن نظر الله إليه لا يعذبه) رواه ابن خزيمة؛ فاغتنم ليالي النوال والعطاء، ففضل الله في أيامها والليالي سحاء، (وَيُنَادِي مُنَادٍ كُلَّ لَيْلَةٍ يَا طَالِبَ الْخَيْرِ هَلُمَّ وَيَا طَالِبَ الشَّرِّ أَمْسِكْ) رواه النسائي وغيره. فاستجب لهذا المنادي كلّ ليلة بهمة صالحة، واجتهد في أن تقدّم لآخرتك تجارة رابحةً، ولم يبقَ من العمر إلا قليل، وقد دنا وقتُ الرحيل، ولا تعلم هل تعيش إلى رمضان المقبل أم لا.

• ليكن دخول شهر رمضان عليك بأن تقوم في هذا الشهر قومةً نشيطةً ، وعزمةً كبيرةً على التوجه إلى ربك ، والإنابة إليه ، وتغيير حالك من الغفلة والإعراض إلى الإقبال والمنافسة في كل خير ، وطلب النجاة من عذاب الله ، وبذل الأسباب التي يدخل بها العبد الجنة ، وتُرفع بها درجته عند الله ، وينجو بها من النار ، ولتكن ممن أفاق من رقدته، فسعى في حياة قلبه بذكر الله ، وشكره ، والتقرب إليه ، وطلب ما

عنده من الأجر العظيم فشمِّر عن ساعد الجد في التقرب إلى الله بقراءة القرآن ، والتسبيح والتهليل والتكبير في كل آن، وحفظ القلب الجوارح واللسان ، والدعاء والصدقات والإحسان، فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: "خَيرُ النَّاسِ أَنْفَعَهُمْ لِلنَّاسِ" رواه الطبراني في الأوسط.

الخاطرة الثانية

(وأما بنعمة ربك فحدث)

• يَعتبِر كثير من المسلمين – وللأسف – أن النعم التي تستحق الحمد وتستوجب الشكر هي (النعم الدنيوية) فترى أحدهم إذا أُعطي مالاً ؛ أو رُزق مولوداً ؛ أو أُهدي شيئاً ؛ ترددت على لسانه كلمات الشكر والثناء ؛ وتكررت من فمه ألفاظ الحمد على النعماء ؛ بل ربما سجد أحدهم سجدة الشكر حمد لله تعالى على شيء ناله من الدنيا؛ ولو عقلنا ووعينا لعرفنا أن (نعم الدين) أحق وأولى بالشكر لها ؛ والفرح بها ، ومنها بلوغ المسلم مواسم المغفرة والمضاعفات ؛ وأزمنة الرحمة والبركات ؛ ومن أجلها وأعظمها بلوغ (سيد الشهور) .

• إن إدراك شهر رمضان، نعمة عظيمة، وفضل من الله الكريم، يمن به على من يشاء من عباده، لتزداد حسناتهم، وتمحى سيئاتهم، وترفع درجاتهم، وتقوى صلتهم. بمولاهم، ليكتب لهم الأجر العظيم، والثواب الجزيل، وينالوا رضاه، وتمتلئَ قلوبهم بخشيته وتقواه، ومما يدل على ذلك ويؤكده، ما ورد في حديث الثلاثة الذين استشهد منهم اثنان، ثم مات الثالث بعدهما على فراشه، فَرُئِيَ في النوم وقد سبقهما في دخول الجنة، فسئل عليه الصلاة والسلام عن ذلك، فقال: (أليس صلى بعدهما كذا وكذا صلاة، وأدرك رمضان فصامه، فو الذي نفسي بيده، إن بينهما لأبعد مما بين السماء والأرض) رواه أحمد في المسند.

• وإذا تأملنا في الأحاديث النبوية فإننا نجده صلى الله عليه وسلم يبشر أصحابه بقدوم رمضان ؛ ويخبرهم إذا قرب دخوله ؛ بل ويذكر بعض خصائصه ؛ ويسرد لهم شيئاً من فضائله، ويخبرهم بما أعد الله فيه من الثواب لعباده المخبتين وأوليائه الطائعين؛ ويقول لهم "لو يعلم العباد ما رمضان لتمنت أمتي أن يكون رمضان السنة

كلها"رواه ابن خزيمة. وهو بذلك يهيؤهم لاستقباله وكأنه ضيف عزيز ينزل بساحتهم، عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما حضر شهر رمضان: (سبحان الله، ماذا تستقبلون وما يستقبلكم؟ - قالها ثلاثا - فقال له عمر بن الخطاب رضي الله عنه: يا رسول الله، وحي نزل أو عدو حضر، قال: لا، ولكن الله عز وجل يغفر في أول ليلة من رمضان لأهل هذه القبلة) الحديث.[1] ، فأكرم بها من عطايا، وأنعم بها من مزايا.

[1] - أخرجه ابن خزيمة في صحيحه والبيهقي في الشعب والضياء في المختارة .

الخاطرة الثالثة

(والله يريد أن يتوب عليكم)

- جعل الله لنا في أيام دهرنا نفحات؛ وبث في أيام سنتنا مواسم مباركات؛ يعرض فيها للمسيئين فرصة الرجوع إلى حظيرة القرب من رحمة الله ؛ ويفتح لهم باب التوبة من الذنوب التي عصوا بها الإله ؛ ويقول لهم (والله يريد أن يتوب عليكم). ومن غير شك أن شهر رمضان المبارك ولياليه المنيرة هو من أهم هذه المواسم التي تُعرض فيها بضاعة (التوبة) ؛ فطوبى لمن ألهج لسانه بالاستغفار ؛ ودام عليه بالليل والنهار؛ وأكثر منه كل حين ولاسيما أوقات الأسحار؛ لتكون النتيجة: " طوبى لمن وجد في صحيفته استغفارا كثيرا".
- وفي هذا الشأن ورد الحديث الذي أخرجه ابن خزيمة والبيهقي والذي يقول فيه النبي صلى الله عليه وسلم : " استكثروا فيه - يعني رمضان - من أربع خصال : خصلتان ترضون بهما ربكما وخصلتان لا غنى لكم بهما " ثم قال : " فأما الخصلتان التي ترضون بها ربكما فشهادة أن لا إله إلا الله والاستغفار، وأما الخصلتان اللتان لا غنى لكم عنهما فتسألونه الجنة وتستعيذون به من النار"، فلنكثر ولنكرر: أشهد أن لا إله إلا الله أستغفر الله ؛ نسألك الجنة ونعوذ بك من النار.
- لكن هل يُتصور أن يكون هنا من يأبى مغفرة الغفار؛ ويعرض عن التضرع والاستغفار ؛ أخرج الأصبهاني عن ابي هريرة عنه عليه الصلاة والسلام قال: "نعم الشهر شهر رمضان؛ تفتح فيه أبواب الجنان، ويصفد فيه مردة الشياطين، ويغفر فيه إلا لمن أبى"، قالوا: ومن يأبى يا أبا هريرة؟ قال: الذي يأبى أن يستغفر الله عز وجل"، هذا والعياذ بالله وصف المنافقين، الذين قال فيهم رب العالمين: (وإذا قيل لهم تعالوا يستغفر لكم رسول الله لوّوا رؤوسهم ورأيتهم يصدون وهم معرضون) أعاذنا الله.

الخاطرة الرابعة

(هل أدلكم على تجارة تنجيكم)

• عندما يدرك المسلم أنه في شهر ليس كسائر الشهور ؛ وليال ليست كبقية الليال ؛ فينبغي أن يكون شخصاً ليس كالذي نعرفه في غير رمضان ؛ فالمسلم عندما يسمع أن شهر رمضان شهر تفتح فيه أبواب الجنة وتغلق فيه أبواب النار وتغل فيه مردة الشياطين ؛ وأن الملائكة تستغفر للصائمين في نهار رمضان ؛ وأن خلوف أفواههم أطيب عند الله من ريح المسك ؛ وغير ذلك من خصائص شهر رمضان ؛ لكان كل ذلك ربّما لا يستنهض همته للعمل الصالح و الإكثار من الطاعة إلا عندما يسمع أن الأعمال الصالحة تتضاعف حسناتها، وتزداد عند الله أجورها، فهي بحق أسواق المرابحة؛ ومواسم الأعمال الصالحة، وهنا يقال : "هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم" .

• ثم إن المضاعفة ليست يسيرة؛ لماذا ؟ لأن الذي نعامله بهذه التجارة هو (الملك) فالعطاء إذاً كبير والجزاء لا شكّ كثير ؛ قال عنه الجواد الكريم : (هذا عطاؤنا فامنن أو أمسك بغير حساب) ، وقد حدثنا عن بعضه البشير النذير فأخرج ابن خزيمة في صحيحه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (من تقرب فيه -يعني رمضان - بخصلة من خصال الخير كان كمن أدى فريضة فيما سواه ؛ ومنادى فيه فريضة كان كمن أدى سبعين فريضة فيما سواه) ، وأخرج ابن أبي الدنيا في فضائل رمضان عن الزهري قَالَ: "تسبيحة في رمضان أفضل من ألف تسبيحةٍ في غيره"،وأخرج عبدالله بن المبارك عن أبي بكر بن أبي مريم قال: قال: سمعت مشيختنا يقولون: "إذا حضر شهر رمضان، قد حضر مطّهر، ويقولون: "انبسطوا بالنفقة فيه، فإنها تضاعف كالنفقة في

سبيل الله عز وجل" . هذا بعض ما ظهر، وأما ما خفي فأعظم ؛ لمح إليه قول الله تعالى: "كلٌّ نمدّ هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك" .

- بقي أن يُقال: إن السيئات أيضاً تضاعف، ذلك لنعرف حرمة الشهر ونقف عند حدوده ؛ ونحفظ حرمته . أخرج الطبراني عن أم هانيء أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "إن أمتي لن تخزى ما أقاموا صيام رمضان" . قيل: يا رسول الله وما خزيهم في إضاعة شهر رمضان؟ قال: "انتهاك المحارم فيه، من عمل فيه زنى أو شرب خمراً لعنه الله، ومن في السموات إلى مثله من الحول، فإن مات قبل أن يدرك شهر رمضان، فليست له عند الله حسنة يتقي بها النار، فاتقوا شهر رمضان، فإن الحسنات تضاعف فيه ما لا تضاعف فيما سواه، وكذلك السيئات"[٢] .

وهذا قد يسبب مشكلة لدى المقصرين المهملين . لكن عند المحاققة هي ليست مشكلة لكنها الفرصة لكل بعيد أراد أن يقرب ؛ ولكل غافل أراد أن يستيقظ ؛ ولكل ضال أراد أن يهتدي ؛ موسم لكل من أراد يصلح نفسه ؛ وأن يصطلح مع ربه ؛ الذي يحب التوابين ويحب المتطهرين (فالتائب حبيب الله والتائب من الذنب كم لا ذنب له) .

٢- أخرجه الطبراني في الأوسط والصغير عن أم هانيء بنت أبي طالب..

الخاطرة الخامسة

(وفرحة عند لقاء ربه)

- إن كان شيء يستحق الفرح؛ ويستوجب السرور؛ فهو حصول المؤمن على نصيب من فضل الله ؛ وقسم من رحمة الله ؛ فتلك هي السعادة الحقيقية المشار إليها في قول الحق تعالى (قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فيفرحوا) ثم قال (هو خير مما يجمعون) فما يجمعون يؤول إلى نهاية و زوال ؛ وما يملكون يصير إلى فناء وانتقال ؛ وأما فضل الله ورحمته فذلك فوز في الدنيا وذخر في الآخرة (فماذا وجد من فقد الله ؛ وماذا فقد من وجد الله) .

- كم هي فرحة المسلم حين يتفضل الله تعالى عليه، ويمن عليه بإدراك شهر الصيام والقيام، لأنه كان ينتظر قدومه بلهف وشوق، فهو يعرف ما أعد الله فيه من الخيرات والبركات، وزيادة الأجور ورفعة الدرجات؛ فيكرمه الله في صيامه بفرحة في الدنيا أولاً؛ وفرحة في الآخرة (انظر كيف فضلنا بعضهم على بعض وللآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلا) وفي الصحيحين (للصائم فرحتان: فرجة عند فطره ؛ وفرحة عند لقاء ربه)

- الكل يتهيأ ويفرح لقدوم رمضان، إلا أن المؤمن يستعد بالنفقة وما يعينه على الصيام والقيام، وأما المنافق فيُعدّ له الملهيات والغفلات؛ فهذا فرحه برمضان، وفي هذا المعنى جاء الحديث "ما مرَّ بالمسلمين شهر خير لهم منه، ولا مرّ بالمنافقين شهر شر لهم منه، إن الله ليكتب أجره ونوافله قبل أن يدخله، ويكتب إصره وشقاءه قبل أن يدخله، وذلك أن المؤمن يُعِدُّ فيه القوت من النفقة للعبادة، ويُعِدُّ فيه المنافق اتباع غفلات المؤمنين، واتباع عوراتهم"،إذن فرمضان غُنم يغنمه المؤمن، اللهم اجعلنا من الغانمين .. آمين.

الخاطرة السادسة

(أنفق ينفق عليك)

● عند النظر في بعض الأحاديث التي جاءت في تعديد خصائص رمضان نقف على هذا النص النبوي (وهو شهر يزاد فيه رزق المؤمن) أخرجه ابن خزيمة في صحيحه ؛ وفي هذا لفت الانتباه إلى أن في هذا الشهر المبارك تتجلى مظاهر كرم الله تعالى وجوده على عباده ؛ فقوله (شهر يزاد فيه رزق المؤمن) يرد فيه احتمالان :

الأول: أن الزيادة هنا على ظاهرها فيكون المراد من قوله (يزاد) على حقيقته فيلحظ المؤمن زيادة ظاهرة في كسبه ومعيشته .

الثاني: أن الزيادة معنوية ؛ ويكون المقصود حصول البركة في القليل من المال، والقناعة باليسير من الرزق؛ فتجد قلب المؤمن راضياً بما قسم الله تعالى له .

● ثم إن من محاسن الشريعة الغراء أن نفقة المسلم على أهله يثاب عليها ؛ وفي ذلك يقول النبي صلى الله عليه وسلم: (إنك لن تنفق نفقة تبتغي بها وجه الله إلا أُجرتَ عليها حتى ما تجعل في في امراتك – أي فمها –)؛ فحالنا في رمضان ينبغي أن يكون أحسن من قبل فرمضان ضيف نزل بساحتنا وفي الحديث (الضيف يأتي برزقه ويرتحل بذنوب أهل الدار) .

● هذا وقد وُعدنا بالجزاء العظيم ؛ والمضاعفة من الكريم ؛ فالنفقة في رمضان على الأهل والعيال كالنفقة في القتال في سبيل الله ، (انبسطوا في النفقة في شهر رمضان فإن النفقة فيه كالنفقة في سبيل الله) رواه ابن أبي الدنيا، والمعنى: انبسطوا في النفقة على الأهل والأقارب وكذا الفقراء ؛ وأوسعوها فإن النفقة فيه – يعني رمضان – كالنفقة في سبيل الله في تكثير الأجر وتكفير الوزر أي : يعدل ثوابها ثواب النفقة على قتال أعداء الله لتكون كلمة الله هي العليا وكلمة الذين كفروا هي السفلى .

الخاطرة السابعة

(أولئك هم المؤمنون حقا)

- يمثّل شهر رمضان للمؤمنين موسما من أعظم المواسم التي تقوّى صلتهم بخالقهم، وتجدد الإيمان في أفئدتهم، ولذلك يفرحون بمقدمه، فهم يرون فيه زمنا يريح عنهم ثقل أوزار اقترفوها في أشهر مرَّت، ويزيل منهم درن ذنوب قارفوها في أوقات سلفت ؛ قد زينت لهم أنفسهم الأمارة بالسوء التكاسل عن الطاعة، والتسويف بالإكثار من العبادة، فما شعروا إلا وهذا الموسم العظيم يوقظهم من سباتهم، ويذكي في قلوبهم الإسراع إلى أماكن العبادة، والمبادرة إلى سبل الخير وسلوك طريق السعادة، فطوبى لهم.
- يفرحون بمقدم شهر رمضان ؛ لا لشيء إلا أنهم يرجون أن يكونوا ممن قال فيهم المصطفى عليه الصلاة والسلام: "من صام رمضان إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه" متفق عليه، وهم يشكرون الله تعالى الذي منّ عليهم ببلوغ هذا الشهر الكريم، وكتب لهم أن يكونوا في عداد الصائمين، فهو شهر يجددون فيه التوبة، ويقطعون العهد بمواصلة الطاعة، ويصطلحون فيه مع مولاهم، رجاء أن يعتقهم من النيران، ويمنّ عليهم بالمغفرة ودخول الجنانِ. فهنيئاً لهم (أولئك هم المؤمنون حقاً).
- دونكم هذا الضيف الكريم الذي نزل بساحتكم؛ والنزيل العزيز الذي أظل فناكم؛ فانظروا بمَ تكرموه؛ وتأملوا كيف تعاملوه؛ فحريٌّ بكل واحد منا أن يضاعف طاعته لله، ويكثر من كل ما يقربه لمولاه، فقد كان الأخيار السالفون، يداومون على صيام النافلة، ولا يخصون الصيام بشهر رمضان فقط، ورد أن قوماً من السلف باعُوا جارية لهم، فلما قرُب شهر رمضان، رأتهم يستعدون له بأنواع الأطعمة، فسألتهم عن ذلك، فقالوا: نستعد لصيام رمضان، فقالت: وأنتم لاتصومون إلا رمضان، لقد كنت عند قوم كل زمانهم رمضان، رُدُّوني إليهم؛ حقاً (أولئك هم المؤمنون حقاً).

الخاطرة الثامنة

(إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم)

- ها هو شهر رمضان، أفضل الشهور، قد حط رحاله، وحل بخيراته وبركاته؛ كي تغتنم أخي لياليه والأيام، وتؤدي بإخلاصٍ ركنا من أركان الإسلام، وتنال بذلك زيادة الحسنات، ورفعة الدرجات، هاهو رمضان.. الشهر الذي يأنس المسلمون فيه وتسري في نفوسهم محبته، يذكر فيه بعضهم بعضا، فتشيع الرحمة والمودة في قلوبهم، ويظهر أثرها داخل مجتمعاتهم، ويشتد رباط العطف والتآزر بين جميع فئاتهم. فيا من يريد التغيير (إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم) .

- رمضانَ أيامٌ معدوداتٌ، وفرصٌ سانحاتٌ، وإن اغتنام هذه الأيام والليال، وعمارتها بصالح الأعمال، لدليل التوفيق من الله عز وجل؛ وعلامة المحبة منه لمن شمّر في العمل ، فاغتنموا الأوقات ، واستثمروا الساعات ، فكل ساعة من ساعاتِ عُمُرِكَ قابلةٌ لأن تضعَ فيها حجرًا يزداد به صرحُ مجدِك ارتفاعًا، وتسبق بها غيرك في السعادة باعًا أو ذراعًا. فيا من يريد التغيير تذكّر (إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم) .

- دعِ الراحةَ جانبًا، واجعل بينك وبين اللهو حاجبًا؛ فالكيّس الفطن يَغتنم الوقت أحسن الاغتنام، ولا يتخذه وعاءً لأبخس الأعمال وأسخف الكلام، ويعلم أنه من أجلِّ ما يصان عن الإضاعة والإهمال، وَأغلى ما يُملك من بضائع لا تُثمّن بمال.

والوقت أغلى ما عنيتَ بحفظه ... وأراه أسرع ما عليك ضيع

إذن .. فرمضان الفرصة المناسبة لتصحيح اعوجاجنا؛ وإصلاح أخطائنا؛ إنه الفرصة الملائمة للرجوع إلى الحق، والتخلّص من الرّق، فيا من يريد التغيير تذكّر (إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم).

الخاطرة التاسعة

(كلوا واشربوا ولا تسرفوا)

- منّ الله على عباده بالطيبات، وأنعم عليهم بصنوف من المباحات، يتعاملون معها بانضباط، ويتناولوها دون تفريط أوإفراط، أولئك الذين قال الله تعالى في وصفهم (وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَاماً) أي أنهم في مأكلهم ومشربهم، وملبسهم ومسكنهم، حالهم وسط في ذلك كله، لا يسرفون ولا يقترون، ولا يضيقون على أنفسهم ومن يعولون، وإنما كانوا كذلك لعلمهم أن خالقهم وسيدهم نهاهم عن الإسراف، ونبيهم أمرهم بمنهج الوسط والكفاف ؛ فقال: "كلوا واشربوا وتصدقوا والبسوا في غير إسراف ولا مخيلة" رواه الإمام أحمد.
- إن المتأمل لحال الناس في رمضان، يجد أن كثيرا منهم يخالفون هذا التوجيه الإلهي، والإرشاد النبوي، فترى أن الإسراف يظهر في صور متنوعة، وحالات متعددة، حين تقدم على موائد الإفطار عشرات الأصناف من الأشربة والأطعمة ، حتى أصبح الإكثار من هذا عادة عند كثير من الناس، بل إن هناك أطعمة لا تُعمل إلا في رمضان، حيث أصبحت لها عند الناس خصوصية في هذا الشهر المبارك، تعرف بمأكولات أو أشربة رمضان .
- إن رمضان الفترة المحدودة؛ أو المدّة المعدودة؛ التي وصفها الله تعالى بقوله: "أياماً معدودات" أراد الله منا أن نتدرب فيها على تقليل المطعومات والمشروبات؛ والاقتصاد في المشتهيات والملذات؛ لنحس بالأكباد الجائعة ؛ والأجساد العارية ؛ وهو معنى (يدع طعامه وشرابه من اجلي) ولنكن ممن قال الله فيهم (يا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ).

الخاطرة العاشرة

(واستغفر لذنبك)

- المسلم في هذه الحياة معرض للوقوع في المخالفات، وارتكاب الذنوب والسيئات وكثرة الهفوات، وهذا أمر لا يكاد يخلو منه أحد، ولذلك شرع الاستغفار والتوبة من الذنوب، قال عليه الصلاة والسلام: "والذي نفسي بيده لو لم تذنبوا لذهب الله بكم ولجاء بقوم يذنبون فيستغفرون الله تعالى فيغفر لهم" رواه مسلم. ومن أدرك رمضان ولم يُغفر له فمتى يغفر له ؟؟ أيها المذنبون . أيها العصاة . أيها الغافلون . شهر رمضان يناديكم ، يدعوكم . يخاطبكم ؛ فطوبى لمن إذا ذُكِّر تذكّر، وإذا وُعِظ اتعظ ، فلا تغفلوا وقولوا : أشهد أن لا إله إلا الله، استغفر الله، نسألك الجنة ونعوذ بك من النار..

- فتب إلى الله تعالى أيها المقصر في فرائض الله، وتدارك أيها المفرط في جنب الله، فأنت في شهر رمضان، شهر التوبة والغفران، عسى أن تفوز برضا الرحمن، وتسعد سعادة أبدية في نعيم الجنان ؛ قبل أن يفوتك الأوان ؛ عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "من تاب قبل أن تطلع الشمس من مغربها تاب الله عليه" رواه مسلم.وقال عليه الصلاة والسلام: "إن الله عز وجل يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل، حتى تطلع الشمس مغربها"، رواه مسلم.

- فسارعوا إلى اغتنام هذه الأيام والليالي المباركات؛ بالتوبة النصوح من المعاصي والمخالفات؛ وكثرة الاستغفار من الذنوب السالفات؛واحذروا من تأجيل التوبة ومن التمادي في الذنوب اعتمادًا على سعة رحمة رب العالمين؛ واحذروا من الاغترار بإمهال الله للمسيئين، قال صلى الله عليه وسلم: "إذا رأيت الله – عز وجل – يعطي العبد

من الدنيا على معاصيه ما يحب؛ فإنما هو استدراج" ثم تلا قوله – عز وجل: {فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ} أخرجه أحمد ورجاله ثقات.

الخاطرة الحادية عشر

(الكلمة الطيبة صدقة)

- جاء شهر رمضان وصيامه ليعلمنا درساً راقياً في الأخلاق، إنه (من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت) جاء ليعلمنا كيف نضبط ألسنتنا حين نتكلم، وكيف نزن أقوالنا عندما نتحدث؛ إنه درس اسمه "الكلمة الطيبة"، كثيرٌ من يعلمه لكن قليل من يعمله، روى البخاري ومسلم في صحيحيهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "إذا كان يوم صوم أحدكم، فلا يرفث يومئذ ولا يجهل، فإن سابه أحد أو قاتله، فليقل: إني صائم".
- هكذا يحث النبي صلى الله عليه وسلم "الصائم "على حفظ صيامه من كل ما يخدشه، وأن يمسك عن الكلام الباطل والمحرم، ويعوّدِ لسانه على طيب الكلام، وجميل القول، حتى لو تعرض له أحد بسوء، أو بادره بالسباب، فليكن صابرا محتسباً، مقدِّراً حرمة هذا الشهر، مستشعراً عِظَم الأجر، ولا يسارع بالانتصار لنفسه، والانتقام من خصمه، بل يترك الرد عليه، كما ترك الطعام والشراب فلم يتناولهما، فكذلك هنا يتنازل عن حق نفسه بالمعاقبة اللفظية لمن واجهه بلغو الكلام، والشتم، وليقل له "إني صائم" .
- هذه الغاية من الصوم والثمرة التي يخرج بها من صام رمضان ؛ وإلا فما الحاجة لصيامه وتركه الطعام والشراب ؛ قال عليه الصلاة والسلام: "من لم يدع قول الزور والعمل به، فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه". رواه البخاري . فهيّا – إذن – نعيش ونحن في رمضان (فليقل خيراً أو ليصمت) فهذا هو الصيام .. يا أهل الإسلام، وهنا تكمن المجاهدة، وهنا حقيقة المصابرة، فحقيقة الجهاد في رمضان هو جهاد النفس التي تريد الانتقام، والنطق بالإثام، فنُحْرم عند ذاك ثواب قال الله تعالى

عنه (إلا الصوم فإنه لي وأنا أجزي به)، فجاهد تشاهد واغنم الوعد بالهدى .. عسى أن نكون ممن قال فيهم (لنهدينهم سبلنا) اللهم اهدنا فيمن هديت.

الخاطرة الثانية عشر

(والصاحب بالجنب)

- لما كان شهر رمضان شهر الإيمان والإحسان أدرك الحريص على الخيرات؛ الراغب في المراتب العاليات؛ أن تمام الصيام والقيام وإحسانهما (الإحسان إلى الجار) كيف لا؛ والرسول الكريم صلى الله عليه وسلم يخبرنا أن جبريل ما زال يوصيه بالجار حتى ظن أنه سيجعل له نصيبا من الميراث ؛ وفي الصحيحين يقول : «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره» وفي رواية «فليحسن إلى جاره» .
- وتمام الإحسانُ إليه؛ دليل الفضل، وبرهان الإيمان، وعنوان الصدق ؛ ويكون ذلك بأن يغضيَ عن هفواته، ويتلقى بالصفح كثيرًا من زلاته، ولا سيّما إساءةً صدرت من غير قصد، أو إساءةً ندم عليها، وجاء معتذرًا منها؛ فاحتمالُ أذى الجارِ ومقابلةُ إساءتِه بالإحسان من أرفع الأخلاق، ولقد فقه السلف هذا المعنى؛ حتى قال الحسن: ليس حسنُ الجوارِ كفَّ الأذى، حسنُ الجوارِ الصبرُ على الأذى .
- هذا فقه القلب الذي تربّى عليه الأوائل، ونشأ عليه أهل العلم والفضائل، قال علي بن أبي طالب للعباس رضي الله عنهما (ما بقي من كرمِ إخوانك؟ قال الإفضالُ إلى الإخوان، وتركُ أذى الجيران) . فانظر كيفَ عدّ ترك أذى الجيران من الكرم، ولنتأمل حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قيل يا رسول الله إن فلانةً تصلي الليل، وتصوم النهار، إلا أنها تؤذي جيرانها بلسانها، قال: (لا خير فيها هي في النار) . وقيل له: إن فلانةً تصلي المكتوبة، وتصوم رمضان، وتتصدق بالأثوار[1] وليس لها شيء غيره، ولا تؤذي جيرانها، قال: (هي في الجنة)، اللهم وفّر نصيبنا من هذه الأخلاق.. آمين.

---

[1]- وهي القطع الكبيرة من الأقط وهو اللبن الجامد .

الخاطرة الثالثة عشر

(وإن تعفو أقرب للتقوى)

- إنه درس العفو، بذل المسامحة، كيف نتسع لمن خالفنا ؛ كيف نتجاوز عمن أساء إلينا ؛ لا ليعطينا أو يكرمنا بعطية، لا لننتظر منه جزاء أو هدية، بل لننال رضا الرب تعالى ؛ ونحن في شهر العطايا الإلهية، والمنح الربانية، لنكون بعفونا أقرب إلى مرضاة الله تعالى (وإن تعفو أقرب للتقوى)

- وأعود لأقول : ما بالنا نُحكم فنّ الأعذار ولا نُحكم فنّ الإعتذار !! وما لنا يثقل على ألسنتا كلمات التجاوز والمسامحة، ولا نقبل الآخر ونبطر الحقَّ بنفوس جامحة!! لعل ذلك لظننا أنها مظهر من مظاهر الذل والسقوط؛ وصورة من صور المهانة والهبوط ؛ وحقيقة الأمر خلاف ذلك ؛ ففي العفو والاعتذار أبلغ الخزي للشيطان وأشد القهر، وأوضح انتصار على النفس الأمارة بالسوء بل ونيل عظيم الأجر؛ أضف إلى ذلك وعد الله تعالى لنا بالعزة والنصر؛ أخبرنا عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم مُقسِماً عليه فقال : (ثلاث أحلف عليهن وأحدثكم حديثاً فاحفظوه : ما زاد الله عبداً بعفو إلا عزا) .

- إن شهر رمضان جاء تحفةٌ لنا ؛ لنصحح المسار؛ ونراجع الحسابات؛ وننصب ميزان المحاسبة لأنفسنا؛ فرمضان شهر البر والصلة، وشهر التعاطف والمرحمة، فالقلوب تلين لذكر الله، والنفوس تستجيب لداعي الله، فهو الفرصة الكبيرة للإصلاح والمسامحة مع الأقارب والأرحام والجيران، وإذا لم يكن رمضان شهر مجاهدة اللعين؛ و طلب رضوان رب العالمين؛ فمتى يكون ذلك ؟؟ .

الخاطرة الرابعة عشر

(وهو شهر المؤاساة)

- نتعلم من رمضان كيف نواسي أهلنا ؛ كيف نواسي أرحامنا ؛ كيف نواسي جيراننا؛ فرمضانُ شهرُ الصفاء، وموسم السخاء؛ وأوان النقاء، فالنفوس في هذا الشهر تقترب من مولاها، وتنبعث إلى ما يزكيها ويطهرها من شحها، {وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ} وفي الصحيحين عن ابن عباس –رضي الله عنهما– قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أجودَ الناس، وكان أجودَ ما يكون في رمضان، حين يلقاه جبريل في كل ليلة، فيدارسه القرآن، فلَرسولُ الله صلى الله عليه وسلم أجود بالخير من الريح المرسلة . هكذا حال النبي صلى الله عليه وسلم، وهكذا ينبغي للمسلم أن يكون ؛ ولاسيما وهو في شهر المضاعفة للحسنات ؛ في شهر وصَفَه النبي صلى الله عليه وسلم بأنه (شهر المؤاساة) .
- إنه حقاً شهر (المؤاساة) التي هي دليل على الرحمة، والشعور بالآخرين، كما أنها سبب لتيسير الأمور، وتفريج الكربات، وإعانة الرب –جل وعلا– فالله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه ، عن الحسن رحمه الله قال: (لأنْ أقضيَ حاجةَ أخٍ لي أحبُّ إلي من أن أعتكفَ سنة) ؤ، وقيل لابن المنكدر رحمه الله: (أي الأعمال أحب إليك؟ قال: إدخال السرور على المؤمن، وقيل: أي الدنيا أحب إليك؟ قال: الإفضال على الإخوان) .
- ما أحوجنا إلى أن نقيم حقائق الشهر الكريم ؛ وذلك عندما نعلم أن رمضان أعلى وأسمى وأرقى من أن يكون شهر إمساك عن الطعام والشراب؛ أو أنه مجرد سحور وإفطار؛ أو تلاوة قران وصلاة ؛ إذا أدركنا أنه شهر التطهير من الأدران ؛ وشهر العتق من النيران ؛ وشهر محاسبة النفس لما مضى من الغفلة والعصيان ؛ وشهر

تصحيح المسار إلى مراضي الرحمن ؛ عند ها نعلم ما هو رمضان ؟ وما هو الصيام ؟ ؛ وما معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم (من أدرك رمضان ولم يغفر له أبعده الله) أعاذنا الله من الطرد والحرمان، والبعد والخسران .

الخاطرة الخامسة عشر

(فاقرأوا ما تيسر منه)

● إن أثمن لحظةٍ في عمر المؤمن تلك التي يقضيها مع كتاب الله تعالى، يحمله في يديه، ويبصره بناظريه، يقرأ آياته، ويتدبر تراكيبه ومفرداته، ويتأمل ما فيه من الآيات والدلائل القويمة، وما يحتويه من الألفاظ والمباني المعجزة العظيمة، ويأخذ العبرة مما فيه، من قصص الأولين والآخرين، وما أعد الله للمؤمنين المتقين من الفضل والثواب، وما ينتظر المخالفين والمجرمين من أليم العقاب، ولقد كان من هدي نبينا –صلوات الله وسلامه عليه– أنه كان يدارس جبريل القران في أيام رمضان .

● والمتأمل حال السلف الصالح يظهر له كيف كان اهتمامهم بهذا الكتاب، وشدة تعلقهم به، فكانوا يقرؤونه ليلا ونهارا، وكان بعض السلف يختم القرآن في ثلاث ليال، وكان الأسود رحمه الله يقرأ القرآن في كل ليلتين من رمضان، وكان قتادة رحمه الله يختمه في كل سبع ليالي، ونقل عن الإمام الشافعي رحمه الله أنه كان يختمه في رمضان في كل يوم مرتين، وورد أن الإمام مالك بن أنس رحمه الله إذا دخل رمضان، ترك قراءة الحديث ومجالسة أهل العلم، وأقبل على تلاوة القرآن من المصحف.

● اقرأوا القران فإنه يأتي شفعياً لأصحابه يوم القيامة، شاهداً لهم يوم الخزي والندامة، الحرف بعشر حسنات ، والعطايا من الله متنوعات، وقد قيل: من أراد أن يكلّم الله فليصلّ، ومن أراد أن يكلمه الله فليقرأ القران، لتكن قرآتنا كقراءة من تنزّلت السكينة عندما تلاوتهم، وحضرت الملائكة منصتةً لسماع قراءتهم. اللهم اجعلنا من أهل القران الذين هم أهل الله وخاصته.

الخاطرة السادسة عشر

(لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ)

- كان من هدي نبينا المصطفى صلى الله عليه وسلم أنه كان يفطر على رطبات قبل أن يصلي، فإن لم تكن رطبات، فعلى تمرات، فإن لم تكن حسا حسوات من ماء» أخرجه الترمذي وغيره، وقد كان المصطفى عليه الصلاة والسلام يكثر من أكله، بل إنه كان غالب طعامه، وحين سئلت عائشة رضي الله عنها عن طعامهم أخبرت أن أكثر ما في بيتهم (الأسودان) وهما : التمر والماء.
- وإنما استحب شرعنا الإفطار على التمر لما له من الفوائد الكثيرة للجسم ؛ حيث يذكر الأطباء أن الرطب و التمور تحتوي على نسبة من الدهون النباتية، تكفي لمعظم مطالب الجسم، وفي الوقت نفسه تسهم في خفض الوزن، إذ تعين الصائم على سحب الدهون المتراكمة من تحت الجلد وإحراقها لتوليد الطاقة. ولا ننسى قصة ولادة مريم لسيدنا عيسى عليهما السلام ؛ وقول الله تعالى لها: {وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَباً جَنِيّاً}؛ و في الحديث: «بيت لا تمر فيه، جياع أهله» .
- ولا يزال التمر أهم غذاء الإنسان، وفيه فوائد عديدة، ومنافع كثيرة، لا تجتمع في الأطعمة الأخرى، لذلك فإنه يوفر للصائم ما يحتاجه جسمه من حيوية ونشاط وقت إفطاره، فينبغي لكل صائم أن يحرص على ابتداء إفطاره على الرطب، فإن لم يجد فعلى التمر، ليطبق سنة رسول الله ويتبع هديه الشامل لكل شيء، ومن ذلك ترغيبه بالإفطار على الرطب أو التمر: {لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً} .

الخاطرة السابعة عشر

(أنفاسك رأس مالك)

- الوقت كما يقال هو الحياة، فهو وعاء لكل عمل ، وظرف لكل نتاج نستثمره لآخرتنا، ومن هنا قيل : الدنيا مزرعة الآخرة ، فهو بحق أغلى ما يمتلكه المسلم، وأثمن ثروة ينبغي أن لا يفرط في صرفها إلا على وجهها و في مكانها المناسب، ولذا حال من عرف هذه الحقائق يعزّ عليه جداً أن يضيع شيء منها بلا نفع دين أو دنيا، وعن هؤلاء الرجال قال القائل : (لقد أدركنا أقواماً كان الواحد منهم بخيلاً بوقته كبخلكم اليوم بأموالكم).
- ثم ما نبهنا عليه من الحرص على الأوقات هو الذي ينبغي أن يكون عليه المسلم طيلة حياته ومدى عمره، أمّا في الليالي المباركة والأيام الفاضلة فينبغي أن يكون الحرص أكبر، والاهتمام أكثر، فقد كان صاحب الرسالة والمبعوث بالدلالة يجتهد في العشرين الأولى من رمضان اجتهاداً لا يجتهده في غيره من الشهور؛ ثم إذا دخلت العشر الأواخر اجتهد فيها اجتهاداً لم يجتهده في العشرين الأولى، وليس معنى هذا إلا التعليم لمن لايعلم؛ والتفهيم لمن لا يفهم.
- وأعود لأقول: احرص أيها المسلم على اغتنام أيام الشهر الفضيل ولياليه؛ ورتب أوقاتك فيه، وليكن لكل وقتٍ وظيفة من وظائف الخير والعبادة ولا تشتغل فيها بما اتفق كيف اتفق فبذلك تظهر بركة الأوقات كما قال حجة الإسلام الغزالي ، وقد قيل مكتوب في صحف إبراهيم الخليل عليه السلام (على العاقل أن تكون له أربع ساعات: ساعة يناجي فيها ربه، وساعة يحاسب فيها نفسه، وساعة يتفكر فيها في صنع الله، وساعة يخلو فيها لحاجته من المطعم والمشرب) .

وأخيراً .. علينا أن لا نغفل عن النية الصالحة لتكون أوقاتنا كلها طاعة لله تعالى، إذ لا يخفى أن النية الصالحة يكون بها الأمر المباح طاعة لله تعالى ؛ ولنتذكر قول القائل:

فمن تفته ساعةٌ من عمره ... تكن عليه حسرةً في قبره

الخاطرة الثامنة عشر

(من وصلكِ وصلته)

- رمضان شهر الصلة والرحمة، وشهر التعاطف والمرحمة، فالقلوب تلين لذكر الله، والنفوس تستجيب لداعي الله، فلا ترى من جَرَّاء ذلك إلا أعمالًا زاكيات، وقربًا من ربّ الأرض والسماوات؛ وهي من أحسن المناسبات لإصلاح ذات البين، فتصفو النفس وتقرّ العين ويتنوّر القلب، فما زاد الله عبداً بعفو إلا عزا ؛ ولا تواضع أحد لله إلا كان أرفع مجدا، وعندها نعيش أيام رمضان بطعم التعاطف والإحسان ؛ وبذوق التراحم والإيمان ؛ عندها نستشعر أن (الله عنا راض) كيف لا و هو الذي قال لنا : {وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ} .
- فإن قيل : كيف تكون صلتهم ؟ أجيب : تكون بزيارتهم، وتَفَقُّدِ أحوالهم، والسؤالِ عنهم، والإهداءِ إليهم، والتصدُّق على فقيرهم، وتوقيرِ كبيرهم، ورحمةِ صغيرهم. وكما تكون باستضافتهم، وحسن استقبالهم وإعزازهم، ومشاركتهم في أفراحهم، ومواساتهم في أتراحهم.وتكون الصلة بالدعاء لهم، والحرص على نصحهم، ودعوتهم إلى الخير، وأمرهم بالمعروف، ونهيهم عن المنكر.
- أخيراً أقول : ما أجمل أيام رمضان ؛ وما أبهى لياليه ؛ إذا عشناه متعرضين لرحمة الله؛ مستمطرين لفضل الإله ؛ وذلك لا يكون قطعاً مع وجود الموانع ؛ وإقامة القواطع ؛ وأعظمها (قطعية الرحم) التي يتعدى خطرها ؛ ويسري ضررها ؛ من القاطع إلى من حوله ؛ وإليه الإشارة بحديث النبي صلى الله عليه وسلم: "لا تنزل الرحمة على قوم فيهم قاطع رحم"، اللهم اجعلنا مفاتيح للخير مغاليق للشر.

الخاطرة التاسعة عشر

(صوموا تصحوا)

● (صوموا تصحوا) .. هكذا رُوي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ والحديث وإن كان في إسناده مقال ؛ إلا أن معناه صحيح ؛ قد أكده الطب وأثبتته التجربة ؛ حتى قال الأطباء: (إن الصيام يحفظ الرطوباتِ الطارئةَ، ويطهر الأمعاءَ من فساد السموم التي تحدثها البِطْنة، ويحول دون كثرةِ الشحوم التي لها خطرها على القلب، فهو كتضمير الخيل الذي يزيدها قوةً على الكر والفر) . وإذا قالت حذام فصدقوها .. فإن القول ما قالت حذام .

● على أن أثر الصيام ليس محصوراً في الصحة الظاهرة ؛ إذ قوله عليه الصلاة والسلام: (صوموا تصحوا) لم يقيده بصحة الجسم بل أطلقها لتشمل جميع أنواع الصحة بجميع معانيها، ففيه صحةٌ بدنيةٌ حسيةٌ، وفيه صحةٌ روحيةٌ معنويةٌ، وفيه صحةٌ فكريةٌ ذهنية. وبيانه في الآتي :

١- الصحة البدنية تأتي من كون الصيام يقضي على المواد المترسبة في البدن، ويطهر الأمعاءَ من فساد السموم ... إلى غير ذلك مما تقدم نقله عن الإطباء .

٢- وأما الصحةُ المعنويةُ فهي في أن الصوم من أعظم ما تصح به القلوب، وتزكو به الأرواح.

٣- وأما الصحة الفكرية فتأتي من أثر الصيام الصحيح، حيث يحصل به حسنُ التفكير، وسلامةُ النظرةِ، والتدبرُ في أمر الله ونهيه وحكمته.وبذلك يصح للصائم تفكيرُه، ويستنير بنور ربه، ويستجيب لنداءاته، ويحقق طاعته، فيخرج من صيامه بنفس جديدة، وفكر نيِّر، يسلم به من وصف البهيمية، ويصعد في مراتب السعادة درجات.

- إذاً: (صوموا تصحوا) إشعار بأن الصائم ينال صحة في حاله وذلك بما يناله من الخير والعافية في جسمه، وصحة في ماله بما يناله في رزقه من الحظ الوافر مع عظم الأجر في الآخرة، كما أن فيه صحة للعقل وذلك بالتهيئة للتدبر والفهم، و صحة للنفس وذلك بما يكون لها من انكسارها إلى رتبة المؤمنين، والترقي إلى مقام المحسنين، ولذلك أجمع أهل البصائر على أن مفتاح الهدى والصحة (الجوع) لأن الأعضاء إذا وهنتْ لله نوّر الله القلبَ وصفى النفسَ وقوّى الجسمَ.

الخاطرة العشرون

(لك الأولى وعليك الثانية)

● من فوائد الصوم الكبرى ؛ وثماره العظمى ؛ صون المسلم نفسه من آثار وأضرار النظر المسموم الذي هو من سهام إبليس المرجوم ؛ من تركه من مخافة الله أبدله إيمانا يجد حلاوته في قلبه، وذوقا يدرك طعمه في باطنه ويسري إلى روحه ولبّه، فأيام رمضان ولياليه فرصة مناسبة لمجاهدة النفس الأمّارة ؛ ونقلها من مستنقع الرذيلة إلى حياض الطهارة، وسوقها بزمام التقوى إلى محاب الله ومراضيه، لينال بتزكيتها مقام الفلاح فيه، فما أكرمهما من رتبةٍ وما أحلاها، (قد أفلح من زكاها * وقد خاب من دساها) .

● إن العين مرآةُ القلب، وإذا أطلق الإنسان بصرَه أطلق القلبُ شهوتَه، ومن أطلق بصرَه دامت حسرتُه ؛ وغض البصر أمانٌ من الفتنة، وسبيلٌ إلى الراحة والسلامة؛ فإذا غض العبدُ بصره غضَّ القلب شهوتَه وإرادته ؛ وصدق الله إذ يقول تعالى: {قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ} ؛ نعم أزكى لنفوسهم ؛ وأطهر لقلوبهم ؛ وأنقى لبواطنهم وأسلم لدينهم.

● ثم يأتي وعد الله؛ لمن جاهد هواه؛ إذ يقول الله تعالى في علاه : (والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا) لينال بذلك أتمّ الهداية؛ وترعاه كامل العناية؛ وليكن جزاء الإحسان بالإحسان؛ ولتعطى بامتثال الأمر ذوق إيمان؛ حدثنا عنه نبيّنا عن ربنا فقال (من تركها من مخافتي أبدلته إيماناً يجد حلاوته في قلبه) ، وبذلك يكون شكر نعمة (العينين) التي حرمها كثير من الناس وهما حبيبتان إلى الإنسان وغاليتان عنده .

الخاطرة الحادية والعشرون

(إذا دخلت العشر أحيا ليله وأيقظ أهله)

• العشر الأواخر هي أفضل أيام هذا الشهر الكريم، وصفها رسول الله صلى الله عليه وسلم بأنها (أيام العتق) من النار، ولذلك كان عليه الصلاة والسلام يضاعف فيها العبادات، ويتقرب إلى ربه بأنواع الطاعات، لا يفتأ يصلي أو يقرأ أو يذكر الله في كل الأوقات، وفي هذا تقول عائشة رضي الله عنها: "كان إذا دخلت العشر الأواخر من رمضان، أحيا ليله، وأيقظ أهله، وشدَّ مئزره". وقديماً قالت الحكماء: "من عرف ما يطلب؛ هان عليه ما يبذل".

• هكذا كان عليه الصلاة والسلام، يخص هذه العشر بأعمال جليلة، و مجاهدات ثقيلة، فهو بالنهار صائماً، وفي ظلمة الليل قائما، يدعو ربه تعالى ويناجيه، و يسأله عز وجل ويناديه، بل كان في هذه العشر ينقطع عن كل شواغل الدنيا وشهواتها، ويهجر مظاهر الحياة و لذّاتها، وإليه الإشارة بقول أنس رضي الله عنه: " كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا دخلت العشر طوى فراشه، واعتزل النساء" .. فيالها من قوة وهمة، باعثها إدراك المهمة، والتحدث بالنعمة.

• ولما كان وصف المؤمن أنه يحب لأخيه ما يحبه لنفسه؛ كان عليه الصلاة والسلام يحث أهله على اغتنام هذه العشر والاجتهاد فيها، ليدركوا نصيبهم من خيراتها وأسرار لياليها،فقد ورد أنه كان يطرق باب فاطمة وعلي رضي الله عنهما ليلا، ويقول لهما: "ألا تقومان فتصليان"، وكان يوقظ عائشة بالليل إذا قضى تهجده وأراد أن يوتر. و يؤخذ من هذا استحباب إيقاظ أحد الزوجين للآخر، والحرص على ذلك، لما فيه من التعاون على البر؛ والتداعي إلى الخير؛ و الإعانة على الطاعة، ويتأكد في مثل هذه الأيام المباركة، وفي الموطأ أن عمر رضي الله عنه كان يصلي من الليل ما شاء الله أن

يصلي، حتى إذا كان نصف الليل، أيقظ أهله للصلاة، يقول لهم: الصلاة الصلاة، ويتلو هذه الآية {وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا}، وأخرج الطبراني عن علي رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم (كان يوقظ أهله في العشر الأواخر من رمضان وكل صغير وكبير يطيق الصلاة). اللهم أيقظنا من الغفلات، ووفقنا لاغتنام شريف الأوقات.

الخاطرة الثانية والعشرون

(من حُرم خيرها فقد حُرم)

- إنها ليلة العظمة والشرف ؛ و ليلة الخيرات والتحف ؛ ليلة العتق والغفران ؛ ليلة نزول القران ؛{لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ تَنَزَّلُ الْمَلائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ سَلامٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ} ؛ فيها مضاعفة أجر الأعمال الصالحات، واستجابة الدعوات، ليلة يكثر فيها عتق الرقاب، ويتنامى لأهلها الأجر والثواب، كما أنها ليلة نزول الملائكة بالبركات والخيرات؛ وليلة السلام والنفحات.{سلام هي حَتَّى مَطلعِ الفجرِ} .
- هنا نعرف معنى :"من حُرم خيرها فقد حُرم"، إنها الليلة كان النبي صلى الله عليه وسلم يسهر الليالي من أجل إدراكها، بل كان صلى الله عليه وسلم يعزف عن الدنيا، ويعتكف في المسجد تحرياً لهذه الليلة، فاعتكف العشر الأول طلباً لها فأُوحي إلي : إن الذي تطلب أمامك، ثم العشر الوسطى طلباً لها، فأُوحي إلي : إن الذي تطلب أمامك، ثم قيل له : إنها في العشر الأواخر، فكان يعتكف في العشر الأواخر.
- إنها ليلة شريفة عظيمة ينبغي على المسلم أن يحرص على التماسها، وأن يجتهد في ليالي العشر كلها عسى أن يوافقها فيناله من نورها وسرّها، فإن الله تعالى أخفاها حتى يضاعف المؤمنون عبادتهم في هذه الليالي المباركة، وقد قال كثير من أهل العلم: إنها ليست في ليلة معينة في كل سنة، بل تنتقل في ليالي شهر رمضان إلا أنها في العشر الأواخر أرجى؛ وفي الأوتار آكد .

وأُخفِيتْ الوسطى كساعة جمعةٍ ... كذا أعظمُ الأسماء مع ليلة القدرِ

الخاطرة الثالثة والعشرون

(وأنتم عاكفون في المساجد)

- ثبت في الصحيحين عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: «كان النبي صلى الله عليه وسلم يعتكف في العشر الأواخر من رمضان» ففي هذا الحديث دليلٌ على أن اعتكاف العشر من سنة النبي صلى الله عليه وسلم، وهو طاعة وقربة تطلب في كل العام إلا أنها تتأكد في هذه العشر التماساً لليلة القدر وطلباً لعظيم الأجر.
- الاعتكافُ ظاهره لزوم المسجد والمكث فيه بنية التقرب إلى الله، وأمّا مقصودهُ وروحهُ فهو عكوفُ القلبِ على الله تعالى وجَمْعِيَّتُهُ عليه، والخلوةُ به عز وجل، وترك الخلق والاشتغَالُ بالخالق وحده ؛ بحيث يصير ذكرُه وحبُّه، والإقبالُ عليه في محلِّ هموم القلب وخطراتهِ؛ فيستولي عليه بدلَها، ويصير الهمُّ كلُّه به، والخطراتُ كلُّها بذكره، و تحصيل مراضيه غاية فكره.
- إذاً فثمرة الاعتكاف الحقيقية التي لا ينبغي أن نغفل عنها هي أُنْسُ المعتكف بالله تعالى بدلًا عن أنسه بالخلق؛ فإذا ذاق معنى الأنس بالله والقرب منه كان ذلك عُدّةً لأُنسه به يومَ الوحشةِ في القبور حين لا أنيسَ لَه، ولا ما يَفْرَحُ به سواه؛ فهذا مقصودُ الاعتكافِ الأعظم.اللهم حقّقنا بهذه الأذواق .. وأسقنا من كأسها.

الخاطرة الرابعة والعشرون

(اللهم إنك تحب العفو فاعفو عنا)

• ما أحسن أن نطرق باب الكريم – سبحانه وتعالى – فإنه يحب من سأله ورجاه ؛ ويفرح بدعاء عبده إذا ألحّ عليه وناداه ؛ و هو الذي يجيب دعوة المضطر إذا دعاه ؛ كيف لا ؛ وهو القائل سبحانه وتعالى: (وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعانِ) كما أنه تعالى وعد بالإجابة فقال (ادعوني استجب لكم) ؛ وأما في شهر رمضان فالاستجابة أرجى ؛ والقبول أولى ؛ ففي الحديث (شهر خير وبركة ؛ يغشاكم الله فيه فينزل رحمته ويحط الخطايا ويستجيب الدعاء) .

• إنها هي ليالي الجد والتشمير ؛ ومواسم الخير الكثير ؛ فلتكن ألستنا لاهجةً بالدعاء ؛ وأكفّنا ممدوة إلى السماء ؛ ولنكثر أن نقول، كما علّمنا الرسول : (اللهم إنك عفو تحب العفو فاعفو عنا) فهي دعوة نبوية، اختارها لنا خير البرية ؛ إذ قالت عائشة رضي الله عنها : "يا رسول الله، إن وافقتُ ليلةَ القدر ما أقول؟ قال: قولي: اللهمَّ إنك عفوٌّ تحبُّ العفو فاعفُ عنِّي".

• لما عرف العارفون بجلاله خضعُوا، ولما سمع المذنبون بعفوه طمعُوا، فما أمرنا بسؤال "العفو" في ليلة القدر بعد الاجتهاد في الأعمال؛ واغتنام الأيام والليال؛ إلا لنعلم أننا حتى مع شدة الاجتهاد مقصرون؛ ولنقول بقلوب خاشعة وألسنة خاضعة: سبحانك لا نحصي ثناء عليك وهكذا كان العارفون يجتهدون في الأعمال الصالحة، ثم لا يرون لأنفسهم لا حالاً ولا مقاماً، فيرجعون إلى سؤال العفو، كحال المذنب المعترف. كان من دعاء مطرِّفُ : (اللهم ارض عنّا، فإن لم ترض عنّا، فاعفُ عنَّا).

الخاطرة الخامسة والعشرون

(وإنما لكل امرئ ما نوى)

● يؤكد نبينا صلى الله عليه وسلم على قضية الإخلاص في العمل الصالح؛ لأنه الكسوة الباطنة له، وفي شأن صيام رمضان وقيامه يقول: (من صام رمضان وقامه إيماناً واحتساباً غُفر له ما تقدم من ذنبه)، "إيمانًا" أي : تصديقًا بوعد الله بالثواب عليه، و "احتسابًا": أي طلبًا للأجر، لا لقصد آخر من رياء ونحوه ؛ إذ أساس الإخلاصِ أن يكون الباعثُ على العمل امتثالَ أمرِ الله عز وجل ؛ فلا يمازج العملَ شائبةٌ من شوائب إرادة النفس ولا طلبُ التزيُّن في قلوب الخلق، أو طلبُ مدحِهم والهربُ من ذمهم ، أو غيرُ ذلك من العلل والشوائب التي يجمعها إرادةُ ما سوى الله في العمل؛ فهذا هو مدار الإخلاص فافهم؛ (وإنما لكل امرء مانوى) .

● إخلاص الدين لله الذي لا يقبل الله سواه، وهو الذي بعث به الأولين والآخرين من الرسل، وأنزل به جميع الكتب، واتفق عليه أئمة أهل الإيمان، وهو خلاصة الدعوة النبوية، قال الله في حق سيدنا يوسف عليه السلام : {كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ} فالله يصرف عن عبده ما يسوؤه من الميل إلى الصور المحرمة، والتعلق بها، ويصرف عنه الفحشاء بإخلاصه (لله) ولهذا يكون قبل أن يذوق حلاوة العبودية لله، والإخلاص له بحيث تغلبه نفسه على إتباع هواها؛ فإذا ذاق طعم الإخلاص، وقوي قلبه انقهر بلا علاج .

● هذا وإن للصيام أثرًا عظيمًا في تربية النفوس على فضيلة الإخلاص، وألا يُراعى في الأعمال غيرُ وجه الله–جل وعلا– ذلكم أن الصائم يصوم إيمانًا واحتسابًا، مُؤثراً ربه على طعامه وشرابه، وشهوته ومحابّه، وأيُّ درسٍ في الإخلاص أعظمُ من هذا الدرس؟ وإليه لمح الحديث القدسي: (يدع طعامه وشرابه، وشهوته من أجلي)؛ فتأمل

قوله "من أجلي" ففيه التنبيه على السبب الذي به يستحق الصائم تلك الخصوصية، وهو الإخلاص الخاصُّ به، إذ أنك لما كنت له كان لك فقال (الصوم لي)، اللهم علّمنا ما جهلنا.

الخاطرة السادسة والعشرون

(وتوبوا إلى جميعاً أيها المؤمنون)

- خاتمة الشهر (توبة نصوح) فالمسلم في هذه الحياة معرض للوقوع في المخالفات، وارتكاب الذنوب والسيئات، وكثرة التقصير والهفوات، وهذا أمر لا يكاد يخلو منه أحد، ولذلك شرع الاستغفار والتوبة من الذنوب، قال عليه الصلاة والسلام: "والذي نفسي بيده لو لم تذنبوا لذهب الله بكم وجاء بقوم يذنبون فيستغفرون الله تعالى فيغفر لهم" رواه مسلم . فالمسلم إذا ذكّر تذكّر، وإذا وعظ اتعظ، ولم يصر على ذنوبه ومعاصيه، لاسيما وهو في هذا الشهر العظيم، فإنه إن لم يُغفر له في رمضان فمتى يُغفر له؟

- لتكن توبتك على وصف الندم والخضوع، نصوحاً لا نقض فيها ولا رجوع؛ ممتثلاً لأمر الله إذ قال : {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحاً عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ} سبحانه عز وجل يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل، حتى تطلع الشمس من مغربها"، رواه مسلم. فأكرم به تعالى من رب لطيف بعباده، عفو رحيم بخلقه، وصف التائب بأنه حبيب الله، وجعله كمن لا ذنب له فتعالى في علاه.

- اصدُق في التوبة وأكثر من الاستغفار وأنت تختم شهرك، فإنك لا تدري لعلك تختم عمرك، فطوبى لمن وجد في صحيفته استغفاراً كثيراً، و فوزاً لمن كان بذنوبه خبيراً بصيراً، فتب إلى مولاك يا إنسان ، من قبل أن يفوتك الأوان، فأنت في خاتمة شهر الغفران، عسى أن تفوز برضا الرحمن، وتسعد سعادة أبدية في نعيم الجنان.

الخاطرة السابعة والعشرون

(الصيام معلق بين السماء والأرض)

- فرض رسول الله صلى الله عليه وسلم زكاة الفطر صاعا من تمر أو صاعا من شعير على العبد والحر، والذكر والأنثى، والصغير والكبير من المسلمين ؛ لتكون ختام شهرنا ؛ وتمام صيامنا؛ ولتكون شكرا لله تعالى على ما أنعم به علينا من نعمة الصيام والقيام ؛ فعلينا أن لا نتساهل بأمرها و لا نتأخر عن أدائها؛ ففي الحديث (صيام رمضان معلق بين السماء والأرض لا يرفع إلا بصدقة الفطر).
- والحكمة من فرضيتها أنها زكاة لنفس المؤمن، وتطهير لها، لما قد يكون علق بها من آثار اللغو والرفث خلال أيام صيام الشهر، وفي الوقت نفسه تتجلى فيها مظاهر الترابط بين أفراد المجتمع المسلم، إذ يعطف الأغنياء على الفقراء، فيوزعون زكاتهم على المساكين والمحتاجين مما يضفي نوعا من التآلف داخل المجتمع الإسلامي، ثم هي تمنح هؤلاء المحتاجين فرصة لمشاركة بقية إخوانهم المسلمين أفراح عيد الفطر وبهجته، فيتبادلون مع جيرانهم وأصدقائهم وأقربائهم التهنئة بهذا العيد السعيد.
- هذه الحِكم كلها أشار إليها حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: "فرض رسول الله صلى الله عليه وسلم زكاة الفطر، طهرة للصائم من اللغو والرث، وطعمة للمساكين، فمن أداها قبل الصلاة فهي زكاة مقبولة، ومن أداها بعد الصلاة فهي صدقة من الصدقات" فما أعظم تشريعات هذا الدين فهو لم يرض لغني أن يفرح بعيد ؛ ولا لثري أن يهنأ بمزيد؛ حتى يشعر بإخوانه الذين يعانون من جوع الأكباد ؛ وعُريّ الأجساد ؛ إذ (لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه) .

الخاطرة الثامنة والعشرون

(ولتكملوا العدة)

● هاهو شهر رمضان الذي كنا قد استقبلناه، وفرحنا بمقدمه، يوشك أن يودعنا، ويرحل عمّا قريب عنا، ليكون غداً شاهدا لنا أو علينا، فمن قدَّم فيه صالحا، ووفَّق لعمل الخير فليحمد الله تعالى، وليشكره أن وفقه لصالح الأعمال، وأنهضَ همّته فكان منه الإقبال، فلا حول ولا قوة إلا بالله، ولا توفيق لخير أو طاعة إلا بمعونة الله، وليسأل الله تعالى الثبات على هذا السبيل، ولزومه بصدق إلى ساعة الرحيل .

● وأمّا الذي أساء وقصّر وأهمل؛ وفرّط وضيّع وأجّل.. وسوس له الشيطان، وملأ قلبه بالغفلة والبهتان، فليعد إلى خالقه، وليتب إلى مولاه، وليستغفره تعالى، فإن الله تعالى غفور رحيم، يفرح بتوبة عبده، ويقبلها إذا كانت صادقة، مع عزم على الاستمرار على الطاعة، وندم على التفريط والإضاعة. وليغتنم ما بقي من أوقات عمره، وليتدارك ما بقي من أيام شهره، عسى أن يكون فيه من العتقاء من النار، فقد قال صلى الله عليه وسلم: "ويغفر لهم في آخر ليلة، قالوا: يا رسول الله، أهي ليلة القدر؟ قال: "لا"، ولكن العامل إنما يُوفى أجره إذا قضى عمله". الحديث رواه البيهقي .

● أيام رمضان قد انقضت، ولياليه تصرّمت، كأنها طرفة عين، أو ومضة برق، فاختتم شهرك بالاستغفار فإنه ختام الأعمال الصالحة،{أَفَلا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ} يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل، واستقبل عيدك بالتكبير وقل: الله أكبر الله أكبر الله أكبر ، لتعلم أنه تعالى أكبر من هواك ودنياك ، وأكبر من كل ما في الأرض والسماء.

الخاطرة التاسعة والعشرون

(لتعلم اليهود أن في ديننا فسحة)

- عن أنس رضي الله عنه قال: "قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة، ولهم يومان يلعبون فيهما، فقال: "ماهذ ان اليومان"؟ قالوا: يا رسول الله، كنا نلعب فيهما بالجاهلية، فقال صلى الله عليه وسلم: "قد أبدلكم الله خيرا منهما يوم الأضحى ويوم الفطر" رواه أبو داود. في كل عام يحتفل المسلمون في مشارق والأرض ومغاربها بعيد الفطر، وهو يوم يفرحون فيه، يشكرون الله تعالى أن منَّ عليهم بأداء فريضة من أعظم فرائض الإسلام، هي صيام شهر رمضان، وسهّل عليهم إتمامه وقيامه، يُظهر المسلمون فيه البهجة والسرور، والفرح والحبور، ويهنئ بعضهم بعضا، ويتبادلون الزيارات بين الأهل والإخوان والأصدقاء.

- وتشرع فيه صلاة العيد؛ ويستحب الغسل وأن يلبس من ثيابه الجديد، و يتنظف ويتجمل ويتطيب بأحسن رائحة، ولا يغفل في جميع ذلك عن النية الصالحة، ويأكل قبل خروجه تمرات وتراً، ويؤدي الصلاة بخشوع وحضور قلب، ويرجو الله تعالى أن يغفر ذنوبه، فقد ورد أنه إذا كان يوم عيد الفطر، وقفت الملائكة على أبواب الطرق ينادون: اغدوا يا معشر المسلمين إلى رب كريم، يعطي الجزيل ويعفو عن الذنب العظيم، فإذا برزوا إلى مصلاهم، قال الله تعالى لملائكته: يا ملائكتي ما جزاء الأجير إذا عمل عمله؟ فيقولون: إلهنا وسيدنا جزاؤه أن توفيه أجره، فيقول: أشهدكم أني قد جعلت ثوابهم من صيامهم شهر رمضان وقيامهم رضاي ومغفرتي، انصرفوا مغفورا لكم) رواه البيهقي. قال مورق العجلي: "فينصرف أقوام من مصلى العيد وقد خرجوا من ذنوبهم كيوم ولدتهم أمهاتهم".

- إن العيد محطة تذكّر، يحاسب العبد فيها نفسه، ويدقق في أعماله، ويصطلح مع خالقه، كما أنه فرصة سانحة لتصفية القلوب، وتقوية العلاقات، والصفح عن الهفوات والزلات، واستلال الشحناء والسخيمة من النفوس، وبدء صفحة جديدة بيضاء في العلاقات الأخوية، والروابط الأسرية، وإظهار التواد والتآلف والتراحم بين جميع أفراد المجتمع المسلم ؛ كما أنها أيام الفرح واللهو المباح (إن لكل قوم عيد وهذا عيدنا) و (لتعلم اليهود أن في ديننا فسحة) ؛ وفي شريعتنا سعة ؛ فمن الذي يروم تضييق الواسع ؛ وتحجير السعة ؟ .

الخاطرة الثلاثون

(أدومها وإن قلّ)

● إن عباد الله الصالحين، وأولياءه المخبتين، لا يزيدهم مرور المواسم الفاضلة، إلا قربا من ربهم، ومضاعفة لأعمالهم، لأنهم مداومون على عمل الصالحات، في جميع الأزمنة والأوقات، وفي سائر الليالي والأيام، قد استوت عندهم شهور العام، أيام عمرهم كلها رمضان وليالي دهرهم جميعها ليالي قدر، فهم متعلقون على الدوام بخالقهم، لا يجدون اللذة إلا في مناجاته وذكره، ولا الراحة إلا بدعائه وشكره، {تَرَاهُمْ رُكَّعاً سُجَّداً يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَاناً سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ} قد غرس الله في قلوبهم حب الطاعة، وعمر ألسنتهم بالذكر كل ساعة، فهم يؤمنون بأن العمل لا ينقضي إلا بانتهاء الأجل، متذكرين دائماً قوله عز وجل: {وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ} .

● ورد أن (الصائم بعد رمضان كالكارّ بعد الفارّ) أي : كالذي يفر من القتال في سبيل الله، ثم يعود إليه، وذلك لأن بعض الناس ذوي النفوس الضعيفة والهمم الدنيئة، يفرح بانقضاء شهر الصيام، إذ هو يشعر بثقل شهر رمضان عليه، ويمل من أيامه ولياليه، ويرى أنه طويل عليه، قد حال دون تنفيذ شهواته ورغباته، فإذا انقضى عاد إلى التسويف والبطالات، وارتكاب الذنوب والمخالفات، وقد سئل أحد الصالحين: عن قوم يتعبدون ويجتهدون في رمضان، فإذا انقضى تركوا العبادة، فقال: (بئس القوم لا يعرفون لله حقا إلا في شهر رمضان).

● اشكرِ الله تعالى على نعمة التوفيق للصيام، حيث أعانك على إتمام شهر رمضان وقيامه، فإن من جملة شكر العبد لربه أن يصوم له شكرا بعد رمضان، وقد كان بعض

السلف إذا وفق لقيام ليلة من الليالي، أصبح نهارها صائما، ويجعل هذا الصيام شكراً لله تعالى، فيا لله من هذه الهمة العالية، والنفوس العظيمة السامية، إنها تردد دائما:

إذا أنت لم تزدد على كل نعمة ... لموليكها شكرا فلست بشاكر

قال بعض العلماء: "كل نعمة على العبد من الله في دين أو دنيا، يحتاج إلى شكر عليها، ثم إن التوفيق للشكر نعمة أخرى تحتاج إلى شكر ثان، ثم التوفيق للشكر الثاني نعمة أخرى تحتاج إلى شكر آخر، وهكذا أبدا، فلا يقدر العبد على القيام بشكر النعم إلا بالاعتراف بالعجز عنه، كما قيل:

إذا كان شكري نعمة الله نعمة ... علي له في مثلها يجب الشكر

فكيف بلوغ الشكر إلا بفضله ... وإن طالت الأيام واتصل العمر

اللهم اجعلنا من الشاكرين، المتحققين بحقيقة الشكر على كل حال، في مالٍ وحال، مرّ وحال، ماضٍ وحال، آمين.

هذا ما يسّر الله جمعه؛ وأعان على ترتيبه، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه والحمد لله رب العالمين

الرسالة الرابعة

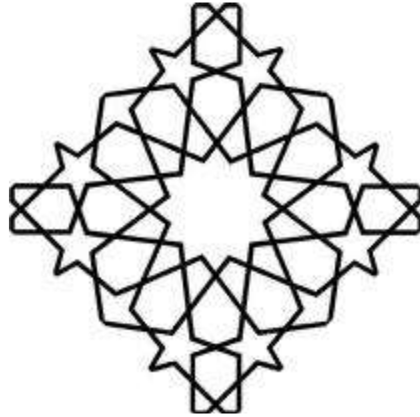
كشفُ الغِطا

عمن بعض ما يقع في شهر رمضان

من الأخطاء

جمع وترتيب

سقاف بن علي العيدروس



المقدمة

الحمد لله أمر بالتفقه في الدين و معرفة أحكامه البديعة؛ وحثّ المسلم على حضور مجالس العلم وأحكام الشريعة؛ وأخبرنا بأنها الدروع الواقية والحصون المنيعة؛ والحافظة له من مساخط الله والوقوع في الأفعال المذمومة الشنيعة؛ أحمده تعالى على نعمه المتكاثرة الوسيعة؛ وأشكره شكراً يدفع به عنا الأذايا والبلايا وسائر الأمور الفظيعة، والصلاة والسلام على نبيه المخصوص بالشرف والدرجة الرفيعة؛ سيدنا محمدٍ المكْرم بخصال الخير جميعَه ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وتبيعه .

أما بعد:

فإن شهر رمضان شهر الجد والاجتهاد، والإقبال على موائد الخير وتنوير الفؤاد، فهو سوق المتاجرة والمرابحة، وموسم الهمة في الأعمال الصالحة ، ومع ما فيه من الخيرات ، وما أودع الله فيه من البركات، إلا أن من الناس من لم يعرف قدره المنيف؛ وفضله الشريف؛ فتجد عند البعض من المسلمين من الإعراض والتقصير؛ والتكاسل عن الطاعة والتأخير؛ وكثير من التخاذل والإبطاء، إلى غير ذلك من التهاون والأخطاء، فرأيت – وأنا المقصر المخطيء الجاني– أن أنبه نفسي ومن شأنه شأني، إلى جملة من مظاهر القصور، والغفلة عن فضل سيد الشهور ، فكتبت في هذه الرسالة بعض ما حضرني من الأخطاء في عجل؛ سائلاً المولى تعالى الإخلاص في العمل؛ وأن يوفقني لما يحبه ويرضاه عز وجل ؛عسى أن أكون بهذه الرسالة قد شاركت في نشر التعليم، وتصحيح الخطأ في بعض المفاهيم.

أسأل تعالى أن ينفعني بما كتبتُ في هذه السطور؛ وأن يثقّل به ميزان حسناتي يوم النشور، وأن يجعله خالصاً لوجهه الكريم وسبباً في نيل ثوابه العظيم، وهذا أوان الشروع في المقصود ومن الله أستمد العون والتسديد وهو حسبي ونعم الوكيل .

الأول: ترك صيام شهر رمضان؛ من غير عذر شرعي ؛ وهذا من كبائر الآثام والذنوب العظام ؛ الموجبة لصاحبها العذاب والخزي والانتقام ؛ كما قيل[١] :

ومن ترك الصوم فيه فقد　　هدم ركن دينه وحاز الملام

وباعده الله من كل خير　　ويخشى عليه من الانتقام

قال العلامة ابن حجر الهيتمي في كتابه الزواجر: (الكبيرة الأربعون والحادية والأربعون بعد المائة ترك صوم يوم من أيام رمضان، والإفطار فيه بجماع أو غيره بغير عذر من نحو مرض أو سفر) اهـ [٢] ثم ساق الهيتمي أحاديث تدل على أن ذلك من الكبائر منها : ما أخرجه أبو يعلى بإسناد حسن عن ابن عباس رضي الله عنهما رفعه إلى النبي صلى الله عليه وسلم قال: (عرى الإسلام وقواعد الدين ثلاثة عليهن ابتني الإسلام من ترك واحدة منهن فهو بها كافر حلال الدم: شهادة أن لا إله إلا الله والصلاة المكتوبة وصوم رمضان) وفي رواية: (من ترك منهن واحدة فهو بالله كافر ولا يقبل منه صرف ولا عدل وقد حل دمه وماله) [٣]

الثاني: إفطار يوم من أيام رمضان بغير عذر شرعي؛ وهو محرم بالغ التحريم، إذ هو لما فيه من انتهاك لحرمة الشهر العظيم؛ ويشهد لتحريمه أحاديث منها ما رواه أصحاب السنن عنه صلى الله عليه وسلم قال : (من أفطر يوماً من رمضان من غير رخصة ولا مرض لم يقضه صوم الدهر كله وإن صامه)[٤]، وفي هذا الحديث أبلغ الوعيد

---

(١) من قصيدة للإمام أحمد بن زين الحبشي مطلعها :

سلام بنشر وعنبر يفوح　　على شهر يُعرف بشر الصيام

(٢) الزواجر عن اقتراف الكبائر: ٣٢٣/١ ؛ للإمام الفقيه ابن حجر أحمد بن محمد الهيتمي ثم المكي .

(٣) رواه أبو يعلى في مسنده بسند حسن .

(٤) الحديث رواه الترمذي واللفظ له وأبو داود والنسائي وابن ماجه وابن خزيمة في صحيحه والبيهقي، وقد علّقه البخاري في صحيحه غير مجزوم به.

الشديد والزجر الأكيد ؛ لمن يفطر ولو يوماً واحداً من أيام شهر رمضان بغير عذر؛ إذ فعله هذا ينبيء عن استهانته بحرمات الدين؛ واستخفافٍ بشريعة رب العالمين؛ و قد أخذ بظاهر هذا الخبر علي وابن مسعود – رضي الله عنهما –، فقالا: " إن من أفطر يوما من رمضان لا يقضيه صوم الدهر "، وقال سعيد بن المسيب: يجب في كل يوم ثلاثون يوما، وقال ربيعة شيخ مالك رضي الله عنهما : يجب في كل يوم اثنا عشر يوما. قال ابن حجر الهيتمي: (والذي عليه أكثر العلماء أنه يجزئ عن اليوم يوم ولو أقصر منه لظاهر قوله تعالى: {فعدة من أيام أخر} [البقرة: ١٨٤])(١).

الثالث: خطأ فادح؛ وخسران واضح؛ تفويت ليلة النظرات؛ والعطايا الوافرات؛ الليلة الأولى من رمضان؛ وما أدراك ما الليلة الأولى!! عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (أُعطيتْ أمتي في شهر رمضان خمساً لم يُعطهنّ نبي قبلي) ثم بدأ يعدّدها صلى الله عليه وسلم ويقول: (إذا كان أول ليلة من شهر رمضان نظر الله عز وجل إليهم ومن نظر الله إليه لم يعذبه أبداً)(٢)

وفي هذا أوضح بيان؛ وأتم برهان؛ على شرف هذه الليلة ومزيد فضلها ؛ فالاهتمام بها والتعرض لخيرها دليل على كمال الاستعداد لكل الشهر ؛ عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (سبحان الله ماذا استقبلكم؟ وماذا تستقبلون؟) قالها ثلاثا ؛ فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : أوحي نزل؟ أو عدو حضر؟ فقال صلى الله عليه وسلم : (إن الله يغفر في أول ليلة

---

(١) الزواجر لابن حجر ؛ الموضع السابق .

(٢) رواه البيهقي ، قال الحافظ المنذري في الترغيب والترهيب ٥٦/٢ : وإسناده مقارب .

من شهر رمضان لكل أهل هذه القبلة)[١]، إذن فشأن الحريص على الكمال؛ والراغب في المراتب العوال؛ أن يستقبل الشهر بأحسن استقبال، لينال جزيل ما فيه من الفضل والنوال.

الرابع: ومن الأخطاء التي تدل على جهل بالأحكام الشرعية والمسائل الفقهية ؛ ترك بعض الصائمين -إن لم نقل الكثير منهم- لنية الصيام وتبييتها لكل ليلة ؛ فقد ثبت في الأحاديث الصحيحة وجوب النية لكل يوم من أيام رمضان وأن تكون مبيتةً من الليل ؛ فعن حفصة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (من لم يبيت الصيام من الليل، فلا صيام له) وفي رواية عن عائشة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (من لم يبيت الصيام قبل طلوع الفجر فلا صيام له)[٢].

ثم إن من يقع في هذا الخطأ التبس عليه الأمر حيث خلط بين قضيتين : الأولى : وجوب النية لكل ليلة ؛ والثانية : التلفظ بنية الصوم ؛ فظن أن الأمرين لا يشرعان فوقع في الخطأ بل وفي بطلان صومه ؛ فالنية بالقلب وتبييتها لكل ليلة ركن من أركان الصوم ؛ وواجب لا يتم الصوم إلا به ؛ وهذا ما ذهب إليه جمهور العلماء من السلف والخلف ؛ قال الإمام النووي في كتابه " المجموع " : (مذهبنا أنه لا يصح إلا بالنية من الليل وبه قال مالك وأحمد وإسحق وداود وجماهير العلماء من السلف

---

(١) الحديث رواه ابن خزيمة في صحيحه والبيهقي وقال ابن خزيمة إن صح الخبر فإني لا أعرف خلفا أبا الربيع بعدالة ولا جرح ؛ ولا عمرو بن حمزة القيسي الذي دونه قال الحافظ المنذري : قد ذكرهما ابن أبي حاتم ولم يذكر فيهما جرحا والله أعلم . الترغيب والترهيب للمنذري : ٢/ ٦٤ .

(٢) قال الحافظ ابن حجر : (من لم يجمّع الصيام قبل الفجر فلا صيام له) ويروى: (من لم ينو الصيام من الليل فلا صيام له) . أحمد، وأبو داود، والنسائي، والترمذي، وابن خزيمة في صحيحه، وابن ماجه، والدارقطني، واختلف الأئمة في رفعه ووقفه، فقال ابن أبي حاتم، عن أبيه: لا أدري أيهما أصح) اهـ التلخيص الحبير : ٢/ ٣٦١ للحافظ ابن حجر العسقلاني . وسيأتي قريباً تصريح النووي بصحة الحديث .

والخلف ... واحتج أصحابنا بحديث حفصة وحديث عائشة رضي الله عنهما " لا صيام لمن لم يبيت الصيام من الليل " وهما صحيحان)[١] اهـ .

الخامس: من أقبح الأخطاء التي يقع فيها بعض المسلمين إصرارهم وهم في الشهر الكريم على القطيعة لأرحامهم أو الأذية لجيرانهم وغير ذلك من التهاجر والتخاصم والتنازع الذي ربما كان لأتفه الأسباب وأحقرها ؛ فهم بهذا يُحرمون أنفسهم من أنوار الشهر الفضيل وخيراته ؛ ويمنعون أنفسهم من فضائله وبركاته؛ عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (أتاكم رمضان شهر بركة يغشاكم الله فيه فينزل الرحمة ويحط الخطايا ويستجيب فيه الدعاء ينظر الله تعالى إلى تنافسكم فيه ويباهي بكم ملائكته فأروا الله من أنفسكم خيرا فإن الشقي من حرم فيه رحمة الله عز وجل)[٢].

فتأمل كيف وصفه النبي صلى الله عليه وسلم بأنه شهر خير وبركة وعطاء؛ وموسم رحمة ومغفرة ودعاء؛ فيه يتنافس الصائمون على الخيرات؛ ويسارع المسلمون إلى الطاعات؛ فيا ترى من لم يصفّ قلبه من الأمراض السقيمة؛ ولم ينظف باطنه من الأوصاف الذميمة؛ أين نصيبه من هذه الخيرات والأنوار؛ أم أين حظه من هذه العطايا الكبار ؟؟ .

السادس: الإفطار مع عدم تحقق الغروب ؛ فينبغي للصائم أن يتحرى لصيامه وأن يحتاط له؛ ولاسيما صيام رمضان إذ هو ركن من أركان الإسلام ؛ وفريضة من الفرائض العظام ؛ وقد ورد في الأحاديث الزجر البليغ عن استعجال المسلم ومسارعته

---

(١) المجموع شرح المهذب: ٦/ ٣٠١ للإمام النووي .

(٢) رواه الطبراني ؛ قال الحافظ المنذري : ورواته ثقات إلا أن محمد بن قيس لا يحضرني فيه جرح ولا تعديل اهـ انظر كتاب الترغيب والترهيب ٢/٦٠

إلى الإفطار من غير تحقق وقت الغروب ؛ فعن أبي أمامة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه سلم قال : (بينما أنا نائم أتاني رجلان فأخذا بضبعي فأتيا بي جبلا وعرا، فقالا: اصعد، فقلت: إني لا أطيقه، فقالا: إنا سنسهله لك، فصعدت حتى إذا كنت في سواء الجبل إذا بأصوات شديدة، فقلت: ما هذه الأصوات؟ قالوا: هذه عواء أهل النار، ثم انطلق بي فإذا أنا بقوم معلقين بعراقيبهم مشققة أشداقهم دما، قلت من هؤلاء؟ قال الذين يفطرون قبل تحلة صومهم)[١]، قال شراح الحديث: معنى (قبل تحلة صيامهم) أي : قبل تحقق دخول وقت الإفطار[٢].

السابع: قضاء الساعات الكثيرة في النوم أو اللهو أو مالا فائدة منه كمتابعة البرامج التلفزيونية والإذاعية وغيرها من مظاهر اللعب والغفلة ؛ فيكون نتيجة ذلك تضييع كثير من الناس لصلاة الجماعة وتأخر عدد من المصلين عن تكبيرة الإحرام مع الإمام أو عن فضيلة الصف الأول ؛ فيستوي عند هؤلاء أداء الصلوات المكتوبات جماعة في المسجد أو فرادى في بيوتهم وهذا غاية الخسران ونهاية الغبن .

ثم إن في مثل هذه الأمور ما يذهب أجر الصيام ويمحق ثوابه العظيم ؛ فالنظر بشهوة واستماع الغناء ومتابعة المسلسلات أمور لا تناسب المفطر فضلاً عن الصائم ؛ فهؤلاء ينطبق عليهم (ربَّ صائم ليس له من صيامه إلا الجوع والعطش)[٣].

الثامن: يخطيء كثير من الصائمين في ليالي شهر رمضان حيث يجعل همته الإستكثار من ألوان الطعام و أصناف الشراب ؛ وهذا ما يذهب سر الصوم وحكمته ؛ فالأجر

---

(١) رواه ابن خزيمة و ابن حبان في صحيحيهما .

(٢) وقد أفردت هذه المسألة برسالة مستقلة تأتي في آخر هذا الكتاب بعنان (تنبيه المغرور).

(٣) رواه النسائي وابن ماجه في سننهما ؛ قال النووي في المجموع (٦/٣٥٦) : ورواه الحاكم في المستدرك قال وهو صحيح على شرط البخاري

الذي وعد الله به عباده على صيامهم في قوله تعالى : (إلا الصوم فإنه لي وأنا أجزي به) جاء نتيجة لقوله (يدع طعامه وشرابه وشهوته من أجلي) [1].

إذن فشهر رمضان هو (الدورة التدريبية) التي يدخلها المسلم والمسلمة ليتدرب فيها على التخلص من الشره والنهم والطمع ؛ التي هي في حقيقتها صفات بهيمية ؛ ويستبدل ذلك بالقصد والتقلل وكسر الشهوة ؛ ليرتقي بنفسه إلى مصاف الملائكة الأنوار ؛ وعندها يعرف معنى (صوموا تصحوا) [2].

التاسع: ترك السنن الرواتب وصلوات النفل وعدم الحرص على أدائها ؛ مع أن ثوابها يعدل ثواب الفريضة في هذا الشهر العظيم ؛ وقد ورد في الحديث (من تقرب فيه بخصلة من خصال الخير كان كمن أدى فريضة فيما سواه) [3] .

فالواجب على المسلم أن يزداد نشاطاً وهمة في أداء الصلوات فرضها ونفلها فقد قيل فرضها أفضل الفروض ونفلها أفضل النوافل؛ وهي كما ورد في الحديث (خير موضوع) [4] أي : خير ما وُضع للتعبد والتقرب إلى الله تعالى ؛ فلا ينبغي أن يُستهان بالنوافل والسنن من منطلق أنها ليست واجبات ؛ فيتركها البعض لأنه ليس في تركها إثم ؛ وهذا خطأ كبير ؛ فهي سبب رفع الدرجات وكثرة الحسنات وتكفير السيئات وتكميل الفرائض الناقصات ؛ بل هي سبب لمحبة الله للعبد ففي الحديث القدسي (لا يزال عبدي يتقرب إليّ بالنوافل حتى أحبه).

---

(١) رواه البخاري في صحيحه .

(٢) عزاه المناوي في فيض القدير (٤ /٢١٢) لابن السني وأبي نعيم عن أبي هريرة رضي الله عنه ونقل عن العراقي ضعف إسناده .

(٣) رواه ابن خزيمة في صحيحه ثم قال صح الخبر ؛ قال المنذري في الترغيب والترهيب (٢/ ٥٨) : ورواه من طريق البيهقي ورواه أبو الشيخ ابن حبان في الثواب باختصار عنهما .

(٤) قال في مجمع الزوائد (٢/ ٢٤٩) : رواه الطبراني في الأوسط، وفيه عبد المنعم بن بشير وهو ضعيف.

العاشر: ولئن كان ترك النوافل وإهمال السنن الرواتب خطأ كبير ؛ فإهمال صلاة (التراويح) خطأ لا يقلّ قبحاً من ذلك ؛ كيف وهي إحدى شعائر الشهر الكريم ؛ وسنة من هدي المصطفى الكريم ؛ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ؛ والتارك لها أو المقصر في إكمالها موصوف بالذم والتقصير ؛ واقع في الغبن والخسران الكبير .

وهذا الخطأ يقع فيه حتى بعض الحريصين على الخير وذلك بسبب ضيوف أفطروا عنده ؛ أو بغيره من الأعذار ؛ بل قال أهل العلم : إن ترك المسلم صلاة التراويح ليلة واحدة يخل في حصوله على قيام رمضان المذكور في حديث (من قام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه)[١] إذ قالوا إن هذا الثواب مترتب على قيام جميع الشهر ؛ فافهم وتدبر .

الحادي عشر: إهمال الكثير لنية الاعتكاف أثناء جلوسهم في المسجد ؛ وفي ذلك من تضييع الأجور الكبيرة التي لا عناء في تحصيلها ؛ وفوات الحسنات الكثيرة التي لا مشقة في جمعها ؛ ولا يخفى أن ثواب الاعتكاف عظيم وكونه مع الصيام أعظم .

ومن المعلوم أن المسلم يكثر جلوسه في بيت الله تعالى في شهر رمضان ؛ فجدير به أن لا يغفل عن نية الاعتكاف ولو كان جلوسه دقائق قليلة ؛ فقد صرّح الفقهاء بأن الاعتكاف لا يشرط لصحته زمن معيّن بل يثاب ولو لجلوسه زمناً يسيراً ؛ قال الإمام النووي في كتابه " المجموع " : (ينبغي للجالس في المسجد لانتظار صلاة أو اشتغال بعلم أو لشغل آخر أو لغير ذلك من طاعة ومباح أن ينوي الاعتكاف فإنه يصح عندنا وإن قلّ زمانه) اهـ[٢].

---

(١) الحديث رواه البخاري ومسلم .

(٢) المجموع شرح المهذب (٢/ ١٧٨) للإمام النووي .

بل نصّ رحمه الله في كتابه " الأذكار " على أنَّ ثواب الاعتكاف يصح مع النية ولو لمجرد مروره في المسجد وإن لم يجلس[1].

الثاني عشر: إهمال سنن الإفطار ؛ فتجد كثيراً من الصائمين يترك بعض ما يستحب فعله وقوله عند تناوله للإفطار ؛ وهي سنن مطلوبة ؛ وآداب مستحبة ؛ سنّها لنا النبي صلى الله عليه وسلم لتكون سبباً في زيادة الحسنات ورفعة الدرجات ؛ فتجد من الصائمين من يترك الإفطار على الرطب أو التمر أو تقديم التمر عليه من غير عذر ؛ و تجد -كذلك- من يترك الإيتار؛ فتراه يأكل من غير ضبط لعدد التمرات؛ والإيتار سنة كما لا يخفى لا تكلّف المسلم كثير عناء ؛ بل قد اكتشف العلم الحديث أن أكل التمر وتراً لا يؤثر في ارتفاع نسبة السكر في الجسم بخلاف ما إذا كان ليس وتراً.

الثالث عشر: إهمال السحور ؛ وهو سنة نبوية ثبت الترغيب فيها بفعل النبي صلى الله عليه وسلم وقوله ؛ وقد سماه (الغداء المبارك)[2]؛ فمن الخطأ الكبير أن يُهمل الصائم سنة التسحر إما بأن يتركه أصلا ؛ وإما بأن يهمل سننه وآدابه ؛ ومنها : تأخيره إلى ما بعد نصف الليل وكلما أخره إلى قبيل الفجر كان أفضل ما لم يقع في الشك؛ فتبيّن أن من الخطأ التبكير في تناوله حتى أن بعض الناس يتناول السحور أول الليل وهو يظن أن فعل السنة وهو بعيد عنها .

وأشد خطأً وخطراً من يتسحر مع طلوع الفجر ؛ أو وهو يسمع الأذان ؛ وهذا من التهاون بالفريضة وعدم المبالاة بالاحتياط للدين ؛ ففي الحديث (من اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه) فهديه عليه الصلاة والسلام أخذ الحيطة وترك

---

(١) كتاب الأذكار (١/ ٣٢) للإمام النووي .

(٢) قال الهيثمي مجمع الزوائد (٣/ ١٥١) رواه أبو يعلى، ورجاله ثقات.

الشبه والريبة ؛ إذ هو القائل (دع ما يربك إلى مالا يريبك)[١].

الرابع عشر: ترك التوسعة على أهله وعياله مع القدرة على ذلك ؛ وقد ورد في بعض الأخبار والآثار استحباب الانبساط في النفقة في رمضان وأنها تضاعف ما لا تضاعف في غيره[٢].

فمن المعلوم أن ديننا الحنيف فرض على المسلم نفقة أهله ؛ فرضاً لازماً وواجباً مؤكداً ؛ يأثم تاركه ؛ ويهلك مهمله ؛ بل لو لم يلقَ الله تعالى بذنبٍ غيره لكان كافياً في خسرانه وعظيم خذلانه؛ وفي الحديث (كفى بالمرء إثماً أن يضيّع من يقوت)[٣]، ومع هذا يُثاب المسلم على هذا الواجب أتم الثواب وأجزل الفضل حتى عدّها ديننا من آكد الصدقات كما في حديث الصحيحين (وإنك لا تنفق نفقةً تبتغي بها وجه الله إلا أُجرتَ عليها حتى ما تجعل في في امرأتك) أي فمها، فتذكر أخي المسلم (من أدّى فيه – أي رمضان – فريضة كان كمن أدى سبعين فريضة فيما سواه) .

الخامس عشر: إهمال البعض للإنفاق والبذل في هذا الشهر المبارك ؛ كيف وقد سماه النبي صلى الله عليه وسلم (شهر المؤاساة) وشهر (يزاد فيه رزق المؤمن)[٤] فواجب

---

(١) وعبارات العلماء صريحة في أن محل استحباب التأخير ما لم يقع في الشك، كما سيأتي مفصّلاً في رسالة (تنبيه المغرور).

(٢) انظر كتاب فيض القدير (٥١/٣) للمناوي .

(٣) رواه أبو داود والنسائي في سننهما ؛ قال المنذري في الترغيب والترهيب (٢/ ٤٤) و رواه الحاكم إلا أنه قال (من يعول) وقال صحيح الإسناد .

(٤) رواه ابن خزيمة في صحيحه ؛ قال المنذري في الترغيب والترهيب (٥٨/٢) : ورواه من طريق البيهقي ورواه أبو الشيخ ابن حبان في الثواب باختصار عنهما .

المسلم أن يكون في شهره هذا ذا إنفاقٍ وسخاء ؛ وبذلٍ وعطاء؛ وقد رُوي أنه صلى الله عليه وسلم سُئل عن أفضل الصدقة ؛ فقال(صدقة في رمضان)[1].

فليحرص المسلم على أن يكون له (صدقة) في كل يوم من أيام رمضان ؛ ولو باليسير من المال أو الطعام ؛ وليتق النار ولو بشق تمرة ؛ وقد تاب الله تعالى على من سقت الكلب الظمئان .. فكيف بصائم رمضان !! أم كيف بأهل الإسلام والإيمان .

السادس عشر: ترك البعض لتفطير الصائمين مع القدرة عليه وتيسره لديه ؛ بل ومع علمه بالثواب الكبير والأجر الوفير الوارد في حق من فطّر صائماً ولو على مذقة لبن ؛ وقريب منه من يقيم التفطير بلا نية طلب الأجر والفضل؛ بل لمجرد المباهاة والمفاخرة ؛ أو جرياً على العادة السنوية .

وبالمقابل من يجيب دعوة التفطير من الصائمين فيحضر بلا نية إجابة الدعوة وإثابة الداعي وإكسابه الأجر المترتب على تفطير الصائمين ؛ وهذا أمر يغفل عنه كثير من الناس.

السابع عشر: إهمال بعض المسلمين لتلاوة القران الكريم فتجد البعض لا يكمل مصحفا (ختمة) طيلة الشهر الفضيل وقد كان للسلف الصالح الختمات في اليوم فضلا عن الشهر ، ولا يخفى أن هجر القران الكريم في غير رمضان خيبة عظيمة فكيف بهجره في رمضان وهو شهر نزول القران ؛ وشهر مدارسته كما هو هدي النبي صلى الله عليه وسلم.

الثامن عشر: ولئن كان هناك من يهجر القران أو يقصر في تلاوته في شهر رمضان؛ فبالضد من ذلك تجد البعض الآخر يقرأ القران من غير تأنٍ ولا ترتيل فتجده يسرع في القراءة سرعة توقعه في الإخلال وسوء الأدب مع القران ؛ إذ الواحد من هؤلاء يقرأ

---

(١) رواه الترمذي وقال : غريب .

وهو يترقب آواخر السورة أو الجزء وهمّه الوصول إليه؛ فيكون قصد هؤلاء أن يختموا الختمات مع غفلة تامة عن مقاصد التلاوة وحسن التدبر وتجاهل عن قوله سبحانه و تعالى (كتاب أنزلناه إليك ليدبروا آياته) .

التاسع عشر: إهمال التعرض لليلة القدر وترك التحري لها ؛ مع عظيم قدرها وكثير خيرها؛ فهي ليلة مغفرة الذنوب والأوزار ؛ وموسم الرحمة والعتق من النار ؛ لو لم يرد في شأنها إلا قول النبي صلى الله عليه وسلم (ليلة خير من ألف شهر من حُرم خيرها فقد حُرم)[١] لكان كافياً في شدة الطلب ؛ وكثرة الرَغَب .

وقريب من هؤلاء المحرومين – أو مثلهم – من يطلبها ويتعرض لها لكن مع ملابسة شيء من موانع المغفرة كعقوق الوالدين أو قطيعة الأرحام أو أذية الجار ؛ ولو قرأ هؤلاء أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم التي ذكر فيها أوصاف المحرومين من خير ليلة القدر لوجدوا أنفسهم في رأس القائمة (ومن لم يكن له من نفسه واعظ لم تنفعه المواعظ) .

العشرون: إقبال كثير من المسلمين والمسلمات بهمة في أول الشهر ثم يبدأ التكاسل والإهمال؛ ثم يتلوه الإعراض والإدبار؛ فلا ينتصف الشهر إلا وقد تناقص عدد المعتكفين والقارئين والمصلين ؛ وهكذا يستمر النقص حتى لا تأتي العشر الأواخر التي هي صفوة الشهر ونقوته وخلاصته إلا والمساجد شبه خاوية ممن كانت تعج بتلاوتهم؛ وترتج بأذكارهم ؛ ولا يخفى أن هذا من (تلبيس إبليس) على هؤلاء الحمقى المغرورين؛ وهو – قطعاً – فعل مخالف لهدي النبي الكريم صلى الله عليه وسلم الذي كان يجتهد

---

(١) الحديث رواه النسائي في سننه ؛ وقال المنذري في الترغيب والترهيب (٢/ ٥٩) : رواه النسائي والبيهقي كلاهما عن أبي قلابة عن أبي هريرة ولم يسمع منه فيما أعلم .

في رمضان مالا يجتهد في غيره ، ويجتهد في عشره الآواخر ما لا يجتهد في رمضان، كما رواه الشيخان.

فليحرص المسلم على عمارة الشهر كله بالإقبال على فعل الخير بأن يأخذ من الأعمال ما يطيق ؛ وليكن متأسياً بنبيه الذي كان (إذا دخلت العشر شدّ مئزره وأيقظ أهله وأحيا ليله يلتمس بذلك ليلة القدر)[١] صلى الله عليه وسلم.

الحادي والعشرون: ومن الأخطاء : اشتغال البعض بتلاوة القران في كل الأوقات؛ فيقع في التقصير في الإتيان بالأذكار الواردة والأدعية المستحبة مثل أذكار اليوم والليلة التي فيها خير كثير و فضل كبير؛ بل هي حرز من الشيطان وأعين الإنس والجان؛ كما أن فيها تحصّناً من الشرور و أذايا أهل الفجور ؛ وقد صرّح العلماء كالإمام النووي في كتابه الأذكار بأن الأذكار المخصوصة بزمن أو حال أفضل من تلاوة القران.

ومن هذا القبيل اشتغال البعض بتلاوة القران مع ترك قراءة السور المخصوصة بأوقات وأحوال كقراءة سورة الكهف والدخان يوم الجمعة ؛ والسجدة والملك ويس كل ليلة ؛ إذ ثواب المداومة على قراءتهن يفضل ثواب حزبه اليومي الذي يتابع القراءة فيه.

الثاني والعشرون: إهمال بعض أولياء الأمور أمر أبنائهم وبناتهم بالصيام ؛ فتراهم لا يبالون بحثّ أبنائهم وبناتهم على صيام ولو بعض أيام الشهر الفضيل مع قدرتهم على الصوم وإطاقتهم له ؛ وقد نصّ الفقهاء رحمهم الله على أنه ينبغي على ولي الصبي والصبية من آباء وأمهات أمر أبنائهم الذكور والإناث بالصوم ليتدربوا عليه؛ وقد قيل:

وينشأ ناشيء الفتيان منا　　　على ما كان عوّده أبوه

(١) الحديث في الصحيحين .

قالت الربيع بنت معوذ الصحابية عن صيام يوم عاشوراء : (كنا نصومه ونصوم صبياننا ونجعل لهم اللعبة من العِهن، فإذا بكى أحدهم على الطعام أعطيناه ذاك حتى يكون عند الإفطار)[1]، قال الإمام النووي في كتابه المجموع : (وإذا أطاق – يعني الصبيَّ – الصوم وجب على الولي أن يأمره به لسبع سنين بشرط أن يكون مميزاً ويضربه على تركه لعشر ، والصبية كالصبي في هذا كله بلا خلاف)[2].

الثالث والعشرون: تساهل بعض الصائمين بأمور قد تؤدي إلى وقوعه في الجماع كالنظر إلى زوجته أو تقبيلها ونحو ذلك مما يثير الرغبات الخفية والشهوات الكامنة؛ وهو بهذه الأفعال يجرّ نفسه إلى ما هو أعظم كالراعي يرعى حول الحمى يوشك أن يقع فيه ؛ فيَهلَك ويُهلِك والعياذ بالله تعالى؛ولا يخفى أن جماع الصائم في نهار رمضان كبيرة من الكبائر ؛ وعظيمة من العظائم يهتك بها حرمة الشهر المجيد ؛ ويستوجب الوعيد الشديد ؛ فقد رتّب الشرع عليه أولاً : حصول الإثم الكبير بانتهاك حرمة الشهر الفضيل ، و ثانياً : التعزير لفاعل ذلك كصورة من صور التأديب والعقوبة ، و ثالثاً : القضاء عن اليوم الذي أفطر فيه ؛ ورابعاً : الكفارة العظمى وهي عتق رقبة أو صيام شهرين متتابعين أو إطعام ستين مسكيناً .

الرابع والعشرون : تهاون بعض الصائمين بما يبطل أجر صيامهم كالغيبة والكذب والسب ؛ وقد صرح العلماء بأن هذه الأمور تمحق أجر الصوم ولو فعلها مازحاً ؛ وفي الحديث المرفوع (ويل للذي يحدث بالحديث ليضحك الناس فيكذب ؛ ويل له ويل له)[3].

---

(١) الحديث رواه البخاري في صحيحه .

(٢) المجموع شرح المهذب (٢٥٣/٦) للإمام النووي .

(٣) رواه أبو داود والترمذي وحسنه والنسائي والبيهقي عن بهز بن حكيم رضي الله عنه.

ثم إن هذه المذكورات محرمة في رمضان وفي غير رمضان كما لا يخفى ؛ إلا أنها للصائم أشد قبحاً وأكثر ضرراً ؛ فهو بفعله هذا يقع في الإثم أولاً ؛ ويتسبب في إفساد ثواب صومه ثانياً ؛ إذ (كم من صائم ليس له من صيامه إلا الجوع) ؛ وهذا الثواب الجزيل الذي يُحرمه قال عنه الله تعالى (إلا الصوم فإنه لي وأنا أجزي به) ولمثل هؤلاء الذين لا يقيميون لرمضان حرمة ؛ ولا يعرفون له ذمة ؛ نقول لهم ما قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه)[1] رواه البخاري في صحيحه .

الخامس والعشرون: ومن الأخطاء – أيضاً – تمضية الأوقات بمتابعة البرامج التليفزيونية ؛ والمسابقات الثقافية؛ والألعاب الرياضية ؛ والتحليلات السياسية ؛ وغير هذا من الترفيه وبرامج التسلية ؛ والتي أُعدّت خصيصاً في شهر رمضان لتصرف المسلمين والمسلمات عن فعل الخيرات والاستكثار من الطاعات ؛ وهذا يذكرنا بقول الله تعالى (إن الذين كفروا ينفقون أمواهلم ليصدوا عن سبيل الله فسينفقونها ثم تكون عليهم حسرة ثم يُغلبون والذين كفروا إلى جهنم يحشرون) ثم قال الله بعد هذه الآية (ليميز الله الخبيث من الطيب) .

فلنعقل الأمور ؛ ولنُحسن التصرف ؛ ولندرك حقيقة الشهر الفضيل متذكرين قول نبينا صلى الله عليه وسلم وهو يصف الصائم (يدع طعامه وشرابه وشهوته من أجلي)[2] وتذكر دائماً أن : (من ترك شيئاً لله عوضه الله خيرا منه).

السادس والعشرون: ومما يبتلى به بعض من يصوم : عدم المبالاة بالطعام الذي يفطر به ؛ أكان حلالاً أو حراماً أو شبهة ؛ وهذا خلاف لهدي السلف الصالح

---

(٢) رواه البخاري ومسلم وقد تقدم .

الذين كانوا يتحرون في اللقمة التي يأكلونها عموماً ؛ وفي اللقمة التي يفطرون عليها خصوصاً .

وقد جاء في بعض الروايات كما في الترغيب والترهيب للمنذري ما رواه أبو الشيخ مرفوعاً (من فطر صائما فِي شهر رمضان من كسب حَلَال صلت عليه الملائكة ليالِي رمضان كلهَا وصافحهُ جِبرائِيل عليهِ السلَام لَيلة القدر؛ ومن صافحه جبرائِيل عليه السلام يرقُّ قلبه وتكثر دموعه)[١]؛ وفي هذا النص لفت الانتباه إلى أن كمال الصوم وتمامه وسبب قبوله تحرّي الطعام الذي يفطر عليه المسلم .

السابع والعشرون : إفطار بعض الصائمين بالمرض اليسير؛ وهذا خطأ كبير يدل على جهل بالشريعة وأحكامها ؛ فقوله تعالى (فمن كان منكم مريضاً أو على سفر فعدة من أيام أُخر) المراد منه : المرض الذي يشقّ معه الصيام ؛ قال الإمام النووي في كتابه " المجموع " : (وأما المرض اليسير الذي لا يلحق به مشقة ظاهرة لم يجز له الفطر بلا خلاف عندنا) اهـ[٢]، فالعجب ممن يتحمل كبير العناء وكثير الأذى لأجل الأمور الدنيوية والشؤون المعاشية ولا يطيق أن يتحمل لأجل طاعة ربه اليسير من المرض أو التعب ؛ وقد قيل (المعونة على قدر المؤنة) .

الثامن والعشرون : رمضان شهر الدعاء المستجاب؛ فهو موسم رفع الحاجات؛ وبلوغ الأمنيات؛ ففي حديث عُبادة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (شهر يغشاكم الله فيه فيُنزل رحمته ؛ ويحط الخطايا ؛ ويستجيب الدعاء)[٣]؛ فاتضح بذلك

---

(١) عزاه المنذري في الترغيب والترهيب (٢/٥٨) لأبي الشيخ .

(٢) المجموع شرح المهذب (٦ / ٢٥٨) للإمام النووي .

(٣) الحديث رواه الطبراني ؛ قال المنذري في الترغيب والترهيب (٢ / ٦٠) رواته ثقات إلا أن محمد بن قيس لا يحضرني فيه جرح ولا تعديل .

بأن من الخطأ الجسيم أن ينقضي الشهر الكريم ولم يسأل العبد ربه تعالى ؛ بل ومن الخسران العظيم أن يمضي الموسم المبارك ولم تُستجبْ له دعوةٌ واحدة .

فجديرٌ بالمسلم أن يغتنم ساعاته المباركة؛ ولياليه المنيرة ؛ فيرفع أكفّ شكواه؛ إلى من يعلم سرّه ونجواه؛و لا سيما في المواطن التي تكون الإجابة فيه أرجى؛ والقبول فيه أحرى كجوف الليل؛ وعقب الصلوات المكتوبات؛ وعند ختم القران؛ وعند إفطاره فقد ورد في الأحاديث (إن للصائم دعوة مستجابة عند فطره)[١].

التاسع والعشرون: السفر -كما لا يخفى- عذر يجوز للصائم أن يفطر به ؛ لكن محل ذلك إذا استجمع الشروط التي ذكرها العلماء ككون السفر طويلاً مباحاً يقصد به جهة معلومة ؛ لكن الذي يغفل الناس عنه اشتراط مغادرة بنيان البلد الذي يسافر منه ؛ فلا يجوز أن يفطر وهو لا يزال في بلده بحجة أنه سيسافر؛ وإنما لم يجُز له لأنه لم يباشر السفر بعد ولم يتلبس به فكيف يُسمى مسافر ؟؟ .

ومن جهة أخرى إفطار بعض المسافرين مع أنهم أنشأوا السفر بعد الفجر ؛ بمعنى أن طلع عليه الفجر وهو في بلاده ثم سافر ؛ فهذا لا يجوز له أن يفطر في سفره بل يلزمه إتمامه لأنه مخاطب بصيام ذلك اليوم ، قال النووي في كتابه " المجموع " : (إذا سافر المقيم فهل له الفطر في ذلك اليوم له ، أربعة أحوال : أن يبدأ السفر بالليل ويفارق عمران البلد قبل الفجر فله الفطر بلا خلاف (الثاني) أن لا يفارق العمران إلا بعد الفجر فمذهب الشافعي المعروف من نصوصه وبه قال مالك وأبو حنيفة ليس له الفطر في ذلك اليوم ...) اهـ[٢].

---

(١) رواه ابن ماجه في سننه ؛ وعزاه النووي في كتابه الأذكار (ص ١٩١) لابن ماجه وابن السني عن عبدالله بن عمرو ، ثم قال : قال ابن أبي مليكة: سمعت عبد الله بن عمرو إذا أفطر يقول: " اللهم إني أسألك برحمتك التي وسعت كل شئ أن تغفر لي " .

(٢) المجموع شرح المهذب (٦ / ٢٦٠) للأمام النووي .

الثلاثون : ترك القضاء ممن أفطر في أيام رمضان أو تأخيره بحيث يؤدي إلى نسيانه ؛ لا سيما ما أفطره المسلم بغير عذر إذ المبادرة بصيامها واجب؛ وقد نص الفقهاء على استحباب المبادرة بقضاء ما فات من فروض الصلاة والصيام بعذر لما في ذلك من إبراء الذمة ، ووجوب المبادرة بقضاء ما فات بغير عذر ؛ فدين الله أحق بالقضاء .

فليتنبه المسلم والمسلمة من إهمال قضاء ما أفطر من أيام رمضان سواء بعذر أو بغير عذر ؛ إلا أن الأمر يعظم ضرره في الصوم الذي أفطره بغير عذر ؛ وقد عدّ ابن حجر الهيتمي تأخير قضاء صوم الذي أفطره بغير عذر من الكبائر فقال:(الكبيرة الثانية والأربعون بعد المائة تأخير قضاء ما تعدى بفطره من رمضان) ثم قال : (وعدّ هذا كبيرة وإن لم أره إلا أنه ظاهر، لما تقرر من أنه إذا تعدى بالإفطار يكون فاسقاً فتجب عليه التوبة فوراً خروجاً من الفسق، ولا تصح التوبة إلا بالقضاء فإذا أخره من غير عذر كان متماديا في الفسق)[١] والله تعالى أعلم.

هذا مايسّر الله جمعه وترتيبه؛ وهناك أخطاء أخرى غير ما ذكرنا هنا ؛ ربما تركناها رغبة في الاختصار أو إيثاراً لما هو أولى منها ؛ وربما تركناها سهواً أو جهلاً منا ؛ فالرجاء ممن وقف على هذه الرسالة إصلاح ما وقع فيها من الغلط ؛ وغض الطرف عما فيها من القصور والشطط؛ والله المسئول أن ينفع بها من نظر فيها؛ والحمدلله رب العالمين.

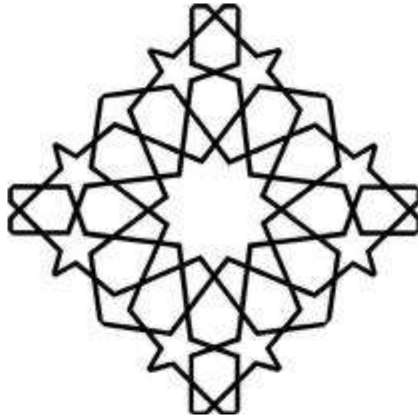
---

(١) الزواجر (١ / ٣٢٤) لابن حجر الهيتمي

الرسالة الخامسة

كيف
تكون مجتهداً
في شهر رمضان

جمع وترتيب
سقاف بن علي العيدروس



المقدمة

الحمد لله ذي الجود والكرم والعطاء، بسط لعباده في أيام شهر رمضان ولياليه خيرات ونعماء، وجعلها أيام صلاةٍ وصيام وذكر ودعاء؛ أحمده تعالى حمداً يعم الأرض طراً والسماء؛ وأشكره شكراً ننال به من فائض كرمه ما لا يدخل تحت عدٍّ وإحصاء ، وأصلي وأسلّم على خيرة الرسل وصفوة الأنبياء، سيدنا محمد الذي ارتقت به الأمة أعلى منازل الارتقاء ، ونالت به من فضل الله تعالى شرفاً في الدنيا ويوم اللقاء؛ صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه نقلة الدين ونجوم الاهتداء .

وبعد . فقد كان قدوة الأمة صلوات الله عليه وسلامه يرغب أصحابه إذا قدم شهر رمضان ويحثهم على الإقبال فيه والتشمير في أيامه ولياليه ؛ ويقول : (ينظر الله فيه إلى تنافسكم فأروا الله من أنفسكم خيراً فإن الشقي من حُرم فيه رحمة الله عز وجل) ويرغبهم كذلك بفعله فكان يجتهد فيه مالا يجتهد في غيره – صلى الله عليه وسلم – فإذا دخلت العشر الأواخر شدّ مئزره وأيقظ أهله وأحيا ليله .

وإذا كان هذا حال النبي صلى الله عليه وسلم وهو الذي غفر له ما تقدم من ذنبه فالمسلم أحرى أن يكون مغتنماً لهذه الليالي المباركة ؛ ومستزيداً فيها من الأعمال الصالحة. وقد يتساءل البعض كيف أكون مجتهداً في شهر رمضان ؟ والجواب أن ذلك يكون بالمحافظة على فرائض العبادات، ونوافل الطاعات ، وغير ذلك من الأعمال الصالحات، وقبل كل ذلك اجتناب الذنوب والمخالفات ، فقد قيل : أفضل الطاعات ترك المعاصي . وقد أحببت أن أجمع في هذه السطور بعض الأمور التي ينبغي أن يحافظ عليها المسلم فإنه في شهر يثاب فيه على النافلة ثواب الفريضة ، وعلى الفريضة ثواب سبعين فريضة ، وفقنا الله لاغتنام هذه الأيام بفعل ما يقربنا إلى الله تعالى إنه أرحم الراحمين وهو حسبي ونعم الوكيل .

١ . احرص على أن تحفظ صيامك من كل ما يفسده أو ينقص ثوابه ، ففي الحديث (ليس الصيام من الأكل والشرب ، إنما الصيام من اللغو والرفث ، فإن سابك أحد أو جهل عليك فقل إني صائم إني صائم) رواه ابن خزيمة وابن حبان في صحيحيهما. و قال عليه الصلاة والسلام: (رب صائم حظه من صيامه الجوع والعطش ، ورب قائم حظه من قيامه السهر) رواه ابن ماجه والنسائي وابن خزيمة .

٢ . احرص على أداء الصلوات الخمس جماعة في المسجد فإنها من سنن الهدى ، وعلامة الإيمان والاهتداء، وتذكر قول نبيك صلى الله عليه وسلم: (من سمع النداء فلم يجب فلا صلاة له) بل احرص إن فاتتك جماعة المسجد على أن تصليها جماعة ولو في بيتك فانها بسبعين ضعفاً .

٣ . احرص على المبادرة إلى صلاة الجماعة وذلك بأن تحضر قبل الصلاة ليتسنّ لك أداء تحية المسجد وقبلية الصلاة وما تيسر من تلاوة قران أو ذكرٍ أو دعاء ، فقد ثبت في الحديث (إن أحدكم في صلاة ما انتظر الصلاة) ، وهذه الجلسة ولو دقائق يسيرة من الثلاث التي أخبر النبي صلى الله عليه وسلم أن الله يمحو بهن الخطايا ويرفع بهن الدرجات .

٤ . احذر أن تفوتك تكبيرة الإحرام مع الإمام فإنها صفوة الصلاة ، وقد ورد حث شديد على المحافظة عليها وأن من واظب عليها أربعين يوماً مع الإمام كتبت له براءة من النار وبراءة من النفاق .

٥ . حافظ على رواتب الصلاة القبلية والبعدية ولا تتركها بحال ، بل إن فاتتْ لسبب فاقضها فقد كان النبي صلى الله عليه وسلم لا يدع عشر ركعات : ركعتين قبل الظهر ،وركعتين بعدها ،وركعتين بعد المغرب في بيته ،وركعتين بعد العشاء في بيته ،وركعتين

قبل صلاة الصبح ، هذا على الأقل وإن وجدت همة ونشاطاً فصلّ أربعا قبل العصر وأربعا قبل الظهر وبعدها كذلك ، وكذلك ركعتين قبل المغرب وقبل العشاء.

٦ . احرص على صلاة الوتر فلا تنم إلا بعد إكماله إحدى عشرة ركعة، فقد كان نبيك عليه الصلاة والسلام يصليها كذلك، فإن صليت أول الليل ثلاثاً فأكملها بصلاة ثمان ركعات ولو منفرداً، وإن كانت بعد نوم فهو أفضل لتثاب عليها ثواب التهجد .

٧ . حافظ على صلاة الضحى فإنها صلاة الأوابين ، وهي شكر لله على ثلاثمائة مفصل رزقك الله إياها ، فأتمها ثمان ركعات ، فإن عجزت فأربعاً ولا أقلّ منها في شهر الفضيلة ، فواظب عليها فإنها وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه.

٨ . احرص على أن تستخير الله تعالى في أعمال يومك مع صلاة الإشراق أو الضحى، فقد قال جابر بن عبد الله رضي الله عنهما (كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلمنا الاستخارة في الأمور كلها كما يعلمنا السورة من القرآن)، فإذا صليتَ فأتِ بدعاء الاستخارة المشهور وقل: إن كان ما عزمتُ فعلَه في هذا اليوم خيراً لي ... إلى آخر الدعاء المأثور ، واعلم أنه ما خاب من استخار وما ندم من استشار . رواه الحاكم .

٩ . احرص على أن تصلي (صلاة التسبيح) فإن فيها خيراً كثيراً ، إن استطعت كل ليلة فهو أفضل ، وإلا فمرتين في الأسبوع ، وإلا ففي كل أسبوع مرة ، وهذا جهد المقل فلا تنسَ أنك في رمضان ، وأن نبيك صلى الله عليه وسلم قال (لو كانت ذنوبك مثل زبد البحر أو رمل عالج غفرها الله لك ، إن استطعت أن تصليها في كل يوم مرة فافعل فإن لم تفعل ففي كل جمعة مرة فإن لم تفعل ففي كل شهر مرة فإن لم تفعل ففي كل سنة مرة فإن لم تفعل ففي عمرك مرة) قال الحافظ المنذري :وقد

صحح هذا الحديث أو حسنه جماعة من الحفاظ منهم من تقدم ذكره ومنهم ابن منده والخطيب وابن الصلاح والسبكي والحافظ العلائي قال الإمام السبكي: "صلاة التسبيح من مهمات مسائل الدين".

١٠ . ليكن لك نصيب من التهجد ولا تكتفي بأداء التراويح ، ففي صلاة الليل أسرار و أنوار، و فيها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (أفضل بعد المكتوبة قال الصلاة في جوف الليل) وأخبر أن (أقرب ما يكون العبد من الرب في جوف الليل الآخر ، فإن استطعت أن تكون ممن يذكر الله في تلك الساعة فكن) فليكن لك ولو ركعتين فإنهما خير لك من الدنيا وما فيها.

١١ . واظب على صلاة ست ركعات بعد صلاة المغرب فقد ورد أنها تعدل عبادة ثنتي عشرة سنة ، وأن من صلاها بنى الله له بيتاً في الجنة .

١٢ . ليكن لبيتك نصيب من صلاة النافلة ، فقد قال صلى الله عليه وسلم (خير صلاة الرجل في بيته إلا المكتوبة)، وقال أيضاً: (صلوا أيها الناس في بيوتكم) فاجعل بعض النوافل في بيتك فإنها أبعد عن الرياء ، وأعود بالبركة على البيت ومن فيه.

١٣ . إذا استطعت إعادة صلاة الفرض مرة أخرى في جماعة مع أهلك أو غيرهم فصلّها فإن إعادة الصلاة المفروضة في جماعة مرة أخرى سنة سواء صليت الأولى منفرداً أو في جماعة ، فإن كانت الإعادة لكي يُحصِّل من تصلي معه على ثواب الجماعة فهي كالصدقة منك عليه كما ورد في الحديث .

١٤ . احرص على أن تكون على طهارة ، فقد ورد أنه لا يحافظ على الوضوء إلا مؤمن ، وورد أنه سلاح المؤمن ، وقد بشر النبي صلى الله عليه وسلم بلالاً رضي الله عنه بالجنة بمحافظته على الوضوء وسنته .

١٥ . احذر من النوم بعد صلاة الصبح ففي الحديث أنه يُذهب الرزق ، واحرص على عمارة ما بعد صلاة الصبح إلى الإشراق فإنه وقت مبارك، وثبت عن نبيك صلى الله عليه وسلم أن "من صلى الفجر في جماعة ثم قعد يذكر الله حتى تطلع الشمس ثم صلى ركعتين كانت له كأجر حجة وعمرة تامة تامة تامة" رواه الترمذي وحسنه. ولا يشترط أن يبقى في المسجد ولا أن يقتصر على الذكر ففي الأمر سعة.

١٦ . لا تدع السواك عند الصلاة أو التلاوة والذكر وغيرها فإنه مطهرة للفم مرضاة للرب ، وهو سنة نبيك صلى الله عليه وسلم ، وبه مضاعفة أجر العبادة ، وفي الحديث (فضل الصلاة بالسواك على الصلاة بغير سواك سبعون ضعفا) رواه أحمد و الحاكم صححه .

١٧ . لا تغفل عن ذكر الله تعالى فإن فيه تنوير القلوب ، ومغفرة الذنوب ، وكشف الكروب ، فلا تترك كل يوم أن تقول:"سبحان الله وبحمده" مائة مرة ، ففي صحيح البخاري (أن من قالها في يوم مائة مرة حطت خطاياه وإن كانت مثل زبد البحر) ، وإن زدتَ (سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم) فهو أفضل وأكمل؛ فإنهما كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان حبيبتان إلى الرحمن.

١٨ . الزم الدعاء فإنه مخ العبادة، وتذكر إن الله حيِيّ كريم يَسْتحي من عبده أن يرفع يده فيردّها صفْراً خائبتين ، هذا مع ما ورد من أن ثلاثة لا ترد دعوتهم : منهم الصائم حتى يفطر ، وتحرّ الأوقات التي هي أوقات الإجابة كوقت السحر ، وعقب الصلوات المكتوبة ، وعند إفطارك فأنت تعلم أن : للصائم عند فطره دعوة ما ترد . وأشرِكْ في دعائك والديك وإخوانك وأصحابك بل وأمة الإسلام .

١٩ . لا تدع أذكار الصباح والمساء فإن لها أثراً عظيما عليك وعلى من حولك ، ولكل ذكر أو دعاء سر وأثر ، فلتكن هذه الأذكار افتتاح يومك واختتام ليلتك تطرد بذلك إبليس الذي يقول لك عند استيقاظك: افتح بشرّ ، وعند نومك : اختم بشر.

٢٠ . افتتح ليلتك بقراءة الآيتين الأخيرتين من سورة البقرة (آمن الرسول) و التي بعدها ، فقد قال عنهما المصطفى صلى الله عليه وسلم (من قرأهما في ليلة كفتاه) أي تكفيك أذى كل ذي أذى وتحفظك من شر إنس وجن ، فياله من عملٍ قليل مع مكسبٍ جليل ، بل قال عن هاتين الآيتين (تعلموهن وعلموهن نساءكم وأبناءكم فإنها صلاة وقرآن ودعاء) رواه الحاكم وصححه.

٢١ . احذر من أن تنام إلا على وضوء وذكر مستقبلاً للقبلة فهي سنن ثلاث قال نبيك لما علمها أصحابه (إنك إن متَّ متَّ على الفطرة) يعني على الإسلام فلا ترغب عن هذه الخاتمة الحسنة .

٢٢ . خذ نصيباً من الاعتكاف فإن المساجد بيوت الله ، والجالس فيها في ضيافة الله وقِراه، وقد سمّاها النبي عليه الصلاة والسلام أحب البقاع إلى الله ، كما سمّى الأسواق أبغض البقاع إلى الله، وورد (من اعتكف عشراً في رمضان كان كحجتين وعمرتين) رواه البيهقي. فإن قدرتَ على اعتكاف العشر فهو الكمال، وإلا فلا أقلّ وأنت في شهر رمضان من أن تعتكف ما بعد صلاة الصبح إلى الإشراق فثوابه ثواب حجٍ وعمرة، أو ما بعد صلاة العصر إلى غروب الشمس فإنه كعتق عشر رقاب من ولد إسماعيل عليه السلام.

٢٣ . اكثر إن استطعت من البذل والإنفاق فقد رُوي أن النبي صلى الله عليه وسلم سُئل : أي الصدقة أفضل؟ فقال (صدقة في رمضان) رواه الترمذي ، ولا تحتقر القليل فقد سبق درهم مائة ألف درهم ، وقد سمى نبيك صلى الله عليه وسلم هذا

الشهر(شهر المواساة) ، فوالله إن خير ما تتقرب به إلى الله في هذا الشهر مؤاساة المحتاجين بأي صورة ، وتذكر أن (من نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة) وتذكر أن(من يسر على معسر يسر الله عليه في الدنيا والآخرة) وتذكر أن (الله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه)

٢٤ . صِلْ قراباتك وأرحامك في شهر رمضان، فالرحِم مشتقة من الرحمة، ومن وصلها وصله الله ومن قطعها قطعه الله ، واعلم أن الرحمة لاتنزل على قوم وفيهم قاطع رحم؛ فهو حاجب ومحجوب، وتذكّر أن صلة الرحم تعمر الديار وتزيد في الأعمار.

٢٥ . اذكر في شهر البر من له حق عليك من الأموات وتعاهدهم بالزيارة والدعاء والاستغفار ، وقد ورد في الحديث (من زار قبر أبويه أو أحدهما في كل جمعة مرة غفر الله له وكتب بَرًّا) الطبراني والبيهقي وغيرهما. فاذكر لتُذكَر، ولا تنسى فتُنسى.

٢٦ . خصّص في كل ليلة وقتاً تقرأ فيه سورتي السجدة وتبارك الملك فقد كان نبيك وقدوتك صلى الله عليه وسلم لا ينام حتى يقرأ بهما ، سواء أول الليل أو آخره ، ولا تترك قراءة سورة يس كل يوم من أيام شهر رمضان فإنها سورة عظيمة مباركة قال فيها النبي صلى الله عليه وسلم (لا يقرأها عبد يريد الله والدار الآخرة إلا غفر له) وورد في فضلها أحاديث عدة ،قال ابن كثير في تفسيره (٢/٥٧١) (ولهذا قال بعض العلماء من خصائص هذه السورة أنها لا تقرأ عند أمر عسير إلا يسره الله تعالى)، ثم أورد ابن كثير ما رواه الإمام احمد عن صفوان قال : كانت المشيخة يقولون اذا قرأتْ – يعني يس – عند الميت خفف الله عنه بها) وسنده حسن كما قال الحافظ ابن حجر.

٢٧ . لا تدع التسحّر فإن السّحور بركة وفيه عون على الصيام ، وهو سنة نبيك صلى الله عليه وسلم والفارق بين صيامنا وصيام أهل الكتاب ، وكل ما أخرت سحورك

فهو أولى ما لم تقع في الشك ، وإن كان فيه تمر فهو أفضل ففي الحديث (نعم سحور المؤمن التمر) رواه أبوداود.

٢٨ . احرص على تعجيل إفطارك متى تحققت الغروب ولا تبادر بغير تحرٍ واحتياط فقد ورد الوعيد الشديد في حق من يفطر قبل تحلة صيامه وقد ورد في الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم رآهم معلقين بعراقيبهم مشققة أشداقهم تسيل أشداقهم دما ، واحرص على أن تفطر بالتمر وأن يكون وتراً ، فقد قال أنس رضي الله عنه (كان النبي صلى الله عليه وسلم يحب أن يفطر على ثلاث تمرات) رواه أبويعلى .

٢٩ . احرص على تفطير الصائمين إذا استطعت ذلك فإن من فطّر صائماً كان له مثل أجره ، وهذا الأجر يعطيه الله تعالى لمن فطر صائماً وعلى مذقة لبن .

٣٠ . استكثر في شهر رمضان من أربعة خصال، قال عنها النبي صلى الله عليه وسلم: "خصلتان ترضون بهما ربكم وهما شهادة ألا اله إلا الله والاستغفار، وخصلتان لا غنى لكم عنهما : تسألون الله الجنة وتتعوذون من النار".

وفقنا الله للعمل بما علمنا ؛ وأعاننا على فعل ما يرضيه عنا، وجعلنا ممن عمل بما علم فورّثه الله علم مالم يعلم .آمين اللهم آمين.

والحمد لله رب العالمين .

الرسالة السادسة

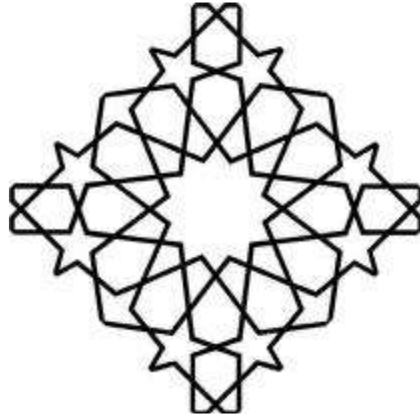
تنبيه المغرور

على محلّ استحباب

تعجيل الإفطار وتأخير السحور

جمع وترتيب

سقاف بن علي العيدروس



المقدمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات ، وبفضله تنال الخيرات البركات ، أحمده تعالى على نعمه المتواليات ، وأشكره سبحانه على مننه المتواترات ، والصلاة والسلام على نبيه المبعوث بالهدى والبينات، والمؤيّد بالحجج الواضحات، دعا إلى إقامة الفرائض والواجبات ، وحذّر من فعل المحرمات والوقوع في الشبهات، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه النجوم القادات . وبعد .

فإن الاحتياط في أمر العبادات من آكد الأمور المهمات ، بدءً بالفرائض التي هي أهم الواجبات، وانتهاءً بالسنن التي ينال فاعلها المثوبات ، إلا أن شرط الإتيان بالسنن ألا يُعرّض فاعلها شيئا من الفرائض إلى البطلان والفساد ، فالمسلم إذا علم أن مراعاته لسنة مثلاً قد تؤدي لإفساد عبادة مفروضه فالواجب عليه أن يترك السنة المستحبة ليحفظ الفرض الواجب.

وإذا تلفتنا في زماننا هذا يمنة ويسرة وجدنا أن كثيراً من السنن النبوية إن لم نقل فرائض وواجبات مهجورة متروكة ، ثم يبرز في هذا الواقع المرير من يدعو إلى تطبيق سنة تعجيل الإفطار وتأخير السحور ، ولو أدّى ذلك إلى إفساد الفريضة، وبطلان الواجب، أو على الأقل الوقوع في الشبهة ، وهو يظن بفعله هذا أنه يحيي الإسلام؛ ويرفع رايات الدين، ولم يقف إلى هنا بل دعا العامة من الناس للإقتداء به زاعماً أنه على سنة النبي صلى الله عليه وسلم ، في حين أنه بنى أمره هذا على الآراء الضعيفة والأقوال الشاذة التي أجمعت الأمة على طرحها لمخالفتها للقطعي من نصوص الكتاب والسنة .

وقد ورد الوعيد الشديد لمن يفطر قبل تحلة صيامه غير متحرٍ في هذه المسألة المهمة، ولا متخوفاً من آثارها المؤلمة ، ففي الحديث عن أبي أمامة الباهلي رضي الله

عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه و سلم يقول : "بينا أنا نائم إذ أتاني رجلان فأخذا بضبعي ـ كتفي ـ فأتيا بي جبلاً وعراً فقالا : اصعد فقلت : إني لا أطيقه فقالا : إنا سنسهله لك ، فصعدت حتى إذا كنت في سواء الجبل إذا بأصوات شديدة قلت : ما هذه الأصوات ؟ قالوا : هذا عواء أهل النار ، ثم انطلق بي فإذا أنا بقوم معلقين بعراقيبهم مشققة أشداقهم تسيل أشداقهم دما ، قال قلت: من هؤلاء ؟ قال: هؤلاء الذين يفطرون قبل تحلة صومهم" رواه ابن خزيمة وابن حبان في صحيحيهما .

وقد أردتُ في هذه السطور تبيين هذه المسألة وعرض أدلتها بمنهج علمي وأسلوب ميّسر، وبحثتُ معها مسألة تأخير السحور، وبينت محلّ سنيّة كلٍّ واحدة منهما، مستدلاً بالأحاديث النبوية الصحيحة ، وعبارات الائمة الصريحة، ثم أردفت بذكر شبه المخالف متُبعاً لها بالإجابة التي تدحضها ، وبالله التوفيق .

وهذا أوان الشروع في المقصود ، ومن الله أستمد العون والسداد ، وهو حسبي ونعم الوكيل .

المبحث الأول

سنيّة تعجيل الإفطار

ونتناول في هذا المبحث ثلاث مسائل :

المسألة الأولى : محل استحباب التعجيل

تعجيل الإفطارأمر مستحب وسنة متفق عليها ، وبذلك قال جماهير أهل العلم وفقهاء المذاهب الأربعة ، فقد وردت بذلك أحاديث صحيحة كثيرة بلغت التواتر كما قال الحافظ ابن عبد البر .

لكن استحباب تعجيل الإفطار ليس على إطلاقه بل هو مقيد بتحقق الغروب، أما حيث لم نتحقق الغروب فإنه لايسن التعجيل خوفاً من الإفطار قبل الوقت والوقوع في الوعيد الشديد المتقدم في الحديث السابق .

قال الحافظ ابن حجر معلقاً على حديث (لا يزال الناس بخير ما عجلوا الفطر) ما نصه : (واتفق العلماء على أن محل ذلك إذا تحقق غروب الشمس بالرؤية أو بإخبار عدلين، وكذا عدل واحد في الارجح)[1]. اهـ ومثله في نيل الأوطار للشوكاني[2] .

ومما يدل على وجوب تحقق غروب الشمس ويؤكده أننا نجد النبي صلى الله عليه وسلم لم يجعل غروب الشمس علامة كافية على حِلّ الإفطار حيث قال: (إذا أقبل الليل من هاهنا، وأدبر النهار من هاهنا، وغربت الشمس، فقد أفطر الصائم) رواه البخاري ومسلم . فإذا تأملنا هذا الحديث نجد بوضوح كيف قيّد النبي صلى الله عليه وسلم حلّ الإفطار بهذه القيود الثلاثة ، فلم يكتف بجعل (غروب الشمس) علامةً على حل الإفطاربل أضاف إليها علامتين أخريتين، وذلك إشارة إلى اشتراط تحقق

---

١ – الفتح : ٤/١٩٩

٢ – نيل الاوطار (٤/٢٨٤) للشوكاني .

الغروب ، كما أنه لم يكتف صلى الله عليه وسلم بجعل (إقبال الليل) لاحتمال أنه يحصل لأمر يغطي ضوء الشمس، ومثل ذلك يقال في "إدبار النهار" .

قال الحافظ ابن حجر : (قوله :"إذا أقبل الليل من هاهنا" أي : من جهة المشرق كما في الحديث الذي يليه ، والمراد به : **وجود الظلمة حساً** ، وذكر في هذا الحديث ثلاثة أمور لأنها وإن كانت متلازمة في الأصل لكنها قد تكون في الظاهر غير متلازمة ، فقد يظن إقبال الليل من جهة المشرق ولا يكون اقباله حقيقة بل لوجود أمر يغطى ضوء الشمس ، وكذلك إدبار النهار، فمن ثم قيّد بقوله "وغربت الشمس" إشارة إلى اشتراط تحقق الإقبال والادبار وانهما بواسطة غروب الشمس لا بسبب آخر) اهـ[1]

المسألة الثانية : **أقوال فقهاء المذاهب الأربعة**

نصَّ الفقهاء ـ رحمهم الله ـ في مؤلفاتهم، وصرحوا على اختلاف مذاهبهم وعصورهم على أن مجرد غروب قرص الشمس ليس كافياً في تحقق الغروب . وهذه بعض أقوال الفقهاء من المذاهب الأربعة :

أولاً: **الحنفية** : قال الإمام المحقق ابن عابدين الحنفي: (والمراد بالغروب زمان غيبوبة جرم الشمس بحيث تظهر الظلمة في جهة الشرق) اهـ[2] .

ثانياً: **المالكية** : قال العلامة محمد عليش المالكي: (غروب الشمس بإقبال الظلمة من المشرق لا مجرد تواريها بجبل مثلاً لو صعد عليه لرآها) اهـ[3] .

---

١ – الفتح : ٤/١٩٦ .

٢ – حاشية ابن عابدين (٢/٣٩٣) .

٣ – تقريرات عليش على حاشية الدسوقي :(١ /٢٩٠) .

ثالثاً: الشافعية : قال الإمام النووي : (الاعتبار سقوط قرصها بكماله ، وذلك ظاهر في الصحراء، وأما في العمران وقلل الجبال فالاعتبار بأن لا يُرى شيء من شعاعها على الجدران وقلل الجبال ، ويقبل الظلام من المشرق) اهـ [1].

رابعاً: الحنابلة : قال العلامة الحجاوي الحنبلي : (يسن تعجيل الإفطار إذا تحقق الغروب) اهـ [2] .

فهذه أقوال فقهاء الأمة الذين يرجع إلى أقوالهم ، إذ هم النجوم الذين يستضاء بفهمهم ، وهم المتسنبطون الذين يُرجع الى علمهم ، وهم أمناء الله على دينه ، ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور .

المسألة الثالثة : التفريق بين الصحراء والعمران

إذا تأملنا أقول العلماء المتقدمة نجد أنهم يفرقون بين غروب الشمس في وراء الجبل وغروبها في الصحراء ، وهو ما أشار إليه العلامة عليش المالكي بقوله : (لا مجرد تواريها بجبل مثلاً لو صعد عليه لرآها) ، بل نلحظ التفريق صريحاً في قول الامام النووي : (الاعتبار سقوط قرصها بكماله، وذلك ظاهر في الصحراء) ثم قال : (وأما في العمران وقلل الجبال فالاعتبار بأن لا يُرى شيء من شعاعها على الجدران وقلل الجبال) .

وإذا تبيّن ذلك تبيّن معنى حديث عبد الله بن أبي أوفى حيث قال : (كنا في سفر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما غربت الشمس قال لرجل : (انزل فاجدح لي) . قال يا رسول الله لو أمسيت . ثم قال (انزل فاجدح) . قال : يا رسول الله لو أمسيت ، إن عليك نهاراً ، ثم قال : (انزل فاجدح) . فنزل فجدح له في الثالثة ،

---

١ – المجموع للنووي :(٣/٣٣) .

٢ – الاقناع :(١/٣١٥) .

فشرب رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم أومأ بيده إلى المشرق فقال : (إذا رأيتم الليل قد أقبل من هاهنا فقد أفطر الصائم) . فهذا الحديث صريح في أنهم كانوا في سفر ولم يكن ثَمّ شيء يحجب الشمس من جبال أو عمران ، فلذا تحقق النبي صلى الله عليه وسلم الغروب فأمر بإفطاره .

أضف إلى ذلك أنه صلى الله عليه وسلم لم يفطر مباشرة حيث لم يقل للرجل: ناولني ماء ، بل قال له (انزل فاجدح) وهذا معناه أنه انتظر الى أن أُعدّ له السويق الذي أفطر عليه، قال الإمام النووي شارحاً لمعنى قوله (اجدح) مانصه : (وهو خلط الشيء بغيره، والمراد هنا: خلط السويق بالماء وتحريكه حتى يستوي) اهـ[١] .

وبما تقدم اتضح أن ما جرى عليه عمل **علماء حضرموت** قديماً وحديثاً من تثبّتهم في دخول وقت المغرب واحتياطهم بزيادة بضع دقائق بعد سقوط قرص الشمس؛ إنما كان ذلك لأن حضرموت وادٍ تكتنفه الجبال الشاهقة ، وتحيط به من جميع الجهات ، فكان هذا الاحتياط مأخوذ من قوله صلى الله عليه وسلم (إذا أقبل الليل من هاهنا ، وأدبر النهار من هاهنا ، وغربت الشمس ، فقد أفطر الصائم) رواه البخاري ومسلم . قال الإمام النووي في شرحه لهذا الحديث : (قال العلماء : كل واحد من هذه الثلاثة يتضمن الآخرين ويلازمهما، وإنما جمع بينها لأنه **قد يكون في واد** ونحوه بحيث لا يشاهد غروب الشمس ، فيعتمد اقبال الظلام وادبار الضياء . والله أعلم) اهـ[٢] .

فقوله (في وادٍ) ينطبق تماما على مثل وادي حضرموت ، فلهذا لم يكتفوا بمجرد الغروب واحتاطوا بعض الوقت لتحقق الغروب ، وهو ما يؤيده كلام الحافظ ابن

---

١ - شرح مسلم ٧/ ٢٠٩ للنووي .

٢ - شرح مسلم ٧/ ٢٠٩ للنووي .

حجر حيث قال: (وفيه دليل على أن سقوط قرص الشمس يدخل به وقت المغرب، ولا يخفى أن محله ما إذا كان لا يحول بين رؤيتها غاربة وبين الرائى حائل) اهـ[1]، فهذه نصوص أئمة الفقه والحديث صريحة في بيان المقصود، وكما قيل:

وليس يصحُّ في الأفهام شيء ... إذا احتاج النهار إلى دليل

---

١ - الفتح ٢/٤٢ .

المبحث الثاني

سنيّة تأخير السحور

وتناولت في هذا المبحث ثلاث مسائل :

المسألة الأولى : محل استحباب التأخير .

ما تقدم من الكلام حول استحباب تعجيل الإفطار يأتي نظيره عند الحديث عن استحباب تأخير السحور، فهو سنة متفق عليها عند جماهير العلماء ، لكن محل الاستحباب ما لم يخش طلوع الفجر ، فإن خشي أن يدركه الفجر إن أخر السحور لم يسن له التأخير ، بل يجب عليه ترك هذه السنة حفاظاً على الفرض الذي هو الأصل ، وصيانةً لصيامه من أن يفسده بهذا الفعل الذي يثاب على فعله ولا يعاقب على تركه .

ولذا نجد أن أهل العلم من الفقهاء والمحدثين نبهوا على ذلك، فعلى سبيل المثال الإمام النووي رحمه الله تعالى لا يذكر في كتبه استحباب تأخير السحور إلا ويقيّده بهذا القيد؛ فهاهو في كتابه "المنهاج" ينصّ على استحباب تأخير السحور ثم يقيّده بقوله: (ما لم يقع في الشك) اهـ[1]، وفي كتابه المجموع يقول: (قال أصحابنا: وإنما يستحب تأخير السحور مادام متيقناً بقاء الليل فمتى حصل شك فيه فالأفضل تركه)[2]، بل حتى في كتب الفضائل كمثل كتابه الشهير "رياض الصالحين" لم يُغفل هذا القيد فقد عقد فصلاً في فضل التسحر واستحباب تأخيره ثم قيّد الاستحباب بقوله: (ما لم يخش طلوع الفجر) اهـ[3] .

---

١ – منهاج الطالبين ص ١٨٢ للامام النووي .

٢ – المجموع شرح المهذب (٦/٣٦٠) للإمام النووي .

٣ – رياض الصالحين ص ٤٠٧ للإمام النووي .

قال في مغني المحتاج: (فإن شك في ذلك كأن تردد في بقاء الليل لم يسن التاخير، بل الأفضل تركه للحديث الصحيح (دع ما يريبك إلى مالا يريبك) .) اهـ [١] ، وقال العلامة ابن حجر المكي نحوه في كتابه "التحفة"[٢] ، وجاء في كتاب الاقناع . من كتب الحنابلة . مانصه : (وتأخير السحور ما لم يخش طلوع الفجر الثاني) اهـ[٣] .

المسألة الثانية : الاحتياط وترك الشُبه

نص العلماء رحمهم الله على أنه ينبغي للصائم أن يجعل فارقاً من الزمن بين انتهاء من سحوره وبين أذان الفجر ، وذلك خشية أن يطلع عليه الفجر وهو يأكل أو يشرب ، ولا شك أن هذا إحتياط لصحة العبادة ، وامتثالا لقوله صلى الله عليه وسلم (دع ما يريبك الى مالا يريبك)

أضف إلى ذلك أنه قد ثبت ما يدل على ذلك من فعله صلى الله عليه وسلم، فعن زيد بن ثابت رضي الله عنه قال : تسحرنا مع النبي صلى الله عليه وسلم ثم قام إلى الصلاة ، قيل : كم كان بين الأذان والسحور ؟ . قال قدر خمسين آية . متفق عليه .قال الإمام القرطبي: (فيه دلالة على أن الفراغ من السحور كان قبل طلوع). اهـ[٤]. وقال الإمام العيني : (ومما يستفاد منه استحباب التسحر ، وتأخيره إلى قريب طلوع الفجر) اهـ [٥]، وقال الإمام النووي : (فيه الحث على تأخير السحور الى قبيل طلوع الفجر) اهـ[٦] .

---

١ – مغني المحتاج ٥٨٦/١ للخطيب الشربيني .

٢ – التحفة : ٤٢٣/٣لابن حجر .

٣ – الاقناع : ٣١٥/١ .

٤ – نقلا عن الفتح ، الموضع نفسه .

٥ – عمدة القاري شرح صحيح البخاري ٧٣/٥ للعيني .

٦ – شرح مسلم ١٦٩/٧ للنووي .

فتبين بذلك أن على المسلم أن يراعي السنَتين معا فيحرص على تأخير السحور ويترك وقتاً يفصل بين فراغه وأذان الفجر ، وفي ذلك اتقاء للوقوع في الشبهة، ومن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه .

المسألة الثالثة : في ردّ حجج المخالف

تمسك المخالفون في مسألة الأكل والشرب ولو طلع الفجر بحديثين لم يكونا خافيين على أهل العلم، بل لهم حول كل حديث جواب ورد ، وفيما يلي نذكر الحديثين والجواب على كل واحد منهما :

الحديث الأول :

عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (إذا سمع أحدكم النداء والإناء في يده فلا يضعه حتى يقضي حاجته منه) رواه أبوداود .

والجواب عن الحديث من وجوه :

١. أنه حديث مطعون فيه فقد قال الامام ابن القيم (هذا الحديث أعله ابن القطان بأنه مشكوك في اتصاله) اهـ[١] .

٢. أن ظاهره مصادم للنص القرآني والأحاديث الصحيحه المرفوعة ، لذا حمله العلماء على الاذان الأول جمعا بين النصوص ، قال الامام الخطابي : (هذا ـ أي الحديث ـ محمول على قوله صلى الله عليه وسلم (إن بلالا يؤذن بليل فكلوا واشربوا حتى يؤذن ابن أم مكتوم) اهـ[٢] .

---

١ – مختصر السنن: (٣٤٠/٦)لابن القيم.

٢ – معالم السنن ٩١/٢ للخطابي .

٣ـ أن الفقهاء لم يأخذوا بظاهر هذا الحديث ، وقد أشار الامام النووي اتفاقهم على ذلك فقال : (من طلع عليه الفجروفي فيه ـ أي فمه ـ طعام فليلفظه ويتم صومه فان ابتلعه مع علمه بالفجر بطل صومه وهذا لاخلاف فيه) اهـ[١] .

الحديث الثاني :

عن حذيفة قال : (تسحرنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان النهار الا أن الشمس لم تطلع) رواه النسائي وغيره . والجواب عليه من وجوه :

١ـ أنه مطعون فيه ، قال الامام ابن القيم : (وأما حديث حذيفة فمعلول وعلته الوقف) اهـ[٢] .

٢ـ أنه محمول على غير ظاهره ، قال الامام ابن كثير : (وحمله ـ أي النسائي ـ على أن المراد به قرب النهاركما قال تعالى (فإذا بلغن أجلهن) أي : قاربن انقضاء العدة ... وهذا الذي قاله هو المتعين حمل الحديث عليه) . اهـ[٣] .

٣ـ أنه معارض للقران ، قال الامام أبو بكر الجصاص : (وهو مع ذلك من أخبار الآحاد ، فلا يجوز الاعتراض به على القرآن كما قال الله تعالى (حتى يتبين لكم الخيط الابيض من الخيط الاسود من الفجر) ... وحديث حذيفة ان حمل على حقيقته كان مبيحا لما حظرته الاية) اهـ[٤] .

قلت: العمل بهذا الحديث شذوذ ومخالفة لإجماع الأمة فقد الامام الحازمي : (أجمع أهل العلم على ترك العمل بظاهر هذا الخبر) . اهـ[٥]

---

١ – المجموع ٣١١/٦ للنووي .

٢ – شرح مختصر السنن ٣٤١/٦ لابن القيم .

٣ – تفسر ابن كثير ٣٣٢/١.

٤ – أحكام القران ٢١٩/١ للجصاص.

٥ – الاعتبار ص٣٦١ للحازمي .

٤ـ أن ذلك كان في أول الأمر ثم نسخ ، قال الامام الطحاوي : (قد جاء عن رسول الله خلاف ما روي عن حذيفة ، ... ثم ذكر الأحاديث التي اتفق عليها الشيخان وغيرهما ، ثم قال : وقد يحتمل أن يكون حديث حذيفة . والله أعلم . قبل نزول قوله تعالى (وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الابيض من الخيط الاسود) الآية [١].قال الإمام الحازمي : (كان في أول الأمر ثم نسخ يدل عليه حديث سهل وعدي) . اهـ[٢] .

هذا آخر ما يسر الله جمعه في هذه الرسالة المختصرة، وأسأل الله تعالى أن يرينا الحق حقاً ويرزقنا اتبعه ويرينا الباطل باطلاً ويرزقنا اجتنابه ، وهو حسبي ونعم الوكيل، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه والحمد لله رب العالمين .

---

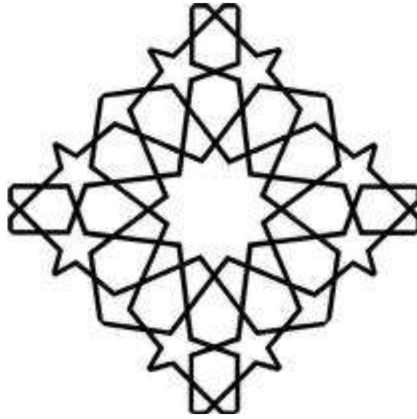
١ – عمدة القاري ٢٩٩/١٠ للعيني .

٢ – الاعتبار ص٣٦٢ للحازمي .

الرسالة السابعة

خطب شهر رمضان المبارك

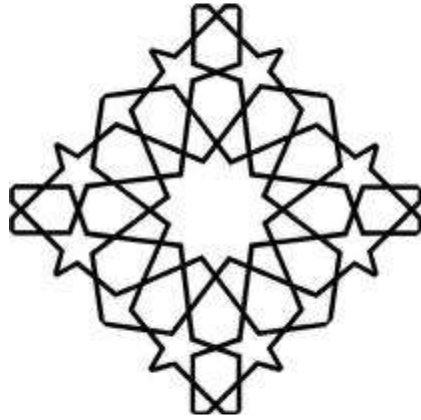
جمع وترتيب
سقاف بن علي العيدروس



خطبة الأسبوع الأول

استقبال

شهر رمضان المبارك



الخطبة الأولى

الحمد لله الذي جعل لعباده مواسم يبسط فيها خيراً وفضلاً ونورا ، جعل شهر رمضان خلفةً لمن أراد أن يذّكر أو أراد شكورا ، أحمده تعالى حمدا نستزيد به خيراً كثيراً وجزاءً موفورا ، وأشهد أن لا إله ألا الله شهادة ننال بها يوم لقائه أماناً وسرورا ، ونكرم بها جناتٍ وحوراً وقصورا، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله المبعوث هادياً ومبشراً ونذيرا ، والمرسل رحمة للعالمين من كان مؤمناً أو كفورا .

اللهم صل وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه ومن اقتفى هداه وأتبع سنته إلى يوم الدين . أما بعد .

عباد الله : أوصيكم ونفسي بتقوى الله ، (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ * وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ أُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ) .

أيها المسلمون : ها قد مرت الأيام والشهور، وعاد إلينا شهر البركة والنور ، إنه شهر التقوى والإيمان ، شهر البر والإحسان، شهر الخير والقرآن ، ما إن هلّت علينا أول ليلة منه إلا و لها أثر في عالم الدنيا ، وفي الملأ الأعلى ، وفي هذا يقول النبي صلى الله عليه و سلم: (إذا جاء رمضان فتحت أبواب الجنة وغلقت أبواب النار وصفدت الشياطين) ، فأيامه ليست كسائر الأيام ، ولياليه ليست كبقية الليالي ، فقد أودع الله فيه من الخيرات والبركات والأسرار، وخصه بمزيد من الفضائل والمواهب والأنوار، عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه و سلم قال :(أعطيت أمتي في شهر رمضان خمسا لم يعطهن نبي قبلي : أما **واحدة** فإنه إذا كان أول ليلة من شهر رمضان نظر الله عز و جل إليهم ومن نظر الله إليه لم يعذبه أبدا ،وأما **الثانية** فإن خلوف أفواههم حين يمسون أطيب عند الله من ريح المسك ،

وأما **الثالثة** فإن الملائكة تستغفر لهم في كل يوم وليلة ، وأما **الرابعة** فإن الله عز و جل يأمر جنته فيقول لها استعدي وتزيني لعبادي أوشك أن يستريحوا من تعب الدنيا إلى داري وكرامتي ، وأما **الخامسة** فإنه إذا كان آخر ليلة غفر الله لهم جميعا ، فقال رجل من القوم: أهي ليلة القدر ؟ فقال : (لا ، ألم تر إلى العمال يعملون فإذا فرغوا من أعمالهم وفوا أجورهم) رواه البيهقي .

فانظر — يا عبد الله –كيف بسط الله المولى تعالى خيره وفضله في هذا الشهر ، وتأمل كيف وصف النبي صلى الله عليه وسلم خلوف أفواه الصائمين بأنه أطيب عند الله من ريح المسك .

واعلموا – رحمكم الله تعالى – أن الصوم من أفضل الطاعات ، وأجل الأعمال الصالحات ، فعن معاذ بن جبل رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه و سلم قال له (ألا أدلك على أبواب الخير) ؟ قلت بلى يا رسول الله ، قال : (الصوم جنة والصدقة تطفىء الخطيئة كما يطفىء الماء النار) رواه الترمذي وصححه ، وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه و سلم قال الصيام والقرآن يشفعان للعبد يوم القيامة يقول الصيام أي رب منعته الطعام والشهوة فشفعني فيه ،ويقول القرآن منعته النوم بالليل فشفعني فيه قال فيشفعان) .

أيها العباد : شهر رمضان شهر الطاعة، شهر التقوى، شهر البر، شهر الإحسان، شهر العطف، شهر المؤاساة ، شهر المحبة ، شهر القرآن. لقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يبشر أصحابه بقدوم شهر رمضان ، ويعدد لهم ما فيه من الفضائل والخيرات ، ويحثهم على العمل فيه بالطاعات ، ويقول لهم : (قد أظلكم شهر عظيم مبارك ، شهر فيه ليلة خير من ألف شهر ، شهر جعل الله صيامه فريضة وقيام ليله تطوعا ، من تقرب فيه بخصلة من الخير كان كمن أدى فريضة فيما سواه ،

ومن أدى فريضة فيه كان كمن أدى سبعين فريضة فيما سواه ، وهو شهر الصبر والصبر ثوابه الجنة ، وشهر المواساة ، وشهر يزاد في رزق المؤمن فيه ، من فطر فيه صائما كان مغفرة لذنوبه ، وعتق رقبته من النار ، وكان له مثل أجره من غير أن ينقص من أجره شيء) رواه ابن خزيمة في صحيحه .

وإذ قد علمت أيها المسلم الراغب في تجارة الآخرة أن الأعمال الصالحة في هذا الشهر مضاعفة ، فالنوافل يثيب الله عليها ثواب فريضة ، والفريضة يثيب عليها ثواب سبعين فريضة ، فاجتهد في الاستكثار من الطاعات ، واجتهد في المداومة على الأعمال الصالحات ، فمن جدّ وجد ، ومن زرع حصد ، وقديماً قالوا:

إذا أنت لم تزرعْ وأبصرتَ حاصداً ندمتَ على التفريط في زمنِ البذرِ

عباد الله : إن في أيام دهركم لنفحات، ألا فتعرضوا لها ، وفي ساعات عمركم مواسم مباركات ، ألا فاغتنموها ، ومن أعظمها وأجلها الشهر الذي هلّ الله علينا هلالُه ، والليالي المباركة التي تتضاعف فيها مواهب الله وإفضالُه ، أما والله لو أدرك العباد منزلة هذا الشهر وعظمته لكانوا أشدّ له استعدادا ، ولصاروا أكثرَ فرحاً بقدومه وأحسن إعدادا ، و والله الذي لا إله إلا هو " لو يعلم العباد ما في شهر رمضان لتمنوا أن تكون السنة كلها رمضان". فلتكن لنا ـ عباد الله ـ أسوة بنبينا صلوات الله وسلامه عليه فقد كان رسول الله أجود الناس، وكان أجود ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل، وكان جبريل يلقاه في كل ليلة من رمضان فيدارسه القرآن، فلرسول الله حين يلقاه جبريل أجودُ بالخير من الريح المرسلة .

أيها المسلم : رمضان مدرسة الكرم والمواساة ، مدرسة الإيمان والصبر، مدرسة القرآن والذكر ، مدرسة التوبة والإنابة ، التوبة التي هي باب الله الواسع، وبحره الممتد دون سواحل ، فكم من عاص لربه في هذا الشهر رجع وأناب ، وكم من مذنب في

هذه الليالي ندم وتاب ، ففيه فتحُ بابِ الرجاء للمؤمنين ، ومدُ بساط الأمل للعاصين، وربكم تبارك وتعالى لم يغلق باب التوبة في وجه المذنبين، بل وصف ذاته بقوله تبارك في علاه : (غافر الذنب وقابل التوب) ، وأخبر أنه سبحانه وتعالى (يحب التوابين ويحب المتطهرين) ، يقبل العباد الأوابين، ويستجيب استغفار المستغفرين ، فلنتهيأ لاستقبال شهر رمضان بتوبة صادقة ، وهمة عالية ، مجتهدين لأن يكون شهر رمضان كفارة لما أسلفنا ، وسبباً لمحو ما اقترفنا ، متذكرين قول ربنا (قل ياعبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعاً إنه هو الغفور الرحيم) .

والله يقول وبقوله يهتدي المهتدون جل شأنه : (وإذا قرئ القران فاستمعوا له وأنصتوا لعلكم ترحمون) ، وقال عز من قائل : (فإذا قرأت القران فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم) . أعوذ بالله من الشيطان الرجيم : (**شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ**) .

بارك الله لي ولكم في القران العظيم ، نفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم ، أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم لي ولكم ولوالدي ولوالديكم ، فاستغفروه انه هو الغفور الرحيم .

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين ، ولا عدوان إلا على الظالمين ، وأشهد ألا اله إلا الله الملك الحق المبين ، واشهد أن سيدنا محمد عبده ورسوله الأمين ، الله صلّ وسلم على سيدنا محمد وعلى اله وصحبه والتابعين.

أما بعد . عباد الله : أوصيكم ونفسي بتقوى الله .

عباد الله : اعلموا رحمكم الله تعالى أن الله فرض عليكم صيام هذا الشهر الكريم ، وجعله ركنا من أركان الإسلام ، وواجباً من واجبات الدين ،قال تعالى (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ) وقال تعالى (فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ)، وإنما يجب الصوم على البالغ العاقل المطيق له ، فلا يجب على المجنون والصبي إلا أن على ولي أمر الصبي والصبية أن يأمره به ليعتاده ويتدرب عليه ، وقد روى البخاري في صحيحه أن الصحابة رضي الله عنهم كانوا يدربون أولادهم على الصوم ، وكانوا إذا بكوا من الجوع ألهوهم باللُعَب .

وقد ورد في فضل الصيام عامة ، وصيام رمضان خاصة ، أحاديث كثيرة منها ما رواه البخاري ومسلم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال (من صام رمضان إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه) ، وهذه المغفرة مقيدة بما إذا كان الصائم قد راقب الله تعالى فحفظ صومه من المفسدات ، وصان جوارحه عن الآفات ، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه و سلم قال (من صام رمضان وعرف حدوده وتحفظ مما ينبغي له أن يتحفظ كفر ما قبله) رواه ابن حبان في صحيحه . وفي الصحيحين (الصيام جنة فإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يصخب فإن سابه أحد أو قاتله فليقل إني صائم إني صائم) .

ومتى كان الصوم كذلك؛ فليبشر المسلم بالثواب الكبير ، والأجر الكثير الذي أخبر عنه النبي – صلى الله عليه وسلم – بقوله فيما يرويه عن ربه تعالى أنه قال: (كل عمل ابن آدم له إلا الصوم فإنه لي وأنا أجزي به ، يدع طعامه وشرابه من أجلي ، والذي نفس محمد بيده لخلوف الصائم أطيب عند الله من ريح المسك) وبشر النبي صلى الله عليه وسلم الصائم فقال : (للصائم فرحتان يفرحهما : إذا أفطر فرح بفطره ،وإذا لقي ربه فرح بصومه) رواه البخاري ومسلم ، فلو لم يرد في فضل الصوم إلا أن الله تعالى نسبه إليه وأوعد بالإثابة عليه، لكفى إذ الكريم الجواد المتفضل إذا أوعد بعطاء لا شك أنه عظيم وكبير.

واعلم أيها المسلم؛ أن هذا الثواب الذي سمعته يعظم ويتضاعف كلما وجد الصائم مشقةً في صيامه وتعباً ، وإنما الأجر على قدر النَّصبِ، فلا ينبغي للمسلم أن يتذمر أو يتبرم ، وليحتسب الأجرَ عند الله تعالى متذكراً وعده عز وجل إذ يقول (أني لا أضيع عمل عامل منكم) متذكراً قوله تعالى إذا يقول (إلا الصوم فانه لي وأنا أجزي به) ، وفي الحديث عن ابن عباس –رضي الله عنهما– أن رسول الله –صلى الله عليه وسلم– بعث أبا موسى على سرية في البحر فبينما هم كذلك قد رفعوا الشراع في ليلة مظلمة إذا هاتف فوقهم يهتف : يا أهل السفينة قفوا أخبركم بقضاء قضاه الله على نفسه ، فقال أبو موسى : أخبرنا إن كنت مخبرا ، قال : (إن الله تبارك وتعالى قضى على نفسه أنه من أعطش نفسه له في يوم صائف سقاه الله يوم العطش) رواه البزار بإسناد حسن، وفي رواية ابن أبي الدنيا قال : (إن الله تعالى قضى على نفسه أنه من عطّش نفسه لله في يوم حار كان حقاً على الله عز و جل أن يرويه يوم القيامة) قال الراوي: وكان أبو موسى يتوخى اليوم الشديد الحر فيصومه .

وليحذر المسلم غاية الحذر من الإفطار في هذا الشهر العظيم بغير عذر ، فإن هذا من أقبح الذنوب وأعظم المعاصي ، بل صرح العلماء ونصوا في مصنفاتهم على أن ترك صوم يوم من أيام رمضان ، والإفطار فيه بغير عذر من الكبائر المهلكات ، والذنوب الموبقات ، أخرج أبو يعلى بإسناد حسن عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم : قال : (عرى الإسلام وقواعد الدين ثلاثة عليهن ابتني الإسلام من ترك واحدة منهن فهو بها كافر حلال الدم : شهادة أن لا إله إلا الله والصلاة المكتوبة وصوم رمضان) ،وأخرج الترمذي وأبو داود والنسائي وابن خزيمة في صحيحه : (من أفطر يوما من رمضان من غير رخصة ولا مرض لم يقضه صوم الدهر كله وإن صامه) .

ومن آكد الأمور وأهمها حرص الصائم وتحريه عند إفطاره من تحقق غروب الشمس ، قال الله تعالى (وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ) وليحذر كل الحذر من المبادرة بالإفطار قبل تحقق الغروب ، فهو بذلك لا يعرّض صومه للبطلان وذهاب الأجر فحسب ، بل هو بذلك يتعرض للوعيد الذي جاء في حق من لا يتحرى لصيامه ويحتاط له ، وقد ورد الوعيد الشديد لمن يفطر قبل تحلة صيامه غير متحرٍ في هذه العبادة العظيمة ، ففي الحديث عن أبي أمامة الباهلي قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه و سلم يقول : (بينا أنا نائم إذ أتاني رجلان فأخذا بضبعي . كتفي . فأتيا بي جبلا وعرا فقالا : اصعد فقلت : إني لا أطيقه فقالا : إنا سنسهله لك ، فصعدت حتى إذا كنت في سواء الجبل إذا بأصوات شديدة قلت : ما هذه الأصوات ؟ قالوا : هذا عواء أهل النار ، ثم انطلق بي فإذا أنا بقوم معلقين بعراقيبهم مشققة أشداقهم تسيل أشداقهم دما ، قال قلت : من هؤلاء ؟ قال : **هؤلاء الذين يفطرون قبل تحلة صومهم**) رواه

ابن خزيمة وابن حبان في صحيحيهما . نعم . تعجيل الإفطار سنة لكن متى تيقن الغروب ، قال الحافظ ابن حجر معلقاً على حديث (لا يزال الناس بخير ما عجلوا الفطر) ما نصه : (واتفق العلماء على أن محل ذلك إذا تحقق غروب الشمس) اهـ من شرح صحيح البخاري .

فينبغي على كل مسلم حريصٍ على دينه ، محتاطٍ لعبادته أن يتقي الشبهات والريب ، فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه ، والنبي صلى الله عليه وسلم يقول (دع ما يريبك إلى مالا يريبك) .

عباد الله : ومما يتأكد على المسلم أن يحفظ صيامه من كل ما يفسده أو ينقص ثوابه ، وعليه أن يحتاط غاية الاحتياط في اجتناب الفسق والرفث وقبيح القول ، قال النبي صلى الله عليه وسلم (ليس الصيام من الأكل والشرب، إنما الصيام من اللغو والرفث ، فإن سابك أحد أو جهل عليك فقل إني صائم إني صائم) رواه ابن خزيمة وابن حبان في صحيحيهما.

فالعجب كل العجب من أناس يمضون ساعات صومهم في الغيبة والشتائم ، والكذب وقبيح الكلام ، وقد ظنوا أن الصيام إنما هو عن الطعام والشراب ، فتجد الواحد منهم طول نهاره يعاني ألآلام الجوع والعطش ، وما درى ذلك المسكين أن ذلك هو حظه من صيامه ، وفي أمثال هولاء يقول النبي صلى الله عليه وسلم (رب صائم حظه من صيامه الجوع والعطش ، ورب قائم حظه من قيامه السهر) رواه ابن ماجه والنسائي وابن خزيمة .

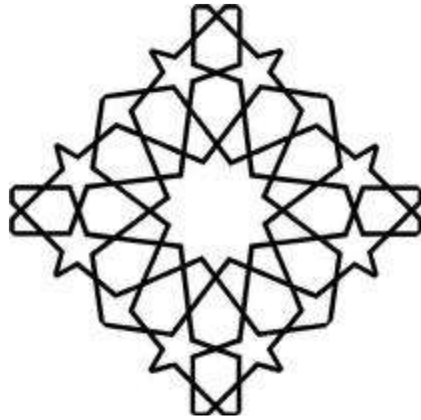
وفقنا الله تعالى لما يحبه ويرضاه إنه أرحم الراحمين ، وأكرم الأكرمين .

وصلوا وسلموا ...

خطبة الأسبوع الثاني

اغتنام

الشهر الكريم



الخطبة الأولى

الحمد لله العزيز الحميد ، ذي العرش المجيد ، بيده مقاليد الأمور كلها وهو الفعال لما يريد ، أحمده تعالى حمداً نستوجب المزيد ، وأشكره تعالى شكراً نثبت به في ديوان كل شاكر حميد ، وأشهد ألا اله إلا الله خضعت له جميع الخلائق فالكل له عبيد ، وانقادت لكبريائه الموجودات مذعنة له بالتوحيد ، وأشهد أن سيدنا محمد عبده ورسوله المبعوث بالبينات والنهج الرشيد ، والدال على طرق الهدى وكل قول سديد ، اللهم صلّ وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبع هداه إلى يوم الوعيد .

أما بعد .

عباد الله : أوصيكم ونفسي بتقوى الله ، فهي التي لا يقبل غيرها ، ولا يثيب إلا أهلها (تلك الجنة التي نورث من عبادِنا من كان تقيّا).

ومن يتق الله فذاك الذي   سيق إليه المتجر الرابح

أيها المسلمون : مضى علينا من هذا الشهر الفضيل ثلثُهُ[١]، والثلث كبير وكثير ، مضت علينا العشر الأُول منه ، العشر التي قال فيها النبي صلى الله عليه وسلم (شهر أوله رحمة ، وأوسطه مغفرة ،وآخره عتق من النار) رواه ابن خزيمة والبيهقي ، وكما انقضت عشره الأُول ، يوشك أن تنقضي عشره الأواسط ، ثم كذلك عشره الأواخر ، فلنقف وإياكم . عباد الله . وقفةً جادة نتساءل : كيف أمضينا هذه الأيام والليال ، ونحاسب أنفسنا ما الذي أودعناه فيها من صالح الأعمال ، ووالله ثم والله إنها لأيام يعلم مَنْ نوّرَ اللهُ بصيرته مالها عند الله من المنزلة والتكريم ، وما جاء على لسان نبينا من التبجيل لها والتعظيم ، بل لقد أقسم النبي عليه الصلاة والسلام أنه ما أتى على العباد أفضل من هذه الأيام فقال : (أظلكم شهركم هذا ، بمحلوف رسول

---

[١] – أو ما يقرب من ثلثه .

الله صلى الله عليه و سلم ما مرّ بالمسلمين شهر خير لهم منه) رواه ابن خزيمة في صحيحه.

عباد الله : إن أيامكم هذه ، هي بمثابة محطاتٍ على الطريق ، وكأسواق المرابحة التي يسعى إليها كل حريص شفيق ، يتزود فيها بالأعمال الصالحات ، ويستكثر منها بأنواع الطاعات ، فيامن هم في رمضان عن فعل الخير مقصرون ، وفي ساعات أيامه ولياليه مفرطون ، يا من يضيّع هذه المواسم المباركة ، يا من هو مشتغل فيها بالمعصية والمخالفة ، إن رمضان ليس شهر عصيانٍ ومجونٍ وفجور ، ليس شهر إعراضٍ ولهوٍ وشرور، إنه شهر البر والطاعة ، والتزود من خير بضاعة ، يا هولاء جميعا : إن شهر رمضان يناديكم جميعاً ، يقول كل ليلة : (يا باغي الخير أقبل ، ويا باغي الشر أقصر).

أيها المسلم : أنت مدعو في شهرك هذا إلى تكثير حسناتك ، وتكفير سيئاتك ، إلى تثقيل ميزانك بالأعمال الصالحات ، إلى أن تخفف عن كاهلك ثقل الأوزار والمخالفات ، فإنها مواسم التجارة الرابحة ، وأوقات الأعمال الصالحة، (يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ * تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ) .

هذه هي التجارة الرابحة ، وهذه هي المكاسب الناجحة ، جهاد في سبيل الله مع النفس الأمارة بالسوء والفحشاء ، جهاد في سبيل الله لمحاربة الشهوات والهوى ، جهاد في سبيل الله بعصيان الشيطان وما له من إغواء .

فعليك – عبدَ الله – بالإكثار من أعمال البر والطاعة ،فإن ثواب النافلة فيه يعدل ثواب الفريضة في غيره، وأيضاً فإنه يحصل في رمضان من التيسير والنشاط في أعمال البر ما لا يحصل مثله ولا قريب منه في غيره من الشهور؛ وذلك لأن النفس

المتكاسلة عن البر مسجونة بالجوع والعطش، والشياطين المثبطة عن الخير مصفدة، وأبواب النار مغلقة، وأبواب الجنة مفتحة، والمنادي ينادي كل ليلة بأمر الله : يا باغي الخير هلم ويا باغي الشر أقصر ،هذا هوالنداء فأين من يلبيه ، وهذا هو الميدان فأين من يسعى فيه .

أيها المسلم : وصف نبينا صلى الله عليه وسلم شهر رمضان بأنه شهر (المؤاساة) ، فما أحوجنا إلى أن نتلمس في هذا الشهر أحوال إخوانٍ لنا ضاقت عليهم أمور رزقهم ، وساءت بهم أحوال معيشتهم ، هم ما بين مهمومٍ ومحزون ، وما بين معروف أو مستور عن العيون ، ألا فاعلموا ــ وفقكم الله تعالى ــ أن هذا هو باب موصل إلى مرضات الله ، وسبيل تحصل به معونة الله ، فاسلكوا هذا السبيل واسعوا فيه، فالله في عون العبد ما دام العبد في عون أخيه ، ومن نفّس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا ؛ نفّس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة ، ومن يسّر على معسر ، يسر الله عليه في الدنيا والآخرة، وتذكروا دائماً قول نبي الرحمة صلى الله عليه وسلم (أحب الأعمال إلى الله عز وجل سرور تدخله على مسلم ، تكشف عنه كربة ،أو تقضي عنه دينا أو تطرد عنه جوعا) رواه الطبراني .

أيها العباد : إن أيامكم هذه المباركة ولياليكم هذه المنوّرة ، هي النهر الذي قدمتم عليه، والماء الطهور الذي وفدتم إليه ، بعد عام مضى مع الذنوب والمخالفات، والتقصير في الأعمال الصالحات، بعد أن تلطخت الصحائف بأدران الذنوب، وخبثت الضمائر واسودّت القلوب، ها أنتم ترِدون على نهر التنظف من الأرذال، وشهر التطهر والاغتسال ، فلنعقد في القلوب نيةً للطهارة جازمة، وعزيمةً للتوبة بقلوب نادمة ، فالتائب من الذنب حبيب الله ، والتائب من الذنب كمن لا ذنب له ، قال النبي صلى الله عليه وسلم قال (أتاكم رمضان، شهر بركة ، يغشاكم الله فيه ،

فينزل الرحمة ، ويحط الخطايا ، ويستجيب فيه الدعاء ، ينظر الله تعالى إلى تنافسكم فيه ، ويباهي بكم ملائكته،فأروا الله من أنفسكم خيراً،فإن الشقي من حرم فيه رحمة الله عزوجل) رواه الطبراني

ورواته ثقات .

فتأمل أيها المسلم في هذه الفضائل والخيرات، وتفكر في هذه العطايا والهبات، رحمات تنزل، وخطايا تغفر، ودعوات تستجاب، فماذا بعد هذا ؟ أروا اللّهَ من أنفسكم خيراً ، فهذه ميادين التنافس على الخيرات، و هذا ساحات التسابق إلى الطاعات، ألا .. ففي مثل هذا فليتنافس المتنافسون ، ولمثل هذا فليعمل العاملون .

أكرمني الله وإياكم بفضله الواسع ، وغمرنا بجوده الشاسع ، إنه رحيم كريم منان، والله يقول وبقوله يهتدي المهتدون جل شأنه : (وإذا قرئ القران فاستمعوا له وأنصتوا لعلكم ترحمون) ، وقال عز من قائل : (فإذا قرأت القران فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم) .

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم :

(وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ * الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ * وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ * أُولَئِكَ جَزَاؤُهُمْ مَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ)

بارك الله لي ولكم في القران العظيم...

الخطبة الثانية

الحمد لله وكفى ، والصلاة والسلام على نبيه المصطفى ، سيدنا محمد إمام أهل الصدق والوفاء . اللهم فصلّ وسلم على سيدنا محمد وعلى اله وصحبه ومن سار على نهجه واقتفى .

أما بعد . عباد الله : أوصيكم ونفسي بتقوى الله ، (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تعملون)

أيها المسلم : إن نعم الله عليك كثيرة ، ومننه عليك كبيرة ، ألا وإن من نعم الله تعالى عليك أن بلّغك هذا الشهر الفضيل ، بلّغك إياه وأنت صحيح معافى ، معافى في بدنك معافى في أهلك معافى في ولدك ، فأين الشكر على النعم ، وأين الحمد على المنن ، وأنت تعلم أخا الإسلام والإيمان أن من إخوانك أو أقاربك أو جيرانك من قد أتى عليهم شهر رمضان ومنهم المبتلى بمرض أو داء ، ومنهم الممتحن بكربٍ أو بلاء ، بل وتدرك أن منهم من كان يؤمل حضور هذا الشهر فلم يحضره ، أو أن يدرك يوماً منه فلم يدركه ، بل ومنهم الذي افتتحه فلم يختتمَه، وبدأه فلم يُتمّه، (ثم ردوا إلى الله مولاهم الحق ألا له الحكم وهو أسرع الحاسبين) .

أيها المسلم : إن أداء شكر هذه النعم أن تصرفها في طاعة الله تعالى ، لا أن تستعين بها على معصية الله ، لقد جعلت من شهر رمضان موسماً للغفلات ، ومرتعاً للفواحش والمخالفات ، لعبت بك الشهوات يمنةً ويسرةً حتى ألقتك في أودية الهلاك، وساقك الشيطان فساقك بغيّه هنا وهناك ، فيامن لم يفرّق بين شهر رمضان وسواه، وتمادى في ذنوبه متّبعاً لشيطانه وهواه، حتى متى وأنت في غفلة عن الله ؟ وحتى متى وأنت ساهٍ لاه .

حتى متى أنت باللذات مشغول   وأنت عن كل ما قدمت مسئول

عباد الله : إن شهر رمضان يناديكم ، ينادي الغافلين ، ينادي المعرضين ، ينادي النائمين ، ليست أيامكم ولياليكم هذه أيام نوم وسهو، ليست ليالي لعب ولهو، لا والذي رفع السماء بلا عمد ، إنها ليالي العبادة والطاعات ، والإكثار من القربات ، إنها أيام الجد والاجتهاد ، وأيام التزود ليوم المعاد ، طوبى لمن أقبل فيها وشمّر ، وويل لن أعرض فيها وأدبر .

ولدتك أمك يا ابن آدم باكيا　　　والناس حولك يضحكون سرورا
فاحرص على عمل تكون به　　　في يوم موتك ضاحكاً مسرورا

ورد في الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صعد المنبر ، فلما رقي عتبة ، قال : « آمين » ثم رقي عتبة أخرى ، فقال : « آمين » ثم رقي عتبة ثالثة ، فقال : « آمين » ثم ، قال صلى الله عليه وسلم : « أتاني جبريل ، فقال : يا محمد ، من أدرك رمضان فلم يغفر له ، فأبعده الله ، قلت : آمين ، قال : ومن أدرك والديه أو أحدهما ، فدخل النار ، فأبعده الله ، قلت : آمين ، فقال : ومن ذكرت عنده فلم يصل عليك ، فأبعده الله ، قل : آمين ، فقلت : آمين » رواه ابن حبان في صحيحه . فويلُ لمن حقّت عليه هذه الدعوات ، وكان من أهل هذه الأوصاف المهلكات .

فبادروا **عباد الله** لاغتنام ما بقي من أيام هذا الشهر الكريم ، وسارعوا لنيل رضا الله العظيم، واعلموا رحمكم الله أن هذا الشهر الفضيل شهر آخرة لا شهر دنيا، فاحرصوا على أن تكون ساعاته ولحظاته معمورة بأعمال الخير والتقى ، مشغولة بأفعال البر والهدى ، ولا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور :

البدارَ البدارَ قبل الفواتِ　　　إنما أنت عُرضة الآفاتِ

أيها المسلم : كم من الرقاب قد استوجبت النار بأعمالها السيئة ، وأفعالها القبيحة ، فلما جاء رمضان تعرّضت لرحمة الله تعالى فاستحقت العتق من النار ،

والنبي صلى الله عليه وسلم يقول (لله عز و جل عند كل فطر عتقاء) رواه الإمام أحمد، فلتسارع إلى عتق رقبتك فإن الفرصة بين يديك متى صدقتَ في توبتك ، واجتهدت في طلبك .

أيها المسلم : كم من القلوب كانت قد أظلمت بران الذنوب والأوزار ، واسودت بظلمة المعاصي ليل نهار ، لكنها اغتنمت ليالي النور والسناء ، وأيام الإنابة والالتجاء ، فتعرّضت لعفو الله، ولازمت قرع باب الإله ، فأكرمها الكريم، بجزيل الهبات، وقلب الذنوب حسنات، وهو الذي يغفر الذنوب ولا يبالي ، وكان الله غفوراً رحيما، فيا عبد الله أنت مدعو في شهرك هذا إلى أن تتصفى ، إلى أن تتنقى ، إلى أن تتخلى عن رذائل الصفات ، وتتحلى بالأخلاق الفاضلات ، أنت مدعو إلى الاستقامة على منهج الله ، والوقوف عند حدود الله ، الاستقامة التي يكرم الله بها الصادقين في الإقبال عليه ، ويتفضّل بها على من أحسن الإنابة إليه ، الذين قال فيهم : (إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ، نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ، نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ) .

روى الطبراني عن أنس رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال (هذا رمضان قد جاء ،تفتح فيه أبواب الجنان ،وتغلق فيه أبواب النار ، وتغل فيه الشياطين ،بعداً لمن أدرك رمضان فلم يغفر له ،فيه إذا لم يغفر له فيه فمتى)؟. فلنتأمل هذا السؤال الذي وجّههُ نبينا صلى الله عليه وسلم فإنه سؤال مهم جداً (إن لم يغفر له في رمضان فمتى) ؟؟ ، ونحن في حاجة ماسة إلى أن نتسآءل هذا السؤال ، وأن نذكر أنفسنا به في كل حال.

أيها المسلم : كم من الدعوات استجاب الله لأصحابها ، وكم من الحاجات قضاها لأربابها ، فهي أيام إجابة الدعوات ، وقضاء الحاجات ، وحصول ألأمنيات ، يغشانا الله فيها فينزل رحمته ، ويحط الخطايا ، ويستجب الدعاء، أليس لك يا عبد الله دعوات تريد رفعها ، أو ليس لك رغبات تتمنى حصولها ، هذه مواسم إجابة الدعاء ، وتحقيق الرجاء ، وحصول المنى ، فارفع أكف شكواك ، إلى من يعلم سرك ونجواك ، وقل :

أنت الغياث لمن ضاقت مذاهبه   ومن ألمّ به خطبٌ من النكـدِ

أنت القريب المجيب المستغاثُ به   وأنت يارب للراجين بالرصدِ

عباد الله :

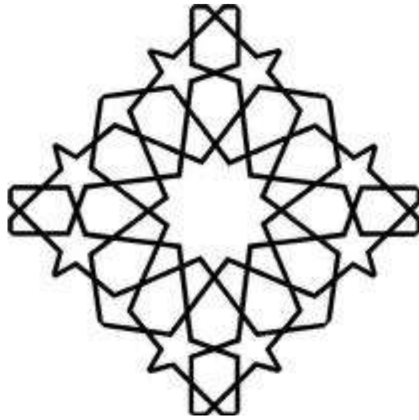
إن أيام رمضان تدعونا ، ولياليه المباركة تحدونا ، بسط الله فيها خيره وفضله ، ونشر فيها رحمته وعفوه ، ينظر الله في هذا الشهر إلى تنافسكم فأروا الله من أنفسكم خيراً فإن الشقي من حُرم فيه رحمة الله عز وجل ، فسارعوا إلى مغفرةٍ من ربك وجنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين ، واللهِ ثم واللهِ لا بارك الله في دنيا تقطع عن الآخرة ، ولا خير في شهوة تقطع عن المراتب الفاخرة ، والله يريد أن يتوب عليكم ويريد الذين يتبعون الشهوات أن تميلوا ميلاً عظيما، يريد الله أن يخفف عنكم وخلق الإنسان ضعيفا .

وفقنا الله تعالى لصالح الأعمال ، وبارك لنا فيما بقي من هذه الأيام والليال ، وأعاننا على اغتنامها فيما يرضيه من الأقوال والأفعال ، إنه قريب مجيب . وصلوا وسلموا ....

خطبة الأسبوع الثالث

العشر الأواخر

وليلة القدر



الخطبة الأولى

الحمد لله الذي خصص بعض الأيام والليالي بالفضل والزيادة ، وجعل لعباده مواسم يتقربون إليه فيها بأنواع العبادة ، أحمده تعالى حمداً يتكرم به علينا إذ الكرم له عادة ، وأشهد ألا اله إلا الله شهادة نثبت بها في ديوان أهل القرب والسعادة ، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله سيد الأنبياء وإمام أهل السيادة ، والمشفع يوم القيامة فيمن أذعن له بالتصديق والشهادة ، اللهم صلّ وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه النجوم القادة .

أما بعد . عباد الله :

أوصيكم ونفسي بتقوى الله ، فاتقوا الله في السر والعلن ، واجتنبوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن ، ولا تكونوا كالذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم أولئك هم الفاسقون ، لا يستوي أصحاب النار وأصحاب الجنة ، أصحاب الجنة هم الفائزون .

عباد الله : لقد مضى من أيام شهر الخير ما مضى ، وانقضى من لياليه المباركة ما انقضى ، اغتنمها العباد الموفقون ، فهم فيما يرضي الله تعالى مسارعون ، وفرّط فيها المقصرون ، فهم عن الخيرات معرضون ، وبالغفلات منشغلون ، وسيعلم الذي ظلموا أي منقلبٍ ينقلبون .

أيها المسلم : تستقبلك خاتمة هذا الشهر وصفوته ، وتقدم عليك عشره الأواخر وخلاصته ، هي العشر التي كان لنبيك المصطفى صلى الله عليه وسلم تهيءٌ لها واغتنام ، ونشاط في العبادة واهتمام ، فكان يخصها بمزيدٍ من العبادة والقيام ، عن عائشة رضي الله عنها، قالت: (كان رسول الله صلى الله عليه وسلم: إذا دخل العشر الأواخر من رمضان، أحيا الليل، وأيقظ أهله، وجد وشد المئزر) متفقٌ عليه.

ومعنى قولها : شد المئزر : كناية عن الاجتهاد في العبادة والتشمير لها ، إذ عادة من اجتهد في عمل ما أن يشمّر ثوبه ويرفعه . وعنها رضي الله عنها قالت: (كان رسول الله صلى الله عليه وسلم، يجتهد في رمضان ما لا يجتهد في غيره، وفي العشر الأواخر منه، ما لا يجتهد في غيره) رواه مسلمٌ.

عباد الله : وإذا كان هو حال نبينا صلى الله عليه وسلم وهو الذي غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ، فنحن . عباد الله . أحوج إلى أن نسارع إلى طلب مرضات ربنا ، ومغفرة ذنوبنا ، إذ نحن أهل الذنوب والخطايا ، والقبائح والرزايا ، وها هو الكريم المتفضل قد بسط لنا موائد الفضل والعطاء ، ونشر سحائب الجود والرخاء ، فجعل لنا في أيام دهرنا مواسم لنفحاته ، وفي ليالي سنتنا مواطن لنشر رحماته ، روى البزار وغيره عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (إن لله تبارك وتعالى في كل يوم وليلة في رمضان عتقاء من النار)

عباد الله : ألا فاغتنموا هذه العشر المباركة فأن فيها العتق من النار ، ومغفرة الذنوب والأوزار، بل وفيها ليلة النور والبهاء ، وليلة الجود والعطاء ، ليلة قال الله تعالى عنها (ليلة القدر خير من ألف شهر) ، وفيها تتنزل الملائكة ،وتهل الخيرات والبركة ، قال تعالى: (إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبارَكَةٍ) .

وكما نطق القران الكريم بفضلها ، ونوّه على مكانتها وشرفها ، فكذلك جاءت ببيان عظمتها الأخبار ، ونادت بعلو منزلتها الآثار ، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه و سلم (من قام ليلة القدر إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه) الحديث في الصحيحين ، فتأمل أيها المؤمن الراغب في الثواب ، الحريص على المغفرة ونيل المتاب ، كيف أن إحياء ليلة واحدة بالطاعة والدعاء والاستغفار ، تكون سبباً لمغفرة ما سلف من الذنوب والأوزار ، أما وعزةِ الله

لا يتهاون بهذا الفضل إلا خاسرٌ محروم، واقعٌ في أحضان إبليس المرجوم ، غافل عن الله وعن يوم التغابن والغموم ،روى ابن ماجه بإسناد حسن عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (إن هذا الشهر قد حضركم وفيه ليلة خير من ألف شهر من حرمها فقد حرم الخير كله ولا يحرم خيرها إلا محروم)، وأخرج الديلمي عن أنس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم : (إنَّ الله تَعَالَى وَهَبَ لأُمّتِي لَيْلَةَ القَدْرِ وَلَمْ يُعطِها مَنْ كَانَ قَبْلَهُمْ)، ففي قوله: (وَلَمْ يُعطِها مَنْ كَانَ قَبْلَهُمْ) دليل على أنها خصوصية لهذه الأمة ، أتم الله بها عليها النعمة ، فعن ابن عباس رضي الله عنهما أنه ذُكِر لرسول الله صلى الله عليه وسلم رجل من بني إسرائيل حمل السلاح على عاتقه في سبيل الله ألف شهر، فعجب رسول الله صلى الله عليه وسلم لذلك وتمنى ذلك لأمّته، فقال: يا رب، جعلت أمتي أقصر الأمم أعماراً وأقلها أعمالاً، فأعطاه الله تعالى ليلة القدر، فقال تعالى: (ليلة القدر خير من ألف شهر) .

قال العلماء : أكرم الله تعالى هذه الأمة بليلة القدر تطويلاً لأعمارهم ، وتضعيفاً لثوابهم وحسناتهم ، حتى يصير الواحد منهم إذا قام فيها بطاعة الله يصير كأنه قام ألف شهر، وذلك أكثر من ثمانين سنة ، فمن قام في ليلة القدر اثنتي عشرة سنة، كان كمن عاش في طاعة الله ألف سنة أو أكثر، فتأمل حساب ذلك فإنه ظاهر ، واعلم أن ذلك الذي أعطاه الله هذه الأمة ببركات رسولها صلى الله عليه وسلم ، وعظم كرامته عليه ، ومن شدة اعتنائه صلى الله عليه وسلم بأمته وحرصه على حب الخير لها .

ولينتبه المسلم في هذه الليلة من أن يتصف بوصف المبعدين المحرومين ، وليحذر أن يكون ممن لا تنالهم رحمة أرحم الراحمين ، ففي الحديث عنه عليه الصلاة والسلام قال (إذا كانت ليلة القدر يأمر الله عز و جل جبرائيل عليه السلام فيهبط في كبكبة

من الملائكة ... وذكر الحديث إلى أن قال : فيحث جبرائيل عليه السلام الملائكة في هذه الليلة فيسلمون على كل قائم وقاعد، ومصل وذاكر ، ويصافحونهم ويؤمنون على دعائهم حتى يطلع الفجر ، فإذا طلع الفجر ينادي جبرائيل عليه السلام : معاشر الملائكة الرحيل الرحيل فيقولون : يا جبرائيل فما صنع الله في حوائج المؤمنين من أمة أحمد صلى الله عليه و سلم ؟ فيقول : نظر الله إليهم في هذه الليلة فعفا عنهم وغفر لهم إلا أربعة ، فقلنا يا رسول الله من هم ؟ قال : (رجل مدمن خمر وعاق لوالديه وقاطع رحم ومشاحن) رواه ابن حبان والبيهقي. أكرمني الله تعالى وإياكم بعفوه ورحمته ، وألهمنا أداء حق شكر نعمته ، إنه كريم منان .

والله يقول وبقوله يهتدي المهتدون جل شأنه : (وإذا قرئ القران فاستمعوا له وأنصتوا لعلكم ترحمون) ، وقال عز من قائل : (فإذا قرأت القران فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم) . أعوذ بالله من الشيطان الرجيم :

بسم الله الرحمن الرحيم :

إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ (١) وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ (٢) لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ (٣) تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ (٤) سَلَامٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ (٥) بارك الله لي ولكم في القران العظيم ...

بارك الله لي ولكم في القران العظيم...

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين ، أحمده تعالى على نعمه المتوالية في كل حين ، وأشكره سبحانه شكراً نثبت به في ديوان الشاكرين ، وأصلي وأسلم على نبيه المبعوث رحمة للعالمين ، والدال على منهج الحق المبين ، اللهم صلّ وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه والتابعين .

أما بعد . عباد الله :

أوصيكم ونفسي بتقوى الله ، فاتقوا الله وكونوا مع الصادقين ، وأحسنوا يرحمكم الله فان رحمة الله قريب من المحسنين .

أيها المسلم :

وإذ قد عرفت فضل هذه الأيام والليال ، وما يبسطه الله فيها من الفضل والنوال ، فبادر إلى الغنائم ، وسارع إلى الخيرات والمغانم ، فاترك التباطء والتخاذل ، ودع النوم والتكاسل :

القوم قد وصلوا وطابوا　　وأنت لا تصحوا ولا تستفيق
لله أقــوام أنابـــــــــوا　　حتى رقوا عالي المقام الأنيــق

فلتكن ــ يا عبد الله ــ حريصاً على إحياء هذه العشر بطاعة الله ، والاستكثار من كل عمل صالح تبلغ به رضاه، وكن متحرياً لليلة القدر والشرف ، لتنال الخيرات والتحف، وتكرمَ برفيع الدرجات، وعظيم المراتب الرفيعات ، فقد كان نبيك الكريم صلى الله عليه وسلم يتحرى ليلة القدر في العشر الأواخر من رمضان، ويقول صلى الله عليه وسلم : (تحروا ليلة القدر في العشر الأواخر من رمضان) متفقٌ عليه.

وقد ذهب جمهور العلماء إلى أنها في رمضان ، وأنها في العشر الأواخر أولى ، وفي الأوتار منها أرجى ، فعن عائشة رضي الله عنها، أن رسول الله، صلى الله عليه

وسلم، قال: (تحروا ليلة القدر في الوتر من العشر الأواخر من رمضان) رواه البخاري. وعن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال : أخبرنا رسول الله صلى الله عليه و سلم عن ليلة القدر قال : (هي في شهر رمضان في العشر الأواخر ، ليلة إحدى وعشرين ، أو ثلاث وعشرين ، أو خمس وعشرين، أو سبع وعشرين ،أو تسع وعشرين ،أو آخر ليلة من رمضان ، من قامها احتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر).

وقد ورد في تعيين هذه الليلة أحاديث وآثار كثيرة، بعضها على أنها الليلة السابعة والعشرين من رمضان، وبعضها يعلى أنها الليلة الواحدة والعشرين، وبعضها أنها ليلة من الليالي العشر الأخيرة، وبعضها يطلقها في رمضان كله، فهي ليلة من ليالي رمضان على كل حال ، والحكمة في ترك تعيينها أن يكون المسلم مجتهداً في العشر كلها ، بل في الشهر كله .

عباد الله :

على المسلم أن يغتنم هذه الليالي بفعل الطاعات ، والاجتهاد فيا بكثرة العبادات ، وليكثر من الاستغفار والدعاء، والتضرع والرجاء ، وليكثر من أن يقول بصدق وإخلاص : اللهم إنك عفو تحب العفو فاعف عني ، فإنها دعوت نبوية مباركة ، فعن عائشة رضي الله عنها قالت: قلت: يا رسول الله أرأيت إن علمتُ أيّ ليلةٍ ليلة القدر ما أقول فيها ؟ قال: قولي: (اللهم إنك عفوٌ تحب العفو فاعف عني) رواه الترمذي و صححه.

ومما يُطلَبُ من المسلم ويتأكد عليه في هذه العشر الاعتكاف في بيت من بيوت الله تعالى ، فإن ذلك أحرى أن يحيي ليلة القدر ويوافقها، وأعون له على طاعة الله والمواظبة عليها ، وقد ورد في فضله أحاديث كثيرة ، وأخبار شهيرة ،روى البيهقي

عن الحسن بن علي رضي الله عنهما: (مَن اعْتَكَفَ عَشْراً فِي رَمَضَان كَانَ كَحَجَّتَيْنِ وَعُمْرَتَيْنِ) .

فليكن للمسلم في رمضان حظ من الاعتكاف في ليل أو نهار فإن فيه خيراً كثيراً وفضلا، وإن قدر على اعتكاف العشر كلها كان أحسن وأولى ، فهو أدعى إلى سلامة صومه من المفسدات ، واجتناب مواطن السوء والغفلات، وعلى هذا الوصف كان نبينا صلى الله عليه وسلم فعن عائشة رضي الله عنها قالت: (كَانَ رَسُولُ الله يعتكف العشر الأواخر من رمضان حتى توفاه الله) رواه البخاري ومسلم.

فتهيأ ـ أخا الإسلام والإيمان ـ لاستقبال ليالي الفضل والإحسان ، وتهيأ للورود على حياض الجود والامتنان ، وساحات العفو والغفران ، وقم في مقام الذل والانكسار ، لاهجاً بالتوبة والاستغفار ، نادماً على ما أسلفت من الذنوب والأوزار ، قائلاً بلسان الخضوع والافتقار :

يامن يرى مدّ البعوض جناحها   في ظلمة الليل البهيم الأليلِ
ويرى نياط عروقها من سوقها   والمخّ في تلك العظام النُّحل
امنن عليّ بتوبة تمحُ بهـــــا   ماكان مني في الزمان الأولِ

روى البيهقي عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (إن الله تعالى كل ليلة من ليالي رمضان ينادي من السماء ثلاث مرات: هل من سائل فأعطيه سؤله ، هل من تائب فأتوب عليه ، هل من مستغفر فأغفر له) ، فهو سبحانه وتعالى يناديك وأنت عبده المذنب المقصر: هل لك سؤل فنعطيك سؤلك ، هل أنت تائب من معاصيك فأتوب عليك ؟ هل أنت مذنب تستغفر لذنبك فأغفره ؟ إنه الملك الكريم الجليل ، يخاطبك وأنت عبده المذنب الذليل ، أتدري ماذا يقول لك ؟ إنه يقول : (قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا

إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ * وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنْصَرُونَ * وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ * أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَا عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ وَإِنْ كُنْتُ لَمِنَ السَّاخِرِينَ) .

أيها المسلم : واعلم أن من تمام إحياء هذه الليلة المباركة ، الحرص على أداء الصلاة في جماعة في المسجد ، لاسيما صلاة العشاء والفجر ، فإن من صلاهما في جماعة فقد أخذ حظه من ليلة القدر ، وبذلك ورد الحديث ، ومن تمام تعرضك لهذه الليلة إعراضك عن كل ما يغضب الله تعالى ، فلا يليق بمن يطلب ليلة المغفرة والأنوار ، ويسعى لنيل الرحمة والعتق من النار ، وهو مع هذا عاكف على سماع ما حرم الله تعالى من قول الفحش والشرور ، أومشاهدة ما فيه عضب الجبار من الخنا والزنا والفجور ، فوالله ثم والله ما أحسن التعرض لها من كان وصفه كذلك ، إذ ذاك وصف كل ذليل معرضٍ هالك .

فكن يا عبد الله : شديد الحرص على طلب ليلة القدر ، ساعياً في تحريها ، متذكراً قول نبيك عليه الصلاة والسلام : (من قامها إيمانا واحتسابا غفر لما تقدم من ذنبه وما تأخر) .

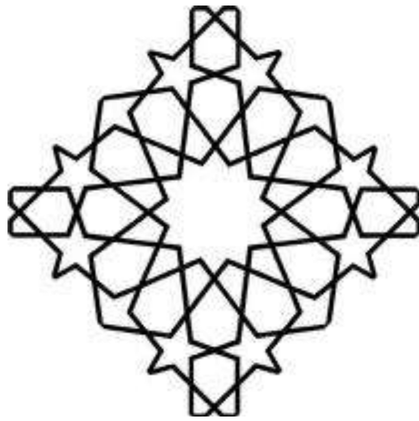
هيأنا الله لاستقبال ليالي الفضل والإكرام ، وأعاننا على اغتنامها أكمل الاغتنام ، وختم لنا بأحسن الختام ، إنه سميع الدعاء .

وصلوا وسلموا على ....

خطبة الأسبوع الرابع

في وداع

شهر رمضان



الخطبة الأولى

الحمد لله الذي جعل لكل شيء تحولاً وانتقالا ، وكتب على موجود فناءً وزوالا، أحمده أن بلغنا خاتمة هذا الشهر وأسأله قبولاً وإقبالا، وأشهد أن لا إله إلا الله، سبّح له من في السموات ومن الأرض تعظيماً وإجلالا، وأذعنت له المخلوقات بأنه المنفرد جمالاً وكمالا، وأشهد أن سيدنا محمد عبد ورسوله من محى الكفر وأزالا، وجاء بأفضل دين يرتضيه الله تعالى ، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه ومن أتبع هداه إذعاناً وامتثالا . اللهم صلّ وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه المقتفين هديه أقوالاً وأفعالا .

أما بعد . عباد الله : أوصيكم ونفسي بتقوى الله تعالى ، فاتقوا الله عباد الله بامتثال أوامره ، واجتناب زواجره ، فإنها خير زادٍ يتزود منه المؤمنون ، فإنكم سفْرٌ عن قريب راحلون :

تزود للذي لابد منه فإن الموت ميعاد العبادِ
أترضى أن تكون رفيق قومٍ لهم زاد وأنت بغير زادِ

عباد الله : هاهي أيام الخير قد مضت ، وهاهي ليالي النور قد انقضت ، كم من قلب ارتبط فيها بالله ، وكم من عبدٍ أناب إلى مولاه ، كم تيقظ فيها من لاهٍ غافل ، وكم شمّر فيها من متخاذل متكاسل، كم رجع فيها من مذنب مخلّط ، وكم بكى فيها من مقصّر مفرط ، كم تاب فيها من تاركٍ للصلاة ، وكم تنبه فيها من قطع الصلة بالله ، هنيئاً لمن أعطى الشهر حقه من الاجتهاد في الأعمال الصالحة ، وويل لمن ضيّع مواسم التجارة الرابحة ، فصحيفته بالفواحش طافحة :

تماديت حتى زلّك الرشد فانتبه وسلْ غافر الزلات يدرك باللُّطفِ
أما آن للعاصي الرجوع لربه ألم يدرِ أن الذنب يكتب في الصحفِ

أما أنت يا عَمَر أيام الشهر الفضيل ولياليه بالطاعة والعبادة ، واجبك أن تتوجه إلى الله تسأله أن يتقبل منك سعيك ، وكن خائفاً من أن يرد عليك عملك ، فإن الشأن ليس في إقامة العمل بل في قبول العمل ، ولقد كان السلف الصالح حريصين على قبول الأعمال أكثر من القيام بالأعمال ، وكانوا يقولون (كونوا على قبول أحرص منكم على العمل)

أيها المسلم : ولئن انقضى شهر رمضان ، فليس معنى هذا انتهاء الطاعة والعبادة ، فان الله تعالى أمرنا أن نكون على اتصال به وتوجهٍ إليه ، وقرب منه وإقبال عليه ، ليس رمضان فحسب، بل في سنتنا جميعها، بل مدة أعمارنا كلها، إذ العبادة وقتها العمر كله، والله تعالى أجلُّ وأعظم من أن تكون رحمته ومغفرته في ثلاثين يوماً محصورة، وعطاياه ونفحاته في شهر مقصورة، قال تعالى لنبيه المصطفى صلى الله عليه وسلم (واعبد ربك حتى يأتيك اليقين)، واليقين هو الموت ، وقالت تعالى مخبراً عن نبيه عيسى عليه السلام (وأوصاني بالصلاة والزكاة ما دمت حيا) .

فالواجب على المسلم المداومة على فعل الخيرات ، وعدم انقطاعه عن الأعمال الصالحات، ولا شك أن أحب الأعمال إلى الله ما داوم عليها صاحبها ، وكان النبي – صلى الله عليه وسلم– إذا عمل عملاً أثبته ، وكان يقول (أحب الأعمال الله أدومها وإن قلّ) ، ومن أجل هذا المعنى ذم السلف من انقطع عن العمل الصالح بعد رمضان ، قيل لبشر رحمه الله : إن قوماً يتعبدون ويجتهدون في رمضان فقال: (بئس القوم لا يعرفون لله حقاً إلا في رمضان).

عباد الله : ومما منَّ الله به على عباده بعد انقضاء شهر الصيام والقيام ، ورتب عليه عظيم الأجر والثواب ، صيام ست أيام من شوال ، فقد ثبت في فضلها

أحاديث عدة منها ما رواه مسلم أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (من صام رمضان ثم أتبعه ستاً من شوال كان كصيام الدهر).

وفي معاودة الصيام بعد رمضان عدة فوائد ومعانٍ :

منها : أن صيام هذه الأيام الست يستكمل بها الصائم أجر صيام الدهر كله ، وذلك لأن الحسنة بعشر أمثالها فشهر رمضان يعدل عشرة أشهر ، وهذه الست تعدل شهرين ، روى ابن ماجه عن ثوبان أن رسول الله- صلى الله عليه وسلم- قال : (من صام ستة أيام بعد الفطر كان تمام السنة (من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها)

ومنها : أن صيام النفل قبل وبعد الفريضة يُكمّل به ما يقع في الفرض من خلل ونقص ، فإن الفرائض تجبر بالنوافل يوم القيامة ، كما ورد في الحديث

ومنها : أن معاودة الصيام بعد رمضان من علامات القبول ، فإن الله إذا تقبل عمل عبدٍ وفقه لعمل صالح بعده ، وقد قيل : علامة قبول الحسنة الحسنة بعدها .

ومنها : أن معاودة الصيام بعد الفطر فيه شكر لله جل وعلا على نعمته بإتمام صيام رمضان ومغفرة الذنوب والعتق من النار ، وقد أمر الله سبحانه وتعالى عباده أن يشكروه على هذه النعم العظيمة فقال سبحانه : (وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ) .

قال العلماء : وهذه الست ليس لها وقت محدد من شوال ، بل يصومها في أي جزء من أجزاء الشهر ، إن شاء صامها في أوله ، وإن شاء صامها في أثنائه ، وإن شاء صامها في آخره ، وإن شاء صامها متتابعة وإن شاء فرقها ، الأمر في ذلك واسع ، ولكن الأفضل أن يبادِر إلى صيامها عقب عيد الفطر مباشرة ، وأن تكون متتابعة لأن ذلك أبلغ في تحقيق التتابع الذي جاء في قوله صلى الله عليه وسلم (ثم أتبعه) ، ولأنه من المسابقة إلى الخيرات الذي جاءت النصوص بالترغيب فيه والثناء على فاعله

، وهو أيضاً من الحزم الذي هو من كمال العبد ، فإن الفُرص لا ينبغي أن تفوت ، والمرء لا يدري ما يعرض له من شواغل وقواطع تحول بينه وبين العمل ، فإن أخرها أو فرّقها على الشهر حصلت الفضيلة أيضاً .

فمن فضل الله على عباده تتابع مواسم الخيرات ، ومضاعفة الحسنات ، فالمؤمن يتقلب في ساعات عمره بين أنواع العبادات والقربات ، فلا يمضي من عمره ساعة إلا ولله فيها وظيفة من وظائف الطاعات ، وما أن يفرغ من عبادة إلا ويشرع في عبادة أخرى ، فلم يجعل الله حداً لطاعة العبد إلا انتهاء عمره وانقضاء أجله .

أكرمني الله وإياكم بالثبات ، وتقبل منا ما عملنا فيه من الطاعات ، وتجاوز عنا الذنوب والخطيئات ، إنه سميع مجيب .

والله يقول وبقوله يهتدي المهتدون جل شأنه : (وإذا قرئ القران فاستمعوا له وأنصتوا لعلكم ترحمون) ، وقال عز من قائل : (فإذا قرأت القران فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم) . أعوذ بالله من الشيطان الرجيم :

(يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ * إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ * وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ * وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى وَإِنْ تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَى حِمْلِهَا لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى إِنَّمَا تُنْذِرُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَمَنْ تَزَكَّى فَإِنَّمَا يَتَزَكَّى لِنَفْسِهِ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ *) .

بارك الله لي ولكم ...

الخطبة الثانية

الحمد لله غافر ذنب المسيئين ، وقابل توبة التائبين ، ومجيب دعوة المضطرين ، أحمده تعالى على نعمه المتوالية كل حين ، وأشكره سبحانه على فضله الذي عمّ العالمين ، وأصلي وأسلم على نبيه الأمين ، سيدنا محمد المبعوث بالهدي المبين ، اللهم صلّ وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه والتابعين . أما بعد .

عباد الله : أوصيكم ونفسي بتقوى الله ، فاتقوا الله تعالى وراقبوه في جميع الأمور ، ولا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور .

عباد الله : هاهو شهر رمضان خير ضيف ونزيل ، آن له وقت الرحيل ، ولم يبقى منه إلا اليسير القليل ، وهو غداً شاهد بأعمالكم في اليوم الثقيل، بين يدي الملك الجليل،(يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور).

عباد الله : لقد تسابق الجميع في الخيرات في رمضان، وتنافسوا في ميادين الطاعة والإحسان ، عُمّرت المساجد بالمصلين، ، وامتلأت بالتالين لكتاب رب العالمين وعجّت بأصوات الذاكرين، استنارت الليالي بدعوات المؤمنين ، وصلوات القائمين ،كما عمّرت القلوب بالرأفة والرحمة، وتزينت الألسن بطيّب الكلمة ، وتلاقى الأقارب والخلان ، وتزاور الأصحاب والجيران ، وبُسِطَت الأيدي بالعطاء؛ والبذل والسخاء ، للفقراء والمساكين ، واليتامى والأرامل والمحتاجين .

إخوة الإسلام والإيمان : وإني لأتخيل رمضان قائلاً لنا وقد ودعناه؛ ، يقول بلسان حاله : يا من صمتم وقمتم أوصيكم :

*أما الصيام فلا تتركوه، ولو أن يصوم الواحد منا في الشهر يوماً ، فمن صام لله يوما واحداً باعد الله بينه وبين النار سبعة خنادق

*وأما القيام فلا تَدَعُوه؛ فركعتان في جوف الليل كنز من كنوز البر .

*وأما القرآن فلا تهجروه، فاتخذ لنفسك كل يوم ورداً محافظاً عليه، ولو صفحة على الأقل، فالحرف بعشر حسنات ، والله يضاعف لمن يشاء .

*وأما الدعاء فلا تنسوه، فإن الدعاء ينفع مما نزل ومما لم ينزل من البلاء ، وإن ربكم يحب الملحين في الدعاء .

* وأما الإحسان فلا تملوه ، فإن الله سبحانه وتعالى في عون العبد مادام العبد في عون أخيه ، ومن يسر على معسر يسر الله عليه في الدنيا والآخرة .

* وأما البذل فلا تقطعوه ، فإن الصدقة تطفئ غضب الرب ، وتدفع ميتة السوء .

واعلموا أن الله تعالى شرع لكم شرائع وشعائر، فمن ذلك :

ـ أولاً : إخراج زكاة الفطر ، فقد شرعت طهرة للصائم من اللغو والرفث ، وإكمالاً لما وقع في صومه من النقص والخلل ، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : (فرض رسول الله صلى الله عليه وسلم صدقة الفطر طهرة للصائم من اللغو والرفث ،وطعمة للمساكين فمن أداها قبل الصلاة فهي زكاة مقبولة ومن أداها بعد الصلاة فهي صدقة من الصدقة) رواه أبو داود والحاكم وصححه ، فينبغي للمسلم أن يسارع إلى إخراج زكاة فطره ، فقد ورد أن صوم رمضان لا يُرفع إلا بها ،فعن جرير رضي الله عنه قال :قال رسول الله صلى الله عليه و سلم (صوم شهر رمضان معلق بين السماء والأرض ولا يرفع إلا بزكاة الفطر) رواه ابن شاهين بسند جيد .

. **ثانياً** : إحياء ليلة العيد ، فقد ورد الأمر باستحباب إحيائها ، فعن أبي أمامة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه و سلم قال : (من قام ليلتي العيدين محتسبا لم يمت قلبه يوم تموت القلوب) رواه ابن ماجه ورواته ثقات ،قال الإمام النووي في كتابه الأذكار : (اعلم أنه يستحب إحياء ليلتي العيدين في ذكر الله تعالى ، والصلاة ،

وغيرهما من الطاعات ، للحديث الوارد في ذلك " من أحيا ليلتي العيدين لم يمت قلبه يوم تموت القلوب ").

ـ ثالثاً : التكبير : وهو شعار العيد الذي نختم به صيامنا ،قال تعالى (ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ما هداكم) ، ورُوي ففي الحديث : (زينوا أعيادكم بالتكبير) رواه الطبراني.

قال العلماء : يستحب التكبير ليلتي العيدين ، ويستحب في عيد الفطر من غروب الشمس إلى أن يحرم الإمام بصلاة العيد ، ويستحب ذلك خلف الصلوات وغيرها من الأحوال.

عباد الله : هذا شهركم قد انتصب لكم مودّعاً ، وسار من بينكم مسرعاً، فأين البكاء لرحيلة، وأين الاستدراك لقليله، فلِلَّهِ ما كان أطيب زمانه من صوم وسهر ، وما كان ألذّ الاشتغال فيه بالآيات والسور، فيا ليت شعري من الذي قام بواجباته وسننه، ومن الذي اجتهد في عمارة زمنه، ومن الذي أخلص في سره وعلنه، ليت شعري هل من مقبول فيهنأ ، وهل من مطرود فيعزى .

يا غافلاً : أتاك شهر رمضان ،شهر الرحمة والغفران ، وأنت مصر على الذنوب والعصيان، مقيم على الآثام والعدوان، متمادٍ في الجهالة والطغيان، قد تمكن من قلبك الشيطان ،فألقى فيه الغفلة والنسيان ،فظللت تعمل أعمال أهل النيران .

يا أيها الغافل عن مـــــولاه   انظر بأي عملٍ تلقـاه
أما علمتَ الموت مســـرعا   وليس للإنسان إلا ما سعى
وليس للإنسان من بعد الأجل   إلا الذي قدمه من العمل

كيف ترجو مراتب القرب والإكرام ، أم كيف تطلب منازل الأتقياء الأعلام ، وأنت غارق في الذنوب والآثام ، فلسانك لا يفتر عن قبيح الكلام ،وبصرك ممتدٌ إلى

مشاهدة الحرام ، ويدك آخذة ما نهاك عنه الملك العلام ،وقدمك تسعى إلى ما هو إثم وحرام ،وأنت في جميع أمورك وأفعالك مخالف للقرآن والأحكام ، تارك لهدي نبيك عليه الصلاة والسلام ، صنْ بطنك عن الشبه والحرام ،وأحبس لسانك عن الوقوع في أهل الإسلام ،وغض بصرك عن الحرام، وجدّد توبةً لله فإنه تعالى يغفر الذنوب ويمحو الآثام (والله يحب التوابين ويحب المتطهرين)

إخـواني : مضـى شـهر رمضـان ،وشـهد على المسـيء بالإسـاءة وعلـى المحسـن بالإحسـان، وحصـل كلٌ على ما قسـم لـه مـن ربـح وخسـران، فيـا حسـرة المفـرط لقـد أضاع الزمان، ويا خيبة المقصّر وقد فات الأوان

مـا أجمـل تلـك الليـالي وأبهاهـا ، ومـا أسعـد تلـك الأيـام و أبركهـا ، كـم مـن قلـوب مـن الأدران تطهرت ، وكـم مـن نفـوس عـن الخبائـث تنقـت ، وكـم مـن ضمـائر عـن الشـرور تخلت ، كم من دعوات للصادقين استجابها الله وكم من رحمات في تلك الليالي أنزلها الله ، آهٍ على رمضان وقد تقضت لياليه وأيامه ، وطويت صحائفه وأقلامه ، وانتهى صيامه وقيامه ، فنسأل الله أن يعود على المسلمين عامه ، وقد رفعت للدين أعلامه ، وثبتت له قواعده ونظامه .

أعاد الله تعالى علينا شهر الصيام والقيام ، وتجاوز عنا الذنوب والاثام ، إنه أرحم الراحمين وأكرم الأكرمين . وصلوا وسلموا ....

وصلوا وسلموا على من صلى عليه ربه وملائكته تشريفا وتكريما وتعظيما ، وأمركم به فقال ولم يزل قائلا عليما (إن الله وملائكته يصلون على النبي يأيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما) .

اللهم صل وسلم على سيدنا محمد الرحمة المهداة ، و النعمة المسداة ، وعلى آله وأصحابه ومن اقتفى هداه ، وعلينا معهم وفيهم إلى يوم لقاه .

اللهم اغفر للمسلمين والمسلمات ، والمؤمنين والمؤمنات ، الأحياء منهم والأموات لمّ شعثنا ، وأصلح أمرنا ، ووحد على الخير كلمتنا .

تقبل منا الصيام والقيام ، واحفظنا من الذنوب والآثام ، رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ، وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ . **اللهم** إن لك في هذه الليالي عتقاء وطلقاء ونقذاء من النار ، فاجعلنا اللهم والحاضرين ووالدينا من عتقائك ومن طلقائك ومن نقذائك من النار، اللهم إنك عفو تُحب العفو فاعفو عنا (ثلاثاً).

رَبَّنَا اغْفِر لَنَا وَلِإخوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونا بِالإِيمَانِ ولا تجعل في قلوبنا غلاً للذين آمنوا ربنا إنك رؤوف رحيم .**رَبَّنَا** هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا.

اللهم إنا نسألك الهدى، والتقى، والعفاف، والغنى ، اللهم أصلح لي ديننا الذي هو عصمة أمرنا، وأصلح لنا دنيانا التي فيها معاشنا، وأصلح لنا آخرنا التي فيها معادنا، واجعل الحياة زيادةً لنا في كل خيرٍ، واجعل الموت راحةً لنا من كل شرٍ ، اللهم إنا نعوذ بك من زوال نعمتك، وتحول عافيتك، وفجاءة نقمتك؛ وجميع سخطك .

اللهم آت نفوسنا تقواها، وزكها أنت خير من زكاها، أنت وليها ومولاها، اللهم إنا نعوذ بك من علمٍ لا ينفع، ومن قلبٍ لا يخشع، ومن نفسٍ لا تشبع، ومن دعوةٍ لا يستجاب لها . اللهم اكفنا بحلالك عن حرامك، واغننا بفضلك عمن سواك.

اللهم اجعل هذا البلد آمناً مطمئناً وسائر بلاد المسلمين، وأدم اللهم نعمة الاستقرار في بلادنا ، والأمن في ديارنا.

اللهم اسقنا الغيث والرحمة ولا تجعلنا من القانطين، اسقنا غيثاً مغيثاً هنيئاً مريئاً مريعاً سحاً طبقاً غدقاً مجللاً دائماً نافعاً غير ضار

رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآَخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ.

عباد الله :

إن الله أمركم بثلاث فائتمروا بها ، ونهاكم عن ثلاث فاجتنبوها :(إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ) فاذكروا الله العظيم الجليل يذكركم ، واشكروه على نعمه يزدكم ،

ولذكر الله أكبر ، والله يعلم ما تصنعون.

فهرس الأربعين الرمضانية

فهرس الخواطر الرمضانية